



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

**أطروحة دكتوراه**

مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)

الشعبة: التاريخ

التخصص: تاريخ بلاد المغرب الوسيط

**الاقتصاد والمجتمع في وارجلان من القرن 4/هـ إلى القرن 9/هـ**

إعداد الطالب: يحيوي سعد

إشراف: أ د عمّار غرايسة

نوقشت بتاريخ: 2026/ 01/18 أمام لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
البشير غانية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
عمّار غرايسة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
علال بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
أحمد بن خيرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
عبد الجليل ملاح	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مناقشا
محمد السعيد بوبكر	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2024-2025م / 1446-1447هـ

الله أكبر

# إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات،  
وبتوفيقه تتحقق المقاصد. والغايات، والصلاة والسلام على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين أما بعد:

إلى أرواح الشهداء الأبرار، إلى المجاهدين الصامدين في غزة، رمز التضحية  
والعزة، الذين كتبوا بدمائهم أنصع صفحات الكرامة، أهدي جهدي المتواضع  
هذا عربون وفاء واعتزاز.

داعياً المولى عز وجل أن يتقبل شهداءهم، ويشفي جرحاهم، ويفرّج كربهم،  
وينصرهم نصراً مؤزراً

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى " وبالوالدين إحساناً." إلى الوالدة الكريمة  
حفظها الله إلى روح الوالد رحمه الله تعالى أسأل الله أن يغفر له ويعفو عنه  
آمين...

إلى الزوجة الفاضلة وأولادي إلى كل الأساتذة الذين درسوني وأخص منهم

بالذكر الأستاذ الفاضل الدكتور طاهر بن علي

إلى جميع الأسرة الجامعية: إدارة وأساتذة وطلبة

وفقههم الله

# شكر وتقدير

بداية أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل فله

الحمد أولاً وأخيراً.

ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يد المساعدة، وفي مقدمتهم

الأستاذ المشرف على هذا العمل الدكتور عمّار غرايسه الذي لم يدخر

جهدا في مساعدتي، فقد كان لي نعم الناصح والمرشد المعين

فله من الله الأجر

ومني كل التقدير

## قائمة المختصرات

المختصرات	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
إش	إشراف
نش	نشر
تخ	تخصص
تع	تعليق
ضب	ضبط
مر	مراجعة
د د ط	دون دار الطبع
د ط	دون الطبعة
د ب ط	دون بلد الطبع
د ت ط	دون تاريخ الطبع
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	الجزء
ص	الصفحة
S d	sans édition
d	édition
p	page

# المقدمة

المقدّمة:

الكتابة التاريخية المحليّة واجب ومتعة لما فيها من الخصوصيات التي تسعى الدراسات الإنسانيّة والاجتماعية إلى تناولها بكلّ جزئياتها؛ من آثارها التي تهتمّ بها الأركيولوجيا إلى الثقافة التي تشغل عليها الانثروبولوجيا، إلى المظاهر الاجتماعية التي تتناولها السوسيولوجيا. والتاريخ يجمع كلّ ذلك، فهذه الدراسات مساعدة للتاريخ في وصفه للأحداث كما وقعت في عصورها بحيثياتها وأبعادها.

وتمثّل واحات الصحراء فضاءات تاريخية لم تتناولها كتب التاريخ العام إلا قليلا، لذلك لا تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ويبقى في نفس المؤرّخ منها شيء يحتاج إلى تأمل، كما يحتاج إلى بيان، إذ التاريخ يهدف إلى الاستقصاء والإلمام. لذلك تعدد الكتابات التاريخية إلى كتب التراجم، وكتب الرحلات، وكتب المناقب، وكتب الأدب لتروي ظمأها من المادّة. وكلّما شحّت المظانّ بالوثائق، كلّما زاد شغف التاريخ.

وتأتي واحة وارجلان في مقدّمة هذه الواحات، مع واحات وادي ريخ، ووادي أسوف، وغيرها، لما شهدته من أحداث على مرّ عصور تقلّب فيها مجتمعا في ظروف سياسية، ودينية، واجتماعية، واقتصادية، ممّا منح تاريخها طابعا خاصا ومميّزا، فكان اهتمام المؤرّخين بها كبيرا، خصوصا من اهتمّ منهم بالتاريخ الإباضي.

ولعلّ التاريخ المذهبي والتاريخ السياسي قد استوى على دراسات كثيرة، خصوصا المرحلة التي سبقت القرن الرابع للهجري، لكنّ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي مازال يمسك بالدراسات، خاصّة في المرحلة بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين، وهي مرحلة مهمّة بين مرحلة الفتح الإسلامي وحركة التمدّن التي أحدثها، ومرحلة التاريخ الحديث وما أحدثته من انقلابات اجتماعية واقتصادية.

من هنا جاء اختياري العنوان التالي لبحثي في رسالة الدكتوراه:

## الاقتصاد والمجتمع في وارجلان من القرن 4/10م إلى القرن 9/15م

أولاً- الأهمية والأهداف:

- أهمية الموضوع:

كلّ ما رآه التاريخ مهمّ، والتاريخ المحليّ أؤكد أهمّية من غيره، خصوصاً إذا كان تاريخه يعرّض لتأويل لا يتناغم مع حركة مجتمعه، ولا يتناسب مع خصائصه الاجتماعية والثقافية، لذلك وجب على المتخصّصين أن ينبروا لكتابة تاريخهم المحليّ، آخذين بعين الاعتبار خصوصياته، ومُجهّزين بالأدوات الأكاديمية والمنهجية، لخوض غمار الكتابة التاريخية، التي تعتمد على التوثيق، والتحرير، والتدليل، والردّ على كلّ الكتابات التي شوّهت تاريخه، ومنها كتابات الأجانب، التي أفادت من جهة، وأسأت من جهات أُخر.

والدراسات التاريخية لحواضر الصحراء مهمّة من أجل تكامل المعرفة التاريخية في نصوصها بين حواضر التلّ والساحل، وحواضر الصحراء والداخل، ووارجلان من الواحات التي شهدت زحماً تاريخياً كبيراً، فكان الاهتمام بها على قدر زخم تاريخها.

- أهداف الدراسة:

- إحداث تراكمية في الدراسات المحليّة من حيث المعارف المستنبطة من الأصول والنصوص القديمة، ومن حيث تمثّلات الباحثين للمواضيع المحليّة، التي تحتاج مناظير كثيرة في دراساتنا.

- إضافة نصّ تاريخيّ متخصّص لمدوّنة تاريخ المغرب الأوسط عامّة، ولتاريخ الصحراء خاصّة.

- إبراز حركة المجتمع كما تصوّرها سكّان وارجلان، ومضوا بها في صناعة التاريخ.

- التعرف على عادات وتقاليد المنطقة، وبيان دورها في تكوين تراث المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، وتأكيد الذاكرة الجماعية التي نحتاجها في إبراز ملامح الشخصية الجزائرية كما حملها التاريخ.
- معرفة الأطوار التاريخية التي مرّت بها واحات الصحراء، وخاصّة في العصر الوسيط.
- التعرف على مدى تأثير الاقتصاد في المجتمع بواحات المغرب الأوسط وخاصّة واحة وارجلان.

### ثانيا - أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع:

يأتي اختياري لموضوع الاقتصاد والمجتمع بوارجلان من من القرن 4/هـ/12م وينتهي عند القرن 9/هـ/15م، كونها تمثل مساهمة حضارية، لإبراز البعد الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة، واعتقادي أنّ موضوع البحث لازال حديثا، فهي محاولة مني لإظهار مكانة وارجلان ومساهمتها الحضارية في تاريخ المغرب الإسلامي، ففي الوقت الذي نجد فيه العديد من الأبحاث حول فترات تاريخية في مناطق أخرى، نجد أنّ منطقة وارجلان لم تحظ سوى بقدر قليل من الدراسات.

ضف إلى ذلك اهتمامي ورغبتني في مجال البحث بدراسة تاريخ المغرب الإسلامي خاصّة فيما يتصل بالمغرب الأوسط في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، لذا وجدت في الموضوع المرغوب دراسته ما يلبي تلك الرغبة من جهة، والتطلع إلى المعرفة من جهة ثانية.

كما يُعدّ هذا البحث تجربة تكوينية علمية، أسهمت في تعميق الاطلاع على التراث الحضاري لمنطقة وارجلان، وفهم أبعاده الاقتصادية والاجتماعية ضمن سياقه التاريخي، بما يدعم التكوين المنهجي والمعرفي للباحث.

ويندرج اختيار هذا الموضوع ضمن توجيهات فرقة التكوين، ونصائح بعض الأساتذة، الذين شدّدوا على ضرورة سدّ النقص الحاصل في الدراسات التاريخية، ولا سيّما ما يتعلّق بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية لحواضر بلاد المغرب الأوسط، التي غالباً ما أُغفلت لصالح موضوعات أخرى.

### ثالثاً- حدود الدراسة:

**1- الموضوع:** تتناول هذه الأطروحة دراسة الاقتصاد والمجتمع في وارجلان ضمن إطار تاريخي محدّد، باعتبارها مجال حضاري، تشكّلت داخله أنساق اقتصادية واجتماعية متفاعلة.

**2- المكان:** يقتصر المجال المكاني على وارجلان، مع الانفتاح على مناطق أخرى لفهم شبكات التبادل والتأثير المتبادل.

**3- الزمان:** حدود الإطار الزمني يمتد من القرن 4هـ/10م وينتهي عند القرن 9هـ/15م، إذ يُعدّ القرن الرابع الهجري مرحلة مفصلية في تاريخ وارجلان، فقد برزت على الساحة التاريخية بعد سقوط الدولة الرستميّة، وفرار آخر الأئمة الرستميين يعقوب بن أفلق إليها، وتمتاز هذه الفترة بتحوّلات بارزة في البنى الاقتصادية والاجتماعية، مع الرجوع أحياناً إلى ما قبلها، قصد الإحاطة بالخلفيات التاريخية للمنطقة.

### رابعاً- إشكالية الموضوع:

الموضوع في عمقه بحث في التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية التي حدّدت الهوية التاريخية لوارجلان خلال الفترة الممتدّة من القرن 4هـ/10م إلى القرن 9هـ/15م، وبيان كيف تطوّرت من واحة إلى مركز تجاري وتجمّع حضاري مع التركيز على إبراز الواقع الاجتماعي والاقتصادي للواحة، لذلك تمحورت الإشكالية في السؤال المباشر:

ما طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها وارجلان خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى القرن التاسع الهجريين، وكيف تفاعلت فيما بينها، وما حدود تأثير هذا التفاعل في تشكيل معالمها الحضارية داخل المجال الصحراوي؟

وتفرّعت منها إشكاليات جزئية تجيب عليها الفصول والمباحث كما انتظمتها الخطة، وهي كالتالي:

- ما هي جغرافية واحة وارجلان، وما هي طبيعتها التي صنّع عليها تاريخها؟
- ما هو عمرانها البشري القديم؟ وكيف تمدّنت في العصر الإسلامي إلى غاية القرن التاسع الهجري؟
- ما طبيعة البنية الاجتماعية لمجتمع وارجلان، وكيف تتشكّل التنوّع العرقي والتراتب الاجتماعي داخله؟
- إلى أيّ حدّ أسهمت حلقة العزّابة في تنظيم المجتمع الوارجلاني وضبط علاقاته الاجتماعية والدينية؟
- ما طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي مارسها مجتمع وارجلان، وما انعكاساتها على استقراره الاجتماعي وتطوّره الحضاري؟

#### خامسا- المناهج المتّبعة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل، فهو أساس الدراسات التاريخية، وعليه تقوم الدراسات التاريخية التي مقاصدها إبراز المعالم الاجتماعية والاقتصادية، وأفادت الدراسة كذلك من المنهج الاستقرائي، الذي تعتمد في قراءة نصوص الرحلة والجغرافيا، ومن الإشارات الواردة في كلّ مخلفات الإنسان، كما استدعت الدراسة المنهج المقارن لعرض الأحداث على بعضها، ومقارنتها ببعضها،

وتمحيصها والتدقيق فيها، حتّى نقارب أكثر في فهم الموضوع وتفسير الأحداث ومناقشتها، وفق رؤية علمية يعتمدها المؤرّخ في إنشاء مواضيعه.

#### سادسا - خطة البحث:

قصد الاحاطة بجوانب الموضوع، ومحاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة، قمنا بإعداد خطة تتضمن مقدمة، وثلاث فصول، وخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، وملاحق ذات الصلة بالفصول.

فقد جاء الفصل الأول تحت عنوان: وارجلان المجال والتاريخ، حيث عالج الفصل الأول ثلاث مباحث؛ تناولنا في المبحث الأول التعريف بوارجلان، تمّ التطرق فيه إلى التسميات التي أطلقت على وارجلان، وقد حاولنا استقراء المصادر التاريخية والجغرافية حول كيفية كتابتها ونطقها، بالإضافة إلى تطرقنا إلى أصل ومعنى التسمية. بينما تناولنا في المبحث الثاني: تأسيس وارجلان وتحديد مجالها الجغرافي، وهذا ضروري لفهم تاريخها. في حين تناولنا في المبحث الثالث التطور التاريخي لوارجلان، أين تطرقنا فيه إلى نشأتها وتتبع تطورها عبر مختلف الأطوار التاريخية، بدءًا من العصر الحجري، ثمّ الروماني، وأخيرا العصر الاسلامي، الذي تقلّب فيه مجتمعها في عهود مختلفة، كان الغالب في ذلك احتضان وارجلان للمذهب الإباضي وما انجر عنه، خاصة بعد سقوط الدولة الرستميّة نهاية القرن الثالث للهجري.

وقد جاء الفصل الثاني تحت عنوان الوضع الاجتماعي في وارجلان ما بين القرنين 4/هـ/12م إلى القرن 9/هـ/15م. وفيه أربع مباحث، خصصنا المبحث الأول لدراسة لدراسة مكونات المجتمع الوارجلاني التي اتسمت بالتنوع والتعدد، وقد تناولنا في دراستنا العنصر البربري، الذي يُعتبر الأقدم في منطقة المغرب بشكل عام ووارجلان بشكل خاص، وركزت على القبائل البربرية التي استقرت في وارجلان، مثل قبيلة بني وركلا التي

استمدت منها وارجلان اسمها، كما أشرنا إلى العنصر العربي الوافد إلى المنطقة، والذي جاء مع هجرات قبائل بني هلال وبني سليم في منتصف القرن الخامس للهجرة، وتأثير ذلك على مختلف جوانب الحياة في المجتمع الوارجلاني، بالإضافة إلى ذلك، تناولنا بعض العناصر قليلة العدد والمتمثل في العنصر اليهودي، وخصصنا المبحث الثاني لدراسة فئات المجتمع الوارجلاني، الذي ينقسم إلى فئتين أساسيتين هما: فئة الأعيان التي تشمل المشايخ والوجوه، والقضاة، والعلماء، والتجار، وفئة العامة التي تشمل الفلاحين، وأصحاب الحرف، وفئة العبيد التي كان لها دور كبير في اقتصاد وارجلان، أما المبحث الثالث تم التطرق فيه إلى حلقة العزّابة ودورها في تنظيم مجتمع وارجلان، من خلال التعريف بها وتأسيسها، والتعريح على مهامها، ثمّ تسليط الضوء على التركيبة الاجتماعية وتأثيرها على الأوضاع في وارجلان، خاصّة بعد توافد العنصر العربي إلى المنطقة، وصولاً إلى دور العزّابة في توجيه الحياة الاجتماعية فيها. وأخيراً المبحث الرابع الذي تناولنا فيه مظاهر الحياة الاجتماعية في وارجلان، من خلال دراسة الاسرة الوارجلانية، حيث قدمنا نماذج عنها، ثمّ إلقاء نظرة على المرأة الوارجلانية التي لم يقتصر عملها في البيت، بل كان حضورها ومساهمتها في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فضلاً عن الميادين الدينية والعلمية، ممّا أسهم في إبراز شخصيتها التي أتاحت لها القدرة على تفعيل وجودها في المجتمع الوارجلاني، كما تناولنا الطبوع والتقاليد في المجتمع الوارجلاني.

ثمّ في الفصل الثالث المعنون به حركة الاقتصاد في مجتمع وارجلان ما بين القرنين 4/هـ12م و 9/هـ15م، وضم أربع مباحث، خصصنا المبحث الأول لدراسة النشاط الفلاحي والصناعي بوارجلان ما بين القرنين 4/هـ12م و 9/هـ15م. أين تناولنا فيه مصادر المياه في وارجلان، والتي اشتهرت بوفرة مياهها الجوفية، ثم دراسة النشاط الزراعي والرعي، وفيه استطاع مجتمع وارجلان تذليل الكثير من هذه الصعوبات،

وأوجدوا وسط بيئتهم الصحراوية حياة زراعية ناجحة، فحولوا المنطقة إلى جنّات وغبابات متواصلة من النخيل، كما اهتموا بتربية الجمال وتربية الماشية، وفي المبحث الثاني تناولنا النشاط الصناعي الذي كان مرتبط ارتباطا وثيقا بالحرف اليدوية والموارد الطبيعية المتاحة، مثل النخيل والجلود والألياف، كما اشتهرت وارجلان في صناعة ضرب العملة، والتي ساهمت بشكل كبير في تعزيز عملية التبادل التجاري وسهلت المعاملات مع الدول المجاورة، وفي المبحث الثالث النشاط التجاري في وارجلان ما بين ما بين القرنين 4هـ/12م و 9هـ/15م، الذي تناولنا فيه الطرق التجارية، واسواق وارجلان وتعاملاتها، والمكاييل والموازن المنتشرة في وارجلان، ثم ذكرنا صادراتها ووفي مقدّمتها مادّة الملح، ذات الأهميّة الكبيرة في بلاد السودان حيث كان يُستخدم في بعض الأحيان كوسيلة للتبادل التجاري بدلاً من العملات النقدية أمّا الواردات فقد كانوا يستوردون مواد متوّعة من بلاد السودان ومدن المغرب الإسلامي، خاصّة الذهب والعبيد، فلم تكد تخلو منهما أيّ قافلة قادمة من بلاد السودان، وأخيرا المبحث الرابع الذي تناولنا فيه أثر الاقتصاد على وارجلان، حيث تطرقنا فيه إلى التجارة ودورها في التحول العمراني في وارجلان، أين كان للقبائل الثرية والتجّار الأغنياء دور كبير في توسّع الحركة العمرانية في المنطقة، فقد تحوّلت القصور الصغيرة المتناثرة إلى مدينة مترابطة ومزدهرة، وعرجنا على مظاهر التوسّع العمراني الذي تجلّى في بناء القصور والقرى، بالإضافة إلى المساجد التي شكّلت جزءاً أساسياً من نسيجها الحضاري-الاجتماعي والعمراني-.

وختاما لما قدمناه في الكشف عن فصول البحث تأتي الخاتمة كحوصلة لما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات، ونظرا لأهميّة الموضوع فقد أرفقنا الخاتمة بأفاق مستقبلية.

## سابعاً- الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي وقفت عليها:

1-دراسة الباحث عمار غرايسة "المدينة الدولة في المغرب الأوسط. وارجلان أنموذجاً ق4-6هـ/10-12م" رسالة ماجستير غير مطبوعة في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي- تاريخ وسيط-، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2008م، تعتبر هذه الدراسة من أبرز الدراسات التي اعتمدنا عليها في دراستنا، وقد تناولت الدراسة وارجلان من جميع الجوانب، ممّا يجعلها مرجع مهم لفهم تطور المدينة من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي)، اعتمدنا على هذه الدراسة بشكل كبير في مختلف فصول بحثنا، ساعدتنا في تحليل الجوانب المختلفة للمدينة، ممّا أتاح لنا بناء أساس متين لدراستنا. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الدراسة اقتصرت على الفترة من القرن 4 إلى القرن 6 الهجري، ممّا يعني أنّها لم تتناول التطورات اللاحقة التي شهدتها وارجلان في القرون التالية (ق6-9هـ)، هذا الإطار الزمني يجعل الدراسة غير كافية لفهم التغيرات التي حدثت في وارجلان خلال القرون اللاحقة، وهو الجانب الذي حاولنا تغطيته في دراستنا هذه، فقمنا بتحليل كيف أثرت الأحداث التاريخية، مثل هجمات بني غانية ودور التجارة الصحراوية، على تطور المدينة وانعكاس ذلك على عمرانها.

2-دراسة الباحث عمر سليمان لقمان بوعصبانة وهي شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية من معهد أصول الدين بجامعة الجزائر خلال الموسم الجامعي 1992-1991م المعنونة ب "معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من 296هـ-626هـ/909م-1229م"، وهي دراسة مفصلة عن وارجلان سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية وحتى الاقتصادية، ممّا ساعدتنا في فهم الأساس الذي بنيت عليه المدينة في القرون المدروسة خاصّة الجانب الاجتماعي، خاصّة التركيبة السكانية لوارجلان بمختلف

عرقياتها، ومع ذلك، فإنّ حدودها الزمنية تجعلها غير كافية لفهم التغيرات اللاحقة في المدينة، وهو الجانب الذي حاولنا تغطيته في دراستنا الحالية.

3-دراسة الباحث إلياس بن عمر حاج عيسى "مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (ق4-10هـ/10-16م)"، رسالة ماجستير تخصص التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر، (2008-2009م). تُعتبر دراسة مهمة ركزت على الجوانب الاقتصادية والفكرية في وارجلان خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري (العاشر إلى السادس عشر الميلادي)، قدمت الدراسة جانب للنشاط الاقتصادي في وارجلان، كما تناولت الدراسة الحياة الفكرية في وارجلان، ممّا أضاف بعدا ثقافيا لفهم تطور المدينة، وقد اعتمدنا على هذه الرسالة بشكل خاص في الفصل الثالث، خاصّة عندما تطرق صاحبها إلى النشاط التجاري والطرق التجارية التي ربطت وارجلان بالسودان الغربي، وعلى الرغم من إغفال صاحب الرسالة للنشاط الصناعي، إلّا أنّ الدراسة قدمت إطارًا عامًا لفهم الاقتصاد الوارجلاني.

4-دراسة الباحث أحمد نكار "حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي (1883-1591م)"، رسالة ماجستير في التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار (قسم التاريخ)، 2009-2010م. دراسة أحمد نكار تُعتبر مرجعا قيما لفهم النشاط التجاري لوارجلان في العصر الحديث، خاصّة علاقتها مع السودان الغربي، ومع ذلك فإنّ تركيزها على الفترة الحديثة يجعلها محدودة في تغطيتها للفترات السابقة (العصر الوسيط). واستفدنا من هذه الدراسة كان حول الحديث عن تأسيس وارجلان والأطوار التاريخية التي مرت بها، ممّا ساعدنا في بناء إطار زمني شامل لتطور المدينة عبر مختلف العصور.

ثامنا - دراسة نقدية للمصادر والمراجع:

### أ - كتب التاريخ والسير والطبقات

لاشك أنّ دراسة المصادر المعتمدة في البحث تقدم صورة واضحة للمعلومات الواردة فيه، وتظهر قيمتها وتعكس درجة دقتها ومن جملة المصادر التاريخية المستعملة في هذا البحث:

1- "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت 471هـ)، قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور إسماعيل العربي، ورغم أنّه يغلب عليه الطابع المنقبي المتمثل في ذكر الكرامات والأخبار الأسطورية، إلا أنّه غني بمادة ثرية لدراسة الوسط الاجتماعي في وارجلان، ، ناهيك عن معلومات اقتصادية ، كما أفادني بمعلومات جغرافية عن وارجلان ومدنها، حيث اهتم بجميع المناطق الإباضية قديما وأخص بالذكر أريغ، أسوف ووارجلان، كما يُعتبر المؤلف من أقرب المؤلفين الإباضيين إلى نشأة نظام حلقة العزّابة، وحديث عهد بها، لذا تُعتبر معلوماته من أكثر المصادر موثوقية. فهو ينتمي إلى علماء الطبقة العاشرة (450-500هـ)، وقد نقل معظم أخباره وأحاديثه عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، الذي توفي عام 471هـ/1078م.

والكتاب أقدم مصدر لتاريخ وارجلان، وهو مصدر أساسي، أخذت عنه معظم المصادر الإباضية التي تلتها، وبحكم نشأة أبو زكريا في وارجلان أفادنا كثيرا في التعرف على جوانب من الحياة الاجتماعية بهذه الحاضرة.

2- "السير" لأبي الربيع الوسياني (ت 557هـ/1161م) الذي ألف كتاب في منتصف القرن السادس الهجري ويعرف باسمه فيقال: "سير الوسياني". قام بتحقيقه الأستاذ عمر بن لقمان بو عصابة، وقد اشتهر كمؤرخ للمنطقة، حيث ذكر عنه كل من الدرجيني والشماخي، أمّا أسلوبه في التأليف فيختلف كثيرا عن أسلوب أبي زكرياء، والذي

تمثل في ذكر روايات مشايخ الاباضية ببلاد المغرب، بدءا من بشيوخ جبل نفوسة، ثم جربة، ثم روايات قسطيلية، ونفزاوة، وروايات سوف، وأريغ، وأخيرا روايات مشايخ وارجلان، وهو مهمّ من حيث المواضيع الجغرافية والمعلومات والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية، يهتم بالمسائل الفقهية الى جانب ذكر سير المشايخ، وأسماء الأماكن القديمة والقرى المندثرة. أفادنا خاصّة في الفصل الثالث كثيرا في استخلاص بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية من خلال مرويات مشايخ وارجلان، كما تطرق إلى ذكر العديد من القرى والمواضع في وارجلان والتي غابت في كثير من المصادر الاباضية الأخرى.

3- "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة" لمؤلف مجهول، الذي عاش في القرن السادس للهجرة؛ مرحلة تدوين السير الاباضية، في نفس العصر الذي نجد فيه المدونات الكبرى، ككتاب السير لأبي الربيع بن عبد السلام الوسياني(ت 557هـ/1161م)، عرف بـ "المعلقات" في المصادر الاباضية. وهو من أهم المصادر الاباضية، فهو يعين على تتبع الآثار ومعرفة الأعلام ونسبتهم إلى بلدانهم، كما أنه رحلة تاريخية جغرافية بين أماكن تواجد الاباضية في بلاد المغربين الأدنى والأوسط من وارجلان وأريغ وسوف غربا إلى نفوسة وجربة شرقا، وقد اتبع صاحبه نفس أسلوب الوسياني في التأليف خصص المؤلف لكل حاضرة من حواضر الإباضية عنوانا لتلك المنطقة، وأدرج تحتها ما وصل إليه من الأخبار والروايات تنسب إلى مشايخها وأهلها، فيذكر مثلا "حكايات وارجلان"، ثم "حكايات أريغ"، فهو بذلك مصدر خبري وتاريخي وسيري، يشمل على جوانب اجتماعية واقتصادية، افادتنا في البحث خاصّة الاشارات التي تخص النشاط الفلاحي والتجاري، وأحوال الأسواق، والبيع والشراء، والمكاييل والموازن التي كانت منتشرة في وارجلان.

4- "طبقات المشايخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت 670هـ/1271م)، تأثر بنهج أبي زكريا في تأليفه. إنَّ طبقات الدرجيني تُعتبر مجموعة من

السير والتاريخ والفقهاء، وتعدُّ مرجعاً مهماً لتاريخ الإباضية في المغرب، فهو يحتوي على معلومات قيمة حول واحات وارجلان وأريغ، ووادي سوف، وجربة، وجبل نفوسة، وغيرها من المناطق. تأثر بأسلوب أبي زكريا في تأليفه، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، حيث لا يكاد يخلو فصل من المعلومات القيمة والمتنوعة التي يحتوي عليها. فقد تناول فيه مناقب المشايخ والعلماء وطرق تحصيلهم للعلم، خاصة من خلال حلقات الدراسة. كما استعرض مسالك الدين والعزّابة، وأشار إلى العادات والتقاليد الوارجلانية، مما جعله مرجعاً مهماً بالنسبة لنا.

5- "السير" لأبي العباس أحمد ابن سعيد الشماخي (ت 928هـ/1522م). ويعد مصدراً شاملاً وجامعاً للمصادر التاريخية السابقة، استطاع اختصار سير من قبله وتكملتها وجمع فتاوى الأئمة ومروياتهم المختلفة، وهو بمثابة ذاكرة جماعية للنخبة الإباضية من بداياتها إلى نهاية العصر الوسيط، احتوى كتاب الشماخي العديد من الاشارات الاجتماعية والاقتصادية التي استنبطناها من خلال مرويات المشايخ والعلماء والوجهاء في وارجلان.

6- "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر": يُعتبر هذا الكتاب الذي ألفه العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المعروف باسم ابن خلدون (ت 808هـ / 1404م) من أبرز المصادر التاريخية. فقد تمكن مؤلفه من تناول أحداث وأخبار سياسية وعسكرية وحضارية واقتصادية تتعلق بدول ومجتمعات وقبائل منذ بداية الخلق وحتى عصره. أفادنا هذا المصدر لاسيما المجلدين السادس والسابع، كونه مصدراً رئيسياً لتاريخ القبائل البربرية من حيث نسبهم وأصلهم ومناطق تواجدهم، عاداتهم وتقاليدهم، ومنها قبيلة بني واركلا التي يرجع إليها الفضل في تأسيس وارجلان أخذ التسمية منها، كما يُعد مصدراً أساسياً لتاريخ القبائل الهلالية من بني هلال وبني سليم في بلاد المغرب.

## ب-المصادر الجغرافية:

1- "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م) كُتب هذا المصدر في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ويقدم وصفا دقيقا للسودان الغربي، بما في ذلك مدنه ومسالكه والمسافات بينها. وعلى الرغم من تركيزه الرئيسي على الجغرافيا، إلا أنّ الكتاب يتضمن أيضا نبذات تاريخية. كما يحتوي المصدر على معلومات وفيرة ودقيقة، مما يجعله مرجعا قيما لفهم مدن المنطقة، خاصّة وارجلان، واهتم أيضا بوصف الطرق التجارية، والأسواق والحركة التجارية والسلع الصادرة والواردة، فقد كان هذا الكتاب مصدر مهم لنا خاصّة في الفصل الثالث.

2- "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المشهور بالشريف الإدريسي (ت: 560هـ / 1165م)، وهو من أفضل ما ألف في الجغرافيا نظرا لاعتماده على أمهات المصادر التي ألفها الجغرافيون والرحالة الذين سبقوه، غني بالمعلومات الجغرافية و التاريخية، وفيما يخص وارجلان فقد ذكر المدينة و المستوى الاقتصادي الذي وصلت إليه، ويحفل الكتاب بمعطيات حول الاقتصاد والمجتمع بالحواضر والأرياف السودانية، ويقدم نصوصا عن تجارتي الذهب والعبيد وطرق التجارة.

3- "الإستبصار في عجائب الأمصار: مؤلف مجهول (ت-ق 5هـ/32م)، لا يقل أهمية عن باقي كتب الجغرافية ويعد الكتاب مصدرا جغرافيا وتاريخيا وأثريا في نفس الوقت، حيث يقدم وصفاً تفصيلياً للثروات الزراعية والمعدنية في المناطق التي يتناولها، كما قدم معلومات مستفيضة أفادت الباحثين خاصّة في مجال التجارة من منتجات وبعض الحيوانات البرية.

4-معجم البلدان: للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت525هـ/1228م)، يعد معجماً جغرافياً هاماً إذ يصف فيه المدن بدقة متناهية وله أهمية لمن يريد أن يؤرخ للحياة الاقتصادية فهو يمدنا بمختلف المزروعات التي تتوفر عليها كل إقليم أو مدينة من المدن، كما يقوم بتحديد رقعة المغرب الأوسط الجغرافية وحدودها تحديداً دقيقاً مع ذكر الحصون الموجودة به، مع عدم إغفال أسماء مؤسسي بعض المدن

6- "الجغرافيا" لأبي الحسن علي بن موسى (ت 685هـ / 1286م) وهو جغرافي رحالة تنقل في العديد من البلدان في طلب العلم بين الشام و الحجاز و مصر وبلاد المغرب، أشار ابن سعيد إلى وارجلان في مؤلفه إلى الموقع الاستراتيجي للمنطقة وامتدادها الجغرافي ودورها الاقتصادي. كما تناول بلاد السودان من خلال دراسته لكتابات الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه.

7- "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان المعروف ب"ليون الإفريقي" (ت بعد 957هـ/1550م)، والذي كانت له رحلتان إلى بلاد السودان يعتبر كتابه مصدر غني بالمعلومات حول أوضاع المجتمع في كل مدينة زارها، وقدم عنها صورة اجتماعية واقتصادية وثقافية متنوعة عنها، ومن بينها مدينة وارجلان حيث أورد عنها معلومات خاصة بالتجار والوفود القادمين إليها من قسنطينة وتونس، وذلك لكرم أهلها.

كما تعتمد الدراسة على مراجع كثيرة ومتنوعة منها، ومن جملة هذه المراجع كتاب "الإباضية في المغرب الأوسط" لمسعود مزهودي، الذي درس فيه الأوضاع العامة للإباضية في المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستميّة في سنة 296هـ / 909م، حتى هجرة قبائل بني هلال إلى تلك المناطق في سنة 442هـ / 1058م. وقد تناول الباحث الحياة الاقتصادية وطرق التجارة، مع التركيز على مكانة وارجلان وسدراتة في هذا السياق. كما استعرض نشأة نظام العزّابة وأثره في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية

والاقتصادية، بالإضافة إلى الجو الثقافي السائد في تلك الفترة. كما بحث في دور نظام التعليم وتقسيماته في هذه العملية التربوية.

و كتاب "غصن البان في تاريخ وارجلان" للأستاذ إبراهيم أعزام وتكمن أهميته في التأريخ لمدينة وارجلان وأحوازها، وفيه جمع المؤلف ما تفرق في المصادر القديمة حول تاريخ وارجلان ونسب أهلها، وعمرانها منذ القديم إلى العصر الحديث، فهو كتاب في التاريخ الحضاري للمدينة، وكتاب آخر هو: "الدولة الرستميّة 160-296هـ دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية" للدكتور بحاز إبراهيم، بالإضافة إلى كتاب "الإباضية في موكب التاريخ" لعلي يحي معمر.

كما استندت الدراسة أيضًا إلى مجموعة من المراجع باللغة الفرنسية، والتي كتبها في الغالب مؤلفون فرنسيون من رجال الدين، مثل جون ليثيو (JEAUN LETHIEUX)، ودينيس بيلي (DENIS BILLET)، وألان رومي (ALAIN ROMÉY)، بالإضافة إلى الباحث البولوني المتخصص في الدراسات الإباضية، تادوس ليفيتسكي (TADOSE LEVETSKI).

أما بالنسبة للدوريات التي تناولت تاريخ وارجلان، فأبرزها مجلة الأصالة التي تصدر عن مطبعة البعث في قسنطينة، حيث قامت بنشر مجموعة من الدراسات والمقالات المتعلقة بوارجلان وتاريخها. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المقالات كانت في الأصل محاضرات تم تقديمها خلال ملتقى الفكر الإسلامي الحادي عشر الذي عُقد في وارجلان عام 1977م.

### تاسعا - صعوبات البحث

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهت الباحث، فقد تمثلت في نقص المادة العلمية المتوفرة، حيث أنّ المؤرخين الذين تناولوا الموضوع غالبًا ما ذكروه بشكل عرضي أو عابر، وذلك في إطار الحديث عن مناطق أخرى أو أحداث مختلفة، هذا النقص في

المصادر المباشرة والتفصيلية جعل عملية البحث أكثر تعقيدًا، حيث تطلب الأمر جمع المعلومات من مصادر متنوعة وربطها بشكل منهجي لتكون في صورة متكاملة

تُعتبر ندرة المصادر التي تتناول وارجلان في المجالات الاقتصادية والاجتماعية أحد التحديات الرئيسية التي واجهت الباحث، فالمعلومات المتوفرة عن هذه الجوانب محدودة، وغالبًا ما تكون مبعثرة أو مذكورة بشكل غير مباشر في سياق الحديث عن مناطق أخرى أو أحداث مختلفة. هذا النقص في المصادر المباشرة والتفصيلية يجعل من الصعب تكوين رؤية شاملة ودقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في وارجلان، مما يتطلب اعتمادًا أكبر على التحليل المنهجي وربط المعلومات المتفرقة من مصادر متنوعة. تعتبر قلة المراجع، خاصة الأجنبية منها، التي تتناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لحاضرة وارجلان خلال الفترة المدروسة، أحد التحديات الكبرى التي واجهت الباحث. فالمراجع المتخصصة التي تركز بشكل مباشر على هذه الجوانب نادرة.

تشابه المادة العلمية لدى العديد من الجغرافيين يعتبر أحد التحديات التي واجهت الباحث، حيث أنّ الكثير منهم اعتمد على النقل من مصادر سابقة دون إضافة تحليل جديد أو معلومات إضافية، وهذا أدى إلى تكرار المعلومات في العديد من المصادر، مما يجعل من الصعب العثور على رؤى جديدة، هذا التكرار يحد من تنوع وجهات النظر ويجعل عملية البحث أقل ثراء، حيث يصبح الاعتماد على مصادر متشابهة أمرًا لا مفر منه.

في الختام، من الضروري أن نعبر عن شكرنا للذين قدموا لنا الدعم. لذا، أود أن أقدم عميق امتناني وتقديري للأستاذ المشرف الدكتور عمّار غرايسة، الذي خصص من وقته وجهده لمساعدتي خلال هذا العمل، وكان لي عونًا كبيرًا. كما أوجه الشكر لكل

ساعدني من قريب أو بعيد، وأسأل الله العليّ القدير أن يجزيهم خير الجزاء في الدنيا  
والآخرة.

## الفصل الأول:

### وارجلان المجال والتاريخ

المبحث الأول: التعريف بوارجلان

المبحث الثاني: التأسيس والمجال

المبحث الثالث: التطور التاريخي لوارجلان

## المبحث الأول: التعريف بوارجلان

## أولاً- إشكالية التسمية:

من الإشكاليات التي يطرحها هذا الموضوع على مستوى المفاهيم؛ إشكالية تتعلّق برسم كلمة وارجلان، التي اختلفت المصادر والمراجع في كيفية كتابتها ونطقها، إذ وردت بعدة تسميات؛ وارجلان، وارجلن، ورجلان، واركلان، وركلا، وركلي، ورقلان، وركلة، وغيرها. ولم تتفق المصادر على لفظ واحد، وهذا ما أشار إليه أعزام صاحب كتاب "غصن البان في تاريخ وارجلان" قائلاً: "وارجلان واركلان واركلا ورقلة، وارقلا وارقلان هذه الأسماء كلّها واقعة على هذا الوطن قديماً وحديثاً".<sup>1</sup> إلا أنّ جميع هذه الأسماء المختلفة في شكلها ونطقها تدلّ على مكان واحد وهو حاضرة وارجلان.

من ذلك نجد أنّ البكري (ت487هـ/1094م) ذكرها باسمين مختلفين،<sup>2</sup> في موضع باسم وارجلن<sup>3</sup>، وفي موضع آخر أوردها بلفظ وارجلان<sup>4</sup>، وهو اللفظ نفسه الذي جاء عند أبي زكرياء (ت بعد 471هـ/1081م).<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ابراهيم بن صالح بابا حمّو أعزام: غصن البان في تاريخ ورجلان، تح، ابراهيم بحاز وسليمان بومعقل، دار العالمية، غرداية، ط1، 1434هـ/2013م، ص 56.

<sup>2</sup> كثيراً ما يجانب الصواب عدد من الباحثين حينما ينسبون للبكري تسمية واحدة لوارجلان ويقتصرون على ذكر لفظ (وارجلان) بينما ذكرها في كتابه بلفظين مختلفين (وارجلن، وارجلان).

<sup>3</sup> أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري: المسالك والممالك، تح، جمال طلبية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م/1424هـ، ج2، ص 260.

<sup>4</sup> نفسه، ج2، ص371.

<sup>5</sup> أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، تح، إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م، ص20.

ونفس اللفظ نجده عند الوسياني (ت حوالي 557هـ/1161م)<sup>1</sup>، والبغطوري (ت حوالي 599هـ/1203م)<sup>2</sup>، والدرجيني (ت حوالي 670هـ/1271م)<sup>3</sup>، والشماخي (928هـ/1522م)<sup>4</sup>، حيث لا يذكرون هذا الوطن إلا باسم وارجلان. وهي التسمية التي اعتمدها في هذا العمل، ذلك أنّ جلّ المؤرّخين الإباضيين قد ذكروها بهذا اللفظ، وهم أعلم بتاريخ المنطقة، وهم أدري بالاسم وبمدلوله.<sup>5</sup>

وورد اسم واركلان -بالكاف بدلا من الجيم- عند ابن سعيد المغربي (ت 640هـ/1165م) حيث قال: "ومدينتها تسمى واركلان..."<sup>6</sup>، وعند ابن خلكان (ت 681هـ/1203م) في قوله: "وأما واركلان فإنه بفتح الواو وبعد ألف راء مفتوحة أيضا ثمّ كاف ساكنة وبعد اللام ألف ونون"<sup>7</sup>. كما وردت بهذا اللفظ عند ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) كما سيأتي.

<sup>1</sup> أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسّان الوسياني: سير الوسياني، تح، عُمر بن لقمان حمّو سليمان بوعصبانة، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م، ج1، ص424.

<sup>2</sup> مقرين بن محمّد البغطوري: روايات الأشياخ أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تح، عمر سليمان بوعصبانة، دار خزائن الآثار، عُمان، ط1، 1438هـ/2017م، ص218.

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح، إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، دط، 1974م، ج2، ص331.

<sup>4</sup> أبو العباس أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد بدر الدين الشماخي: كتاب السير، تح، أحمد بن سعود السيابي، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1412هـ/1992م، ج2، ص46.

<sup>5</sup> عمر سليمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، رسالة ماجستير، تخصّص العلوم الإسلامية، إشر، محمّد ناصر، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، 1412هـ/1992م، ص10.

<sup>6</sup> أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي: الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 190م، ص126.

<sup>7</sup> أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، دط، 1398هـ/1978م، ج1، ص287.

وأطلق عليها ياقوت الحموي (ت626هـ/1282م) في معجمه ورجلان بدون ألف، وضبطها قائلاً: "ورجلان بفتح أوله وسكون ثانية وفتح الجيم وآخره نون"<sup>1</sup>. وكان أبو يعقوب يوسف الوارجلاني (570هـ/1175م) يكتبها باللفظ نفسه، إذ جاء في كتابه الدليل والبرهان "وأنا في ورجلان سدراته..."<sup>2</sup>، بينما وردت باسم وارقلان-بالقاف بدلا من الجيم- عند الإدريسي (ت560هـ/1165م)،<sup>3</sup> والزهري (ت541هـ/640م)<sup>4</sup>.

أما ابن خلدون فقد أورد ألفاظا كثيرة؛ لفظ باسم واركلان أوردها في معرض ذكره لقبائل البربر في المغرب حيث قال: "والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمّة، وهي هؤارة... وواركلان، وغيرهم"<sup>5</sup>، ولفظ باسم واركلي، حيث قال: "ثمّ بلد واركلي قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل.."<sup>6</sup>، ولفظ باسم واركلا، في قوله: "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة..."<sup>7</sup>.

وهذا اللفظ الأخير مذكور في قصيدة ميمية لأبي حمّو زيّان الثاني سلطان دولة بني عبد الواد بتلمسان (723-971هـ/1321-1389م) إذ قال:

<sup>1</sup> شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دط، 1977م، ج5، ص371.  
<sup>2</sup> أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مّاد الوارجلاني: الدليل والبرهان، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1414هـ/1997م، ج3، ص133.  
<sup>3</sup> أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحمّودي الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ، ج1، ص111.  
<sup>4</sup> أبو عبيد الله محمّد بن بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تح، محمّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (مصر)، دط، دت ط، ص112.  
<sup>5</sup> عبد الرحمان بن محمّد بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، دط، 1421هـ/2000م، ج6، ص122.  
<sup>6</sup> نفسه، ج6، ص132.  
<sup>7</sup> نفسه، ج7، ص69.

"وجئت لواركلا وجزت مصابها ولا مخبر غير الصلاد الأعاجم"<sup>1</sup>

وخالف الحسن الوزان (ت957هـ/1550م) فذكرها باسم وركلة بنصب الواو، وسكون الراء، وتثقيط الكاف بثلاثة نقاط إلى الأعلى مع تسكينه،<sup>2</sup> ونصب اللام حيث قال: "وركلة مدينة أزية...".<sup>3</sup>

وذكر سعد زغلول الألفاظ التي تطلق على وارجلان (وركلان، واركلي، واركلا) وهي نفسها التي ذكرها ابن خلدون في كتابه العبر ثم أردف قائلا: "حرف الكاف تنطق كحرف الجيم المصرية"<sup>4</sup>، وعليه يمكن القول أن القاعدة في كتابة هذه الألفاظ أن تقول كل ما يجلب يكلل ويقلل مثل ما ينطق المصريون الجيم قافا و اليمنيون القاف قافا.<sup>5</sup>

أما المراجع المعاصرة فقد ذكرت اسمها في صورتين مختلفتين (وارجلان وورقلة).<sup>6</sup> فالشيخ أعزام ذكرها بلفظ "وارجلان" أين قال: "إلا أنّ الاسم المعروف به الآن هو وارجلان".<sup>7</sup> كما تعرّض لها الشيخ أحمد توفيق المدني إذ قال: "ورقلة اسمها الأصلي بني

<sup>1</sup> أبو حمو موسى الثاني الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح و تع، محمود بوترة، دار النعمان، الجزائر، دط، 2012م، ص70. هذا وورد عند يحيى بن خلدون: وجئت لوارجلا وجزت مصابها. ينظر: أبو زكرياء يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، علم المعرفة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2011م، ج2، ص27.

<sup>2</sup> هكذا يرسم أهل المغرب حرف اللفاف، الذي نرسمه نحن بثلاث نقط فوقية، ولذلك يكون اسمها على عهد الوزان هو اسم مدينة ورقلة المعاصر.

<sup>3</sup> الحسن ابن محمد الوزان الفارسي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجّي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2، ص136.

<sup>4</sup> عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993م، ج1، ص73.

<sup>5</sup> نفسه، ص164.

<sup>6</sup> أحمد نكار: حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسوادان الغربي 1000هـ إلى 1300هـ/1591م إلى 1983م، مذكرة ماجستير، تخصّص التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إش، محمد حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص06.

<sup>7</sup> أعزام، المرجع السابق، ص56

وارجلان قصر من أبداع القصور البربرية في الجنوب الجزائري، كانت محطّ رجال الإباضية عندما تشبّت الدولة الرستميّة في القرن العاشر الميلادي<sup>1</sup>، حيث نسب أصلها إلى البربر، وذكر أنّها معقل من معاقل الإباضية الذين توجّهوا إليها فارّين بعد سقوط دولتهم على أيدي العبيديين.

وأطلق عليها الرخّالة والمستكشفون والأثريون الأوروبيون<sup>2</sup> الذين قدّموا إلى وارجلان في القرن التاسع عشر ميلادي اسم ورقلة (Ouargla)، فقد ذكروها في مصنّفاتهم دون أن يقدّموا توضيحا حول أصل الكلمة.<sup>3</sup>

ومُلخّص القول أنّ لوارجلان عدّة تسميات رغم تباينها إلا أنّها تصبّ في معنى واحد، وأنّها واقعة على هذا الوطن قديما وحديثا<sup>4</sup>. ويعود سبب هذا التباين في نظرنا إلى الاختلاف الحاصل في نطق الحروف وتغاير لهجات المؤرّخين، وما يصاحبه من تحويرات للفظ مع مرور الزمن.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م، ص 244. وينظر: أحمد نكار، المرجع السابق، ص7.

<sup>2</sup> حول المكتشفين والرحالة الذين زاروا وارجلان مطلع القرن التاسع عشر ميلادي ينظر: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني: الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2019م، ص618؛ أحمد نكار، المرجع السابق، ص7. الهامش رقم 04.

<sup>3</sup> أحمد نكار، المرجع السابق، ص7.

<sup>4</sup> أعزام، المرجع السابق، ص56. وينظر علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، دار مكتبة الضامري، عمان، ط3، 1429هـ/2008م، ج2، ص270.

<sup>5</sup> عمّار غرايسة: المدينة الدولة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، تخ حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي -تاريخ وسيط-، إش، عبد العزيز الفيلاي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص13.

وتجدر الإشارة أنّ لفظ "وارجلان" يقصد منه البلد، والإقليم، والناحية، والحوزة، وكلّ هذه المعاني مجتمعة.<sup>1</sup> كما أنّها عاصمة لمجموعة من القصور والقرى الكثيرة المجاورة لها، ضاربة في البرّ محصّنة بسور له أبواب، وهو ما أشار إليه الحسن الوزان بقوله: "وركلة مدينة أزليّة بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيء ودور جميلة، وحولها نخل كثير. ويوجد بضواحيها عدّة قصور وعدد لا يحصى من القرى".<sup>2</sup>

استوطنتها قبائل عدّة اختصّت كلّ قبيلة بقرية أو أكثر، وكان على كلّ قبيلة رئيس أو أمير يتولّى شؤونها في السلم والحرب،<sup>3</sup> وقد أورد أبو زكرياء عن عام الزيارة سنة 449هـ/1057م وكيف كان استقبال أهل وارجلان للمشايخ قائلاً: "تلقّاهم جموع أهل وارجلان، كلّهم، بأمرائهم وسلاحهم وهيئتهم، (وكذلك تلقّاهم) من يليهم من منازل وارجلان بعدّة عظيمة عجيبة".<sup>4</sup>

كما أورد ياقوت الحموي أنّ عاصمتها تدعى "جوهة"، أو "فجوهة"، ومنطقتها كثيرة الاتّساع ضاربة في البرّ؛ حيث قال: "جوهة بالضمّ ثمّ السكون، وفتح الهاء الأولى بليدة بالمغرب في أقصى إفريقية، وهي قصبة كورة مجاورة لبلاد الجريد<sup>5</sup> تسمّى ورجلان"<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> يحي بوراس: "قرى وأسماء مواضع في إقليم وارجلان"، مجلة الحوليات، المتحف الوطني للآثار، العدد 10، الجزائر، 1422هـ/2001م، ص 128.

<sup>2</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 136.

<sup>3</sup> بوراس، المرجع السابق، ص128.

<sup>4</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 286؛ بوراس، المرجع السابق، ص128.

<sup>5</sup> بلاد الجريد: بلاد الجريد تعرف بهذا الاسم كما تعرف باسم قسطيلية، تقع في الجنوب الغربي لإفريقية من أهم مدنها توزر، نفطة، الحامة، قنطرار. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص225، وينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص58، وينظر صالح باجيه: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، اش، علي الشابي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1396هـ/1976م، ص6. وينظر بوشامة، المرجع السابق، ص67.

<sup>6</sup> الحموي، المصدر السابق، ج2، ص191.

وقال في موضع آخر: "وارجلان بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الجيم، وآخره نون كورة<sup>1</sup> بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البرّ كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجانة، واسم مدينة<sup>2</sup> هذه الكورة فجوهه"<sup>3</sup>.

وعليه، يمكن القول أنّ المقصود باسم "وارجلان" المدينة وما يحيط بها من القرى والقصور الموجودة في مجالها، فهي إذا إقليم واسع، وفي الوقت نفسه اسم لمدينة يمكن اعتبارها عاصمة لذلك الإقليم،<sup>4</sup> من ذلك ما أورده الدرجيني في طبقاته ما يدل على أنّ المقصود من لفظ وارجلان المدينة حين تحدّث عن تخريب يحيى بن اسحاق الميورقي لوارجلان سنة 626هـ/1230م<sup>5</sup> حيث قال: "هدم كل ما دار عليه سورها إلى المسجد،

<sup>1</sup> حدد المستشرق ليفتسكي Lewicki هذه الكورة أنّها تعني بلاد ورقلة وقرها التي تنتمي إليها لتكون مدينة معتبرة، تحمل اسم وارجلان. ينظر:

Tadeusz Lewicki, *Etudes Maghrébines et Soudanaises*, Académie Polonaise des Sciences, comité des etudes Orientales, Varsovie 1976, P10.

وينظر: مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1415هـ/1995م، ص24.

<sup>2</sup> هكذا وصفها عند تعريفه لمنطقة وارجلان في الجزء الخامس، ورسمها "فجوهة" بزيادة الفاء، ورسمها "جوهة" بدون فاء، ووصفها ببليدة لما أتى على تعريفها في الجزء الثاني، والصواب هو "جوهة" وليس "فجوهة" كما دلت عليه بعض النصوص في التراث الإباضي المغربي التي وقف عليها الباحث يحيى بوراس في مقاله "وارجلان البلد والمدينة" حيث تبين له أنّ "جوهة" التي انفرد بذكرها الحموي في معجم البلدان اسم صحيح ولا غبار عليه، وأنّه ليس بتحريف ولا وهم أو خطأ، بل يعتبر بالفعل اسم بلدة في بلاد وارجلان وكانت هذه البلدة تمثل عاصمة البلد. ينظر: بن عيسى بوراس: وارجلان البلد والمدينة، مجلة المنهاج، العدد06، جمعية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم أطفيش لخدمة التراث، غرداية، أوت2023م، ص189-192.

<sup>3</sup> الحموي، المصدر السابق، ج5، ص371.

<sup>4</sup> مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، دار جمعية التراث، القرارة، دط، 1417هـ/1996م، ص27. وينظر إلياس بن عمر حاج عيسى: مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (ق4-10هـ/10م-16م)، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إيش، عبد العزيز الأعرج، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008-2009م، ص20.

<sup>5</sup> سيأتي الكلام عن فتنة الميروقي في وارجلان في المبحث الثالث

وعادت وارجلان كأن لم تغن بالأمس".<sup>1</sup> فالخبر يفيد صراحة أنّ وارجلان مدينة محاطة بسور، وفي داخلها مسجد، وقد نالها التخريب والهدم على يد الميرورقي.<sup>2</sup>

### ثانيا- أصل تسمية وارجلان:

يرى الباحث الفرنسي جون ليتيو (Lethielleux) أنّ أصل تسمية كلمة وارجلان تتكوّن من شطرين الأوّل "وار" وتعني عند البربر "أولاد" أو "أبناء"، وتأتي في بداية الاسم مثل "وارفجومة" و"وارسنيس"، وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة "أرو" و "أرا" وتعني النفاس أو الوضع. أمّا الشطر الثاني "كلان" مفرداها "أكلي" وتعني الأسود، وعند الجمع أبناء السود أو أبناء الزنوج. وعليه فقد سمّيت المدينة في نظره على أساس لون بشرة أهلها، وهم السود.<sup>3</sup>

أما الضابط الفرنسي لارجو (largeau) فنسب أصل تسمية الحاضرة إلى امرأة اسمها ورقلة سكنت هذه الجهة وغرست النخيل وبنّت كوخا، وما لبثت أن التفّ حولها الناس، وتكوّنت المدينة التي حملت اسمها فيما بعد.<sup>4</sup>

وهناك رواية أسطورية تواترت عند أهل المنطقة أوردها الباحث أحمد زكار أنّ أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد بالحاضرة، وكلّما اقترب منه الناس للسقي افترس أحدهم، فاتّفق الجميع على محاربتة، وفعلا تمكّنوا من القضاء عليه. ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محرّرة من خطر الأسد. وقيل باللسان البربري "الوير انجلاء" والوير

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

<sup>2</sup> بوراس، المرجع السابق، ص129.

<sup>3</sup> Jean Lethielleux (Jean): **Ouargla Cité Saharienne Des Origines au Début de xx Siècle**, Librairie orientaliste paulgeuuthner, Paris, 1984 , p19-20.

<sup>4</sup> Largeau: **Le pays de rirha Ouargla**, Librairie Hachette, Paris, 1879, p156- 157.

بالبربرية معناه الأسد، وانجلاء باللغة العربية معناه زال أو غاب أو ذهب، ومنذ يومها أصبحت تسمّى الوير نجلاء. ومع مرور الزمن تغيّر نطقها إلى وارجلان.<sup>1</sup>

وبناء على رواية ابن خلدون "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة..."<sup>2</sup>، ونصّ الحسن الوزان "وركلة مدينة أزية بناها النوميديون في صحراء نوميديا..."<sup>3</sup> نرجح أنّ أصل التسمية يعود إلى القبيلة الزناتية "بنو واركلا" التي استوطنت هذه المنطقة في العصر النوميدي، ذلك أنّ أسماء المدن ببلاد المغرب الإسلامي غالباً ما تنسب إلى ساكنيها، فقد نصّ أبو يعقوب الوارجلاني في الدليل والبرهان "أنّ الأرض معروفة بأسماء أهلها"<sup>4</sup>، واختلفت التسمية لاختلاف نطقها لدى القبائل البربرية.

أمّا عن التفسير الذي أعطاه كلّ من "ليتيو" و"لاجو" لأصل تسمية وارجلان فنرى أنّه غير صحيح لأنّ روايتهما تفنقر إلى مصدر المعلومة، ولا يوردان قرائن قويّة تدفع إلى قبولهما.

والأسطورة التي أوردها الباحث نكار، يُدرك منها أنّ الاسم الذي أُطلق عليها كان بعد انتشار الإسلام واللغة العربية، وهذا لاستعمال لفظ (انجلاء) وهي كلمة عربية خالصة، وهي مصدر للفعل (انجلى) أي انكشف وزال،<sup>5</sup> وهو ما لم نجده في المصادر التاريخية الموجودة بين أيدينا والتي أرخت لهذه المنطقة.

<sup>1</sup> نكار، المرجع السابق، ص 08.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69

<sup>3</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 136

<sup>4</sup> أبو يعقوب الوارجلاني: المصدر السابق، ج3، ص92.

<sup>5</sup> محمّد بن أحمد بن الأزهرّي: تهذيب اللغة، تح، محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج11، ص127. وينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ج1، ص388.

وعليه فإنّ المنتبّع لأصل تسمية وارجلان، يُلاحظ أنها لم تُذكر بوضوح من قبل المؤرخين الذين أرخوا للفترة الزمنية التي تمتد من الوجود الفينيقي في شمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، بل كلّ ما ذكر هو مجرد إشارات للشعوب التي سكنت جنوب الأطلس الصحراوي، وعلى الخصوص البربر منهم.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> نكار: المرجع السابق، ص 09.

## المبحث الثاني: التأسيس والمجال

## أولا-تأسيس وارجلان:

تضاربت الآراء حول تاريخ تأسيس وارجلان، فالمصادر التاريخية لم تذكر تاريخا محددا لنشأتها، لكن ما هو معلوم أنّ منخفض "وادي مية"<sup>1</sup> قد عرف وجود الإنسان منذ القدم،<sup>2</sup> حيث تمّ العثور على بعض الحفريات المتمثلة في الحجارة المنحوتة ذات الوجهين وهو ما يؤكد أنّ وارجلان "من الأوطان القديمة"<sup>3</sup>. وهو ما ذهب إليه الضابط الفرنسي تروملي (G.Trumellet) حيث قال: "ورقلة أقدم المدن الصحراوية"<sup>4</sup>، شأنه في ذلك شأن المستكشف والرحالة الفرنسي دفيريه (duverier) الذي يرى أنّه من غير الممكن أن نحدّد تاريخا دقيقا لتأسيسها<sup>5</sup>، واكتفى بالتأكيد على أهميتها باعتبارها من بين أقدم المدن الصحراوية.

<sup>1</sup> وادي مية: وادي مية سمي بهذا الاسم لكثرة الروافد والفروع الرافدة له، وهو من الأودية النائمة ينبع من شمال هضبة تادميت بالقرب من عين صالح جنوبا، ويتجه نحو الشمال الشرقي وينتهي به المطاف إلى سبخة سفيون شمال شرق وارجلان. نكار، المرجع السابق، ص15، وينظر رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، رسالة دكتوراه، تخ، التاريخ الحديث، إش، تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 02، الجزائر، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص41.

<sup>2</sup> Madeleine Rouvillois Brigol: **Le Pays de Ouargla**, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris, 1975, p9

<sup>3</sup> أعزام، المرجع السابق، ص49

<sup>4</sup> G.Trumellet: **les Français dans le désert**, Garnier Frères libraires Editeurs, Paris, 1863, p9

<sup>5</sup> نقلا عن بوعصبانة، المرجع السابق، ص11.

ومن الباحثين من يرى أنّ وارجلان قديمة النشأة، وأوّل ما تأسّس بها هي مملكة النقوصة،<sup>1</sup> ثمّ القصر القديم. أمّا من عمروها، فهم الغرامنتيون، ثمّ المنحدرون من قبيلة زناتة.<sup>2</sup>

بينما يذهب الرحالة<sup>3</sup> الحسن الوزّان أنّ تأسيسها يعود إلى أزمنة تاريخية تتّصل بالنوميديين، وهو ما انفرد بذكره في قوله: "وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا..."<sup>4</sup>. لكنّه لم يقدّم أيّ دليل صحيح أو قرينة قويّة واضحة على أنّها تعود إلى الفترة النوميديّة.

وأما المؤرّخ ابن خلدون فلم يحدّد لنشأتها أيّ تاريخ، ويرى أنّها بنيت من طرف قبائل بني واركلا إحدى بطون زناتة إذ قال: "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة... وكانت مواطنهم قبلة الزّاب"<sup>5</sup>، واختطّوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل

<sup>1</sup> النقوصة: قرية نقوصة من قرى وارجلان تبعد عن وارجلان حوالي 18 كم في شمالها، كما تكتب بالسين بدل الصاد فيقال "نقوسة". ينظر أعزام، المرجع السابق، ص 218.

<sup>2</sup> عبد القادر ميهوبي: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة، دار البصائر، الجزائر، دط، 2011م، ص 154.

<sup>3</sup> تعتبر كتب الرحلة من المصادر التي يرجع إليها المؤرخ في كتاباته التاريخية لما تمنحه من نصوص غابت عن كتب التاريخ، حتى قيل أنّ الرحلة تاريخ لما أهمله التاريخ، إلّا أنّ نصوصها لا بد أن تخضع للمساءلة، ويسلط عليها منهج نقد الوثيقة، ويجب أن نتناولها بالشكّ من كل الجوانب. ذلك أنّ كثير من الرحالة كابن بطوطة والحسن الوزّان لم يدونوا ملاحظاتهم إلّا بعد سنين عديدة، معتمدين على ذاكرتهم، ولأنّ الدقة في نقل ملاحظاتهم أمر في غاية الصعوبة، وأنّ ملاحظاتهم لم تكن دوما ناجمة عن الشهادة المباشرة، كما أنّهم كانوا يزيّنون نصوصهم ببعض العجائب استجابة لذوق القارئ الميال إلى العجيب. نقلا عن الدكتور الطاهر بن علي بتصرف. ينظر: الطاهر بن علي: "دور نصوص الرحلة في الكتابة التاريخية"، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلاميّة، جامعة غرداية، العدد 7، ديسمبر 2019م، ص 127-129.

<sup>4</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج 2، ص 136.

<sup>5</sup> بلاد الزّاب: تعتبر بلاد الزّاب من بين المجالات الواحية التي عرفت حدودها تحولات عديدة بسبب التغيرات السياسية والتاريخية، لكن يمكن حصرها بالشكل التالي من تبسة شرقا إلى نواحي المسيلة غربا، ومن جبل الأوراس شمالا إلى تخوم الصحراء نواحي بسكرة جنوبا. من أهم مدنه طبنة، تهودة، باغاية، المسيلة. ينظر: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب

من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطّة. ثمّ استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا.<sup>1</sup>

وأمام ذلك يبقى السؤال هل من الممكن إيجاد أيّ شكل من أشكال الترابط بين وارجلان والعصور القديمة؟ خاصّة بالنظر إلى وجود صور لعلامات الوجود البشري في المنطقة، وهو ما قد يشير لوجود تواصل مع التاريخ القديم، الأمر الذي قد يؤكّد فعلا أنّ وارجلان كانت قريبة في نشأتها الأولى من تلك الأزمنة<sup>2</sup>

في حين يرى لارجو (Largeau) أنّ وارجلان لم تؤسس إلّا مع قدوم العرب الفاتحين إلى المغرب سنة 46هـ/666م، حيث واجهوا مقاومة من السكان المحليين<sup>3</sup>،

---

=اليقوبي: البلدان، تح، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ص190، وينظر: عمار غرايسة: التحوّلات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزباب، أريغ، أسوف، وارجلان) من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، إيش، علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص20، وينظر أحمد بوشامة: الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط من القرن 2هـ-8م إلى نهاية القرن 6هـ-12م، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط، إيش، طاهر بن علي، جامعة غرداية، 1442غرداية، الجزائر، -143هـ/2021-2022م، ص24.

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص 13، وينظر: دنيس ببلي ويوسف طواف: واحة عبر التاريخ ورقلة، جمعية القصر للثقافة والإصلاح، ورقلة، 2003م، ص11-17.

<sup>3</sup> من الواضح أنّ لارجو اتخذ موقفا خاطئا في مسألة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فنراه يتعامل على العرب ويصفهم بأقبح الأوصاف، وينقل نصوصا من عند ابن خلدون ليطوّعها لمفاهيمه الايدلوجية والاستعمارية، شأنه شأن الكثير من الكتاب الفرنسيين والأقلام الغربية عموما، أين ذهبت إلى تقديم تفسيرات تتماشى مع اتجاهاتها المذهبية والسياسية، لتفسير أهداف الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فتراهم يتهمون قادة الفتح بالتوسع، والحصول على الخيرات الدنيوية، وأنهم فرضوا دينهم بالقوة والسيف وقالوا للناس "أسلموا أو موتوا" وهذا ليس صحيحا؛ لأنّ الفتح الإسلامي لم يتعامل بمنطق الحرب وإنما تعامل مع الشعوب والدول بمنطق الحرية والتسامح، وتخليص الانسان من الوثنية. ينظر: محمد بن عميرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، دار الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت ط، ص7؛ أحمد عمروش: "الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في ضوء الرؤية الإستشراقية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد 01، 2020م، المجلد10، ص518-519،

وحاصروهم في قارة كريمة<sup>1</sup> حصارا طويلا دام ما يقارب الشهر، وبعد أن يؤسوا رفعوا الحصار وغادروا المنطقة، فنزل الأهالي إلى الوادي مرّة ثانية، فوجدوا أنّ قراهم قد هدمت، ونخيلهم قد قطعت، فقامت امرأة منهم اسمها ورقلة فبنت كوخا التقّف حوله الناس، وبنوا ديارا تلاحمت مع بعضها البعض وبهذا تكوّنت المدينة.<sup>2</sup>

وهذه الرواية أشبه بالأسطورة منها إلى الواقع، كون الأسلوب الذي سلكه هؤلاء الغزاة ليس من أسلوب المسلمين في عملية الفتح، وأنها وقعت سنة 46هـ/666م، في حين أنّ الفتوحات إلى أعماق الجزائر على يد عقبة بن نافع كانت سنة 51 هـ 671 م.<sup>3</sup> أما لينييو (Lethielleux) يرى أنّ تأسيس وارجلان كان بسبب الشيخ حادور<sup>4</sup> الذي جاء مع جماعة من الزنجبار وبنو القصر، وسمّيت نسبة إلى سمرتهم وتمّ تشييدها سنة 108هـ/726م<sup>5</sup>. إلا أنّ هذه الرواية لم تقدّم أيّ دلائل تاريخية عن تاريخ تأسيس وارجلان، وهي حديثة نوعا ما. كما أنّنا لم نجد لها قرائن في المصادر المتوفرة بين أيدينا.

Largeau, op,cit, p155.

<sup>1</sup> قارة كريمة: قارة كريمة يقال قارة كريمة في منطقة وارجلان على كلّ مكان مرتفع من الأرض أكان هضبة أو جبل، وقارة كريمة هي إحدى الهضاب العالية والتي يصل ارتفاعها إلى 212 متر، وتقع إلى الجنوب الغربي من الحاضرة، وتبعد عنها بحوالي 15 كلم، وتقول الروايات الشعبية أنّ امرأة تسمّى كريمة سكنتها في أول الأمر، وبالتالي حملت اسمها وظلّ متداولاً إلى اليوم. ينظر: أحمد ذكار، المرجع السابق، ص11. ينظر الملحق رقم 01، ص 232.

<sup>2</sup> Largeau, op,cit, p153.

<sup>3</sup> ذكار: المرجع السابق، ص24

<sup>4</sup> الشيخ حادور: الشيخ حادور هو أحد إباضية "زنجبار" المعروفة ببيع وشراء العبيد السود، وقد قدم إلى سدراتة مع رفاقه فوجد سكانها من ذوي البشرة البيضاء يحكمهم أئمة من جبل نفوسة "فانتقل بعد ذلك إلى وارجلان التي أسسها، فأطلق عليها سكان سدراتة هذه التسمية استهزاء بحكامها الجدد وذلك نتيجة الخليط العرقي لسكانها بمعنى الأطفال السود. ينظر:

Jean Lethielleux (Jean),op,cit, P20

<sup>5</sup> Lbid, P20

وعلى هذا الأساس نعتبر أنّ مدينة وارجلان من بين أقدم المدن الصحراوية الضاربة في القدم، وهو ما تؤكّده الشواهد والحفريات الأثرية. وهي عبارة عن قصور متقاربة، تجمّعت بعد زمن لتكوّن مصرا واحدا، حيث يعود الفضل لتأسيسها إلى قبيلة بني واركلا الزناتية، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون.

### ثانيا - المجال الجغرافي لوارجلان:

إنّ دراسة المجال الجغرافي لأيّ رقعة على سطح الأرض ضروري لفهم تاريخها، ويصبح الأمر أكثر لزوماً وأشدّ إلحاحاً إذا ما تعلّق الأمر بالمغرب الأوسط<sup>1</sup> ومجالاته خلال العصور الوسطى،<sup>2</sup> وليست وارجلان بدعة منه؛ فقد احتلّت موقعا استراتيجيا هاماً،

<sup>1</sup> المغرب الأوسط: المغرب الأوسط جزء من مجال واسع عرف ببلاد المغرب، اختلفت الكتابات الجغرافية والتاريخية في ضبط حدوده خلال العصر الوسيط، وذلك بسبب حركة القبائل التي تشكلت من البربر والعرب وغيرها، بالإضافة إلى حالة القوة والضعف للقوى السياسية التي تداولت على حكمه، والتي استثمرت هذه القبائل سياسيا واقتصاديا ومذهبيا، كما أنّ الصعوبة في ضبط المجال الجغرافي للمغرب الأوسط راجع إلى كون مفاهيم السيادة والحدود بالنسبة لتلك الفترة، تختلف عن المفاهيم المعمول بها اليوم، ولا يمكن آنذاك الاهتمام بضبط الحدود الجغرافية بين الدول بصورة دقيقة ومفصلة، كما أنّ لفظ المغرب الأوسط ظهر ابتداء من القرن 11م/5هـ وأول من استعمله البكري كما جاء ذكره عند ابن خلدون حيث اعتبره بلد زناتة وأشار أنّ تلمسان قاعدته، ولفظ المغرب الأوسط نعني به البلاد الجزائرية الحالية، مع الاختلاف فيما يدخل ضمن هذا التقسيم شرقا وغربا. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص259؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص134؛ وينظر: مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، ن، تع، سعد زغول عبد الحميد، دار النشر، المغربية، المغرب، دط، 1985م، ص176؛ وينظر: سكيمة عميور: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ / 11 و12م دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الريف والبادية، إيش، ابراهيم بكير بجاز، جامعة قسنطينة02، قسنطينة، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص7؛ وينظر: سمية مزدود: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ / 1192-1520م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الوسيط، إيش، محمد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص24، وينظر: زغول، المرجع السابق، ج1، ص69.

<sup>2</sup> خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الألفية، الجزائر، ط1، 2011م، ص34.

كونها تقع في مفترق الطرق في شمال الصحراء وبوابة لها<sup>1</sup>. مكنها موقعها الجغرافي أن تصبح "مركزاً رئيسياً لتجارة السودان، ومحطة قارة لجموع الحجاج، ومنطلقاً سهلاً للتوغّل في أعماق الصحراء، وطريقاً طبيعياً نحو مناطق التلّ الخصبة بالشمال"<sup>2</sup>.

كما أنّها منطقة سابعة في عمق الصحراء والواحات، وبوابة رئيسية بين شمال وجنوب المغرب الأوسط وما يتّصل به خاصّة من الجهات الشرقية،<sup>3</sup> وأتاح لها البعد عن التجمّعات بالمدن الكبرى أن تكون في معزل عن الصراعات السياسية في غالب فترات تاريخها.<sup>4</sup>

حدّد ياقوت الحموي موقع وارجلان بقوله "كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر"<sup>5</sup>. وذكر في موضع آخر أنّها "مجاورة لبلاد الجريد"<sup>6</sup>. وهي على حدّ قول صاحب الاستبصار (ت ق 6هـ/12م) أنّها في طرف الصحراء ممّا يلي إفريقية، تبعد عن بلاد الجريد نحو أربعة عشر يوماً.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> نكار، المرجع السابق، ص 10.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009م، ص 475.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص 18.

<sup>4</sup> سالم بن هلال بن سالم الخروصي: أبو عمار عبد الكافي التناوتي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1423هـ/2003م، ص 31.

<sup>5</sup> الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 371.

<sup>6</sup> نفسه، ج2، ص 191.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص 224.

إلا أنّ تحديد صاحب معجم البلدان غير مستساغ لانعدام الاتّصال بين بلاد الجريد ووارجلان، ولأنّ أسوف هو البلد المجاور لبلاد الجريد، إلا إذا كان "يعني وقوع وارجلان على امتداد بين إفريقية وبلاد الجريد باتجاه البرّ المقابل لهما".<sup>1</sup>

كما تعرّض ابن خلدون لجغرافية وارجلان ونحسبه وضع صورة أقرب في تحديد إطارها الجغرافي من الناحية الشمالية،<sup>2</sup> حيث ذكر أنّ بلاد ريغ<sup>3</sup> تقع شمال وارجلان "بلد واركلى قبة بجاية... وفي سمتة إلى جهة التلول بلاد ريغ"<sup>4</sup>.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ ابن خلدون أورد نصّاً آخر قال فيه: «بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة... وكانت مواطنهم قبة الزاب».<sup>5</sup> والقبة في سياق كلام ابن خلدون تعني الجنوب، ولا تعني الاتّصال بين بجاية ووارجلان في النصّ الأول، أو اتّصال بلاد الزاب ووارجلان في النصّ الثاني. لكن ما هو معلوم اتّصالها ببلاد ريغ من جهة الشمال.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص 18.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> بلاد ريغ: بلاد ريغ ويقال بلد ريغة، وريغ كلمة بربرية معناها السبخة، وهي ذلك المجال الجغرافي الذي يحده بلاد الزاب شمالا ووارجلان جنوبا، ومن الجهة الشرقية منطقة أسوف ومن جهة الغرب منطقة الحجيرة. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج3، ص113، وينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص507. وينظر: غرايسة، التحولات، ص23. وينظر: يمينة بن صغير حضري: "منطقة واد ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الإستعماري)"، مجلة الواحات، جامعة غرداية، العدد02، 2017م، ص1015.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص132.

<sup>5</sup> نفسه، ج7، ص69.

<sup>6</sup> غرايسة، المدينة، ص18.

غير أن ابن سعيد جعلها «متصلة بصحارى مقفرة... حيث الطول عشرون درجة ونصف والعرض أربع وعشرون ونصف وعشر دقائق... وفي شرقيها بلاد ريغ»<sup>1</sup>. وهكذا جعل بلاد ريغ حدًا شرقيًا لوارجلان وهو ما يتنافى مع ما ذكر.

وحسب الدراسات الحديثة، فيرى الباحث غرايسة أن بلاد أسوف إلى جانب غدامس الواقعة جنوبها هي أقصى حدود امتداد لوارجلان من الناحية الشرقية.<sup>2</sup> إلا أن مزهودي حدّد موقعها بأن جعل بلاد الزاب تمثل حدودها الشرقية، ومن الغرب منطقة وادي ميزاب، ومن الجنوب مدينة سدراتة، أما شمالًا فلم يحددها بحجة عدم وجود تجمّعات سكنية تابعة لوارجلان.<sup>3</sup>

إلا أننا اهتدينا إلى دراسة استطاع صاحبها أن يحدّد وارجلان من الجهتين الشمالية والجنوبية بواسطة القصور والمناطق التابعة لها؛ فمن الجهة الشمالية مثل قصر إفران<sup>4</sup> منطقة حدودية بين بلادي وارجلان وريغ، ومن الجهة الجنوبية كانت تمتدّ وارجلان إلى منطقة كريمة<sup>5</sup> التي تحاذي الجهة الشمالية لمدينة سدراتة.<sup>6</sup>

من خلال ما عُرض يمكن أن نحدّد المجال الجغرافي لوارجلان حيث أنّها تقع في النواحي الواقعة بين أسوف شرقًا ووادي ميزاب غربًا، ومن بلاد ريغ شمالًا إلى سدراتة جنوبًا.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> ابن سعيد، المصدر السابق، ص126.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص18.

<sup>3</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 27.

<sup>4</sup> إفران: إفران أو لفران من قصور وارجلان الموجودة شمالها. ينظر: الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص441. وينظر تعليق محقق كتاب الوسياني، ج1، ص441، تعليق رقم 13.

<sup>5</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص440، وينظر تعليق محقق كتاب الوسياني، ج1، ص440، تعليق رقم 04.

<sup>6</sup> بوشامة، المرجع السابق، ص226.

<sup>7</sup> ينظر الملحق رقم: 02، ص233. خريطة الموقع الجغرافي لوارجلان.

وأهلها هذا الموقع لأن تكون بعيدة عن المراكز العمرانية، وأن تصبح منطقة حيوية تتوسط المسالك التجارية بين بلدان المغرب الإسلامي وبلاد السودان. وقد كان لهذه الوضعية المتميزة أثرها البارز على الأحداث التاريخية في وارجلان سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ايجابا وسلبا في آن واحد، فهي موطن للرخاء الاقتصادي، وهدف للطامعين للسيطرة عليها.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> الخروصي، المرجع السابق، ص32. وينظر باجو، المرجع السابق، ص29.

## المبحث الثالث: التطور التاريخي لوارجلان

حاضرة وارجلان من أهمّ حواضر المغرب الأوسط المتوغّلة في القدم، أرجعت المصادر التاريخية تاريخ نشأتها إلى ما قبل الفتح الإسلامي، لتصبح فيما بعد مركزا حضاريا هامًا. واستطاعت أن تحافظ على كيانها على مرّ العصور، رغم الهزّات التي عاشتها. ولكي تتّضح لنا معالم هذه الحاضرة لابدّ من تتبّع تطورها عبر مختلف الأطوار التاريخية.

## أولا- العصر الحجري:

دلّت الدّراسات الأثريّة على أنّ الإنسان سكن منطقة وارجلان منذ العصور القديمة، حيث تمّ العثور على أدوات وصناعات حجرية، بيّنت مهارة إنسان تلك الفترة في تقنيات التحكّم في ذلك، من خلال المسح الشّامل الذي أجري على منطقة وارجلان في القرن الثّالث عشر هجري التّاسع عشر الميلادي.<sup>1</sup>

وتمّ اكتشاف عيّنات ومستحثّات وغابات متحجّرة، تعود إلى العصر الحجري القديم (Le Paléolithique ancien) على مسافة مائة كيلومتر من كلّ الاتّجاهات المحيطة بالحاضرة، حيث عثر على بعض الحفريات المتمثّلة في الحجارة المنحوتة ذات الوجهين<sup>2</sup>، والتي وجدت بكميّات كبيرة في منطقة عرق التوارق جنوب وارجلان بحوالي عشرين

<sup>1</sup> نكار، المرجع السابق، ص16.

<sup>2</sup> ينظر الملحق رقم 03 ص 234.

كيلومتر،<sup>1</sup> وهي عبارة عن فؤوس صغيرة ذات وجهين، يتراوح طولها من 11 إلى 6 سم.<sup>2</sup>

كما تم العثور على عيّنات في منطقة ملالة وحاسي المويلح وحاسي المخادمة والحمرية والبكرات وحاسي الحجر، وكلّها تقع في محيط وارجلان على أبعاد لا تزيد عن أربعين كيلومتر،<sup>3</sup> تعود إلى العصر الحجري الأعلى (Le Epipaleolithique)، والمتمثلة في المكاشط والفؤوس الحجرية والرحى،<sup>4</sup> وبيض النعام المثقوب من جهة واحدة الذي كان ينافس الفخّار<sup>5</sup>، حيث كانت البيضة تثقب وتفرغ ثم تستعمل كإناء.<sup>6</sup>

أمّا في فترة العصر الحجري الحديث (Néolithique) والذي يبدأ من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، عثر في الحاضرة على آثار تعود إلى هذه الفترة، في كلّ من حاسي قنيفيدة وبامنديل وملالة وحاسي المويلح والحمرية والبكرات وحاسي المخادمة وقارة كريمة، تتمثل في قطع من الفخار وسهام وقطع صغيرة من بيض النعام مثقوبة في الوسط يعتقد أنّها كانت تستعمل في الزينة<sup>7</sup>، ويعود بعضها إلى العصر الحجري القديم والبعض

<sup>1</sup> G Aumassip et S. Hachi "Le gisement acheuléen de l'erg Touareg aux environs d'Ouargla (Sahara algérien)" **Libyca**, Centre National D'Etudes Historiques, Tomes xxxii à xxxiv, Alger, 1984-1985-1986, 95-98. وينظر: نكار، المرجع السابق، ص17.

<sup>2</sup> جمعية قصر للثقافة والإصلاح، ماقبل التاريخ في ورقلة، المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، 2011، ص13.

<sup>3</sup> نكار، المرجع السابق، ص17.

<sup>4</sup> F Marmier et G Trecolle "Étude de L'industrie Du Gisement D'Hassi Mouillah (région de Ouargla - Sahara algérien)", **Libyca**, Centre National D'Etudes Historiques, Tomes xx, Alger, 1972, p137-147.

<sup>5</sup> ينظر الملحق رقم 04 ص235.

<sup>6</sup> ك ابراهيمي: تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر، محمّد البشير شنيني و رشيد بوروبية، وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007م، ص 121.

<sup>7</sup> ينظر الملحق رقم 05 ص 236.

الآخر إلى العصر الحجري الحديث، وبكميات كثيرة جدًا، حيث لا تخلو منها جهة من الجهات التي تحيط بالواحة.<sup>1</sup>

يتضح من خلال الشواهد الأثرية التي عثر عليها في منطقة وارجلان، بعملیات التنقيب والبحث الأثري التي قام بها مجموعة من الباحثين في مجال الآثار، أنّ المنطقة عرفت حقبا تاريخية منذ عصور ما قبل التاريخ، وعبرت بالدليل المادي عن قدم الوجود البشري بالمنطقة. كما بيّنت مهارة إنسان تلك الفترة في صنع العديد من الأدوات التي كان يحتاجها في حياته اليومية على الرغم من بساطتها.

### ثانيا- العصر الروماني:

إنّ امتداد الرومان في الصحراء لم يتعد قلعة ديميدي الواقعة في مسعد بجبال أولاد نايل بالجلفة، وهي أبعد نقطة وصل إليها الرومان في صحراء المغرب الأوسط، حيث تمكن الجيش الروماني من إقامة حصن منيع في هذه المنطقة، إذ الهدف من إقامة هذه الحصون هو تجنب الظهور المفاجئ للمتمردين، وغلق ممرات عبور البدو الرحل وحدت من تنقلهم بالصحراء، وتحصين المقاطعات الرومانية الموجودة في الشمال، ومراقبة تحرك السكان واعتمادها كنقطة انطلاق ضد أي عمل عدائي ضد الرومان،<sup>2</sup> ولتحقيق هذا عمد الرومان إلى إقامة جهاز عسكري معقد ومرن، يعرف بخط الليمس<sup>3</sup> (LIMES) الذي

<sup>1</sup> ك ابراهيمي، المرجع السابق، ص 86، وينظر نكار، المرجع السابق، ص 17.

<sup>2</sup> حمادوش بولخراس: "التواجد الروماني في الصحراء الجزائرية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد 02، جامعة ابن خلدون تيارت، أكتوبر 2019م، المجلد 02، ص 13-14.

<sup>3</sup> خط الليمس: خط الليمس هو الحد الفاصل بين أراضي الإمبراطورية الرومانية، وأراضي الشعوب المعادية لها، وتتكون من مظاهر طبيعية كالجبال والأودية، ومصطنعة كالطرق، والمراكز العسكرية. ينظر محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، تر، صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1993م، ص 135-136؛ وينظر: ناصر

يتكون من ثلاثة عناصر أساسية أضيفت إلى بعضها تدريجياً، وهي الخندق (Fosstum) الذي تتخلله أبراج (Turres) و حصون (Burgi) ومراكز مراقبة، ثانيها أبراج و قلاع محصنة معزولة، وأخيراً الطرقات الإستراتيجية.<sup>1</sup>

في حين لم تشر كتابات المؤرخين الإغريق ولا الرومان إلى الوجود الروماني في وارجلان،<sup>2</sup> ويؤكد ذلك انعدام الدلائل الأثرية، مما يجزنا إلى الجزم إلى حقيقة مفادها عدم وجود علاقة بين الروم والتجمعات السكانية بالصحراء.<sup>3</sup> وهذا راجع ربما إلى بعد المنطقة عن التيارات السياسية الشمالية، والتي كان يغلب عليها الطابع البربري، فقد بقيت في منأى عن الغزو الأجنبي، ولم تخضع للرومان، او للامتزاج العرقي مثل مدن الشمال.<sup>4</sup>

وعلى خلاف من ذلك، فقد ذهب ابراهيم العوامر إلى اثبات الوجود الروماني في وارجلان<sup>5</sup> أين قال: «ورقلة أهلة منذ عصور قديمة بعناصر بربرية، وقد استولى عليها الرومان حيناً من الزمن في عهد وجوده بالشمال الإفريقي، وعلى إثر حروب متتالية بين الغزاة والبربر أجبر الرومان على الانسحاب من المنطقة وتركها لأصحابها».<sup>6</sup> وكما هو

=الدين تمام: " التحصينات العسكرية الرومانية في مقاطعة موريطانيا السطايفية بين القرنين 3 و5م"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر 02، العدد 06، الجزائر، ماي 2018، ص 242.

<sup>1</sup> قداش، المرجع السابق، ص 135-136؛ تمام، المرجع السابق، ص 242

<sup>2</sup> Madeleine, op, cit, p09.

<sup>3</sup> محمد البشير شنياتي: "التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م، ص 23.

<sup>4</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 17.

<sup>5</sup> ذهب نحو هذا الرأي الباحث مزهودي حيث أشار إلى دخول الرومان إلى وارجلان من أجل جمع الضرائب عن أهلها، لكنهم لم يستقروا بها، واكتفوا بإقامة عدة نقاط للمراقبة في الصحراء، لكنه لم يقدم أي دلائل أثرية ولا كتابات تاريخية تثبت كلامه، وأن أبعد نقطة وصل إليها الرومان في صحراء الجزائر هي منطقة مسعد الواقعة بالجلفة حالياً كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ينظر مزهودي، المرجع السابق، ص 30

<sup>6</sup> ابراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع، الجيلاني بن ابراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2007م، ص 35.

معلوم أن التاريخ يبني على حقائق، والعوامر في نصه هذا لم يدلنا على أية دلائل ولا قرائن تثبت الوجود الروماني في وارجلان.

لكن مع ذلك، يمكن القول أنّ الارتباط الجغرافي بين الصحراء والتل، والتكامل الاقتصادي بينهما يشير إلى وجود علاقات مصلحة بين سكان المناطق الصحراوية والرومان، فالوحدة البشرية بين سكان الصحراء وسكان التل لم تعرف حدودا، ذلك أنّ قبائل الجيتول قديما كان بعضها يستوطن الأوراس، والبعض الآخر كان يجوب الصحراء؛ وهذا يشير إلى وجود تواصل وتبادل بين قبائل الجيتول والرومان.<sup>1</sup>

استنادا على ما سبق يمكن القول أنّ العلاقة بين الرومان والأقاليم الصحراوية عموما كانت على أساس عمل عسكري؛ تمثل في إقامة الحصون المشرفة على المسارات الرئيسية بين مناطق التردد البشري وخاصة بين الصحراء والتل الخاضع لسيطرتهم، كما أنّ الطبيعة الصحراوية للمنطقة حالت دون وجود الرومان في المنطقة، إلا أنها كانت تشكل أسواقا ذات أهمية للتبادل التجاري.<sup>2</sup>

انعدام الأدلة الأثرية والوثائق التاريخية التي تثبت التواجد الروماني في الصحراء، جعلت الدارسون الأوروبيون يجدّون في البحث كي يتحقّقوا من الوجود الروماني في المنطقة أمثال دارمانياس (Darmagnas) الذي أشار إلى خضوع وارجلان لروما ودفع الضرائب لها،<sup>3</sup> ومثله الكاتب دوماس (Dumas) الذي أشار إلى وجود بقايا إحدى المدن الرومانية في صحراء غرداية.<sup>4</sup> لكنهما لم يقدم أي شواهد تدعم كلامهما.

<sup>1</sup> شنيبي، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 17.

<sup>4</sup> Daumas: *Le Sahara Algerien Etude Geographique Statistique Et Historique Sur La Region Du Sud Des Etablissement Francais En Algérie*, Fortin Masson , Paris, 1845, p62.

إضافة إلى ذلك أكدت الباحثة والمستكشفة الفرنسية بريقول (Brigol) أن وارجلان كانت على علاقة تجارية مع النوميدين، وذلك لوجود مجموعة من العملات النقدية الرومانية في المنطقة، وأنها معروفة عند الرومان غير أن اسمها لم يذكر، وذلك لغياب وصف دقيق لها.<sup>1</sup> وهذا الكلام ربما قد يُقبل من وجهة نظر أن الرومان وسكان الصحراء كانوا على علاقات اقتصادية إذ كانت الصحراء تشكل أسواق ذات أهمية للتبادل التجاري. احتلال الرومان للشمال الإفريقي جعل الكثير من القبائل البربرية تتخلى عن أرضها وتتخذ من الواحات والصحراء مستقرًا لها، بعيدا عن الهيمنة الرومانية، أدى هذا إلى تعمير الصحراء بالقبائل البربرية "ومن بينهم قبائل بني واركلا الزناتيين القادمين من الزاب، والذين استقرّوا في حاضرة وارجلان وشيدوا الدور والقصور، وفجّروا العيون، وزرعوا النخيل، وحملت قصورهم اسمهم بعد أن التحمت مع بعضها البعض، وكوّنت حاضرة، وبقيت موجودة إلى يومنا"<sup>2</sup>

### ثالثا- العصر الإسلامي:

اعتنق أهالي وارجلان الإسلام عندما حمل الفاتحون الأولون مشعل الهداية إلى المغرب الأوسط في أواسط خير القرون. ويبدو أن سكّان هذه البلاد ثبتوا على الإسلام منذ اعتناقهم له، ولم تجرفهم عوامل الردّة التي وقعت في كثير من بلاد المغرب بأقسامه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Madeleine, op, cit, p10.

<sup>2</sup> نكار، المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> علي معمر، المرجع السابق، ج2، ص272.

لم تذكر المصادر ولا المراجع المتخصصة في تاريخ الفتوحات إلى تاريخ معين لدخول الاسلام إلى حاضرة وارجلان، ولم تبين الكيفية التي اعتنق بها أهلها الدين الجديد. لكن من المرجح أن بربر وارجلان هم من كان لهم الفضل في نشره فيها.<sup>1</sup>

في حين يرجع البعض أن دخوله كان على يد عقبة بن نافع الفهري<sup>2</sup> عندما كان راجعا من المغرب الأقصى سنة 64هـ/684م، أو على يد أصحابه الذين سبقوه في العودة إلى القيروان، لكون وارجلان تقع على خطّ العبور الرابط ما بين جنوب المغرب ووارجلان وبسكرة ومنها إلى المشرق.<sup>3</sup>

وعليه فمن المؤكد أن اتصال وارجلان بالإسلام كان مبكرا، إذ يرجعه صاحب "غصن البان" إلى بدايات القرن الثاني للهجرة،<sup>4</sup> وبذلك أصبحت المدينة منخرطة في الدعوة الإسلامية، متحدية الطبيعة الجغرافية والتضاريسية التي شكّلت مجرى دعوي، حيث مثّلت وارجلان إحدى أهمّ المحطات ذات الأثر البارز في نشر الإسلام في المنطقة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> عقبة بن نافع الفهري: هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري فاتح، من كبار القادة في صدر الإسلام. وهو باني مدينة القيروان. وشهد فتح مصر، وجهه عمرو إلى إفريقية سنة 42هـ واليا، فافتتح كثيرا من تخوم السودان وكورها في طريقه، ولاء معاوية إفريقية استقلالا سنة 50 هـ وعزله معاوية سنة 55 هـ فعاد إلى المشرق. ولما توفي معاوية بعثه يزيد واليا على المغرب سنة 62 هـ. ينظر:، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج4، ص 241.

<sup>3</sup> نكار، المرجع السابق، ص 20.

<sup>4</sup> أعزام، المرجع السابق، ص 99.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص 15.

## 1- وارجلان في العهد الرستمي:

كانت وارجلان آهلة بأتباع المذهب الإباضي من البربر وغيرهم منذ القرن الثاني للهجرة،<sup>1</sup> كما نجد أنّ وارجلان انتصرت لمحاولات إقامة دولة اسلامية وفق تعاليم المذهب الإباضي، فمن ضمن حملة العلم الخمسة الذين أرسلهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة<sup>2</sup> لإقامة دولة مستقلة بالمغرب<sup>3</sup> عاصم السدراتي<sup>4</sup>، الذي بايع أبا الخطاب عبد الأعلى ابن السمح<sup>5</sup> بالإمامة في طرابلس سنة 140هـ/757م، ودعا قومه إلى هذه البيعة فلقبت دعوته استجابة واسعة في سدراتة، ووارجلان، وكذلك أجابوه إلى بيعة أبي حاتم الملزوزي<sup>6</sup> الذي قام إمام دفاع في القيروان وانتزعها من العباسيين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أعزام، المرجع السابق، ص 49.

<sup>2</sup> أبو مسلم بن كريمة عبيدة: هو أبو عبيدة مسلم بن كريمة التميمي ثاني أئمة الإباضية بعد جابر بن زيد وأكبر تلامذته، تولى نشر المذهب بتكوين مدرسة دعوية بالبصرة في غار مستخفيا عن عيون الأمويين، وكان ورعا شديدا في دين الله ت 145هـ/762م. ينظر: ابراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1421هـ/2000م، ج2، ص418.

<sup>3</sup> باجو: المرجع السابق، ص 30

<sup>4</sup> عاصم السدراتي: عاصم السدراتي من علماء الإباضية في القرن الثاني تتلمذ على يد أبي عبيدة بالبصرة، مع حملة العلم الخمسة، عبد الرحمن بن رستم، أبو الخطاب عبد الأعلى أبو ضرار الغدامسي أبو داود القبلي، وساهم بجهد كبير في إمامة أبي الخطاب، وقتل مسموما وهو يدافع عن القيروان سنة 141هـ/758م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص239.

<sup>5</sup> أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح: هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح بن عبيد المعافري من رفاق عاصم السدراتي مع حملة العلم تولى الإمامة بطرابلس بعد العودة من البصرة، وذلك بإشارة من شيخه أبي عبيدة، وقتله جيش محمّد بن الأشعث بمكيدة نكراء سنة 144هـ/761م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص242.

<sup>6</sup> أبو حاتم الملزوزي: هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي أحد أعلام الإباضية بالمغرب في القرن الثاني تولى إمامة الدفاع بطرابلس سنة 145/762م هـ لإحياء إمامة أبي الخطاب، وتغلب عليه ابن الأشعث في حصاره للقيروان ت 155هـ/772م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص475.

<sup>7</sup> باجو، المرجع السابق، ص30.

ثم سلك أهل وارجلان نهج الانعزال عن الحياة السياسية بعد فشل ثورة أبي حاتم حتى قيام الدولة الرستميّة سنة 160هـ/777م بتيهرت، فأعلنوا ولاءهم لها، وارتبطت وارجلان بها ارتباطا روحيا نابعا من اتباع مذهب واحد. وكان نفوذ الدولة الرستميّة عليها نفوذا اسميا لا يتعدى إقامة حدود الله، إذ كانت وارجلان تتمتع بكلّ أنواع الحرّية<sup>1</sup>، وكانت شؤونهم تدار بأيديهم<sup>2</sup>. وممن تولّى تسيير أمورها أبو صالح جنّون بن يمران<sup>3</sup>، الذي كان معاصرا للدولة الرستميّة في أيامها الأخيرة<sup>4</sup>.

بعد سقوط الدولة الرستميّة هرب يعقوب بن أفلح<sup>5</sup> من تيهرت، وأقبل بمن معه إلى وارجلان، فاستقبلهم شيخ إباضيتها وعالمها أبو صالح جنّون بن يمران رفقة جموع وارجلان بما يليق بمكانتهم كأعضاء في بيت الإمامة الرستميّة<sup>6</sup>، وعرضوا عليه أن يولّوه على أنفسهم<sup>7</sup>، ولكنّه رفض وقال قولته الشهيرة: «لا يستتر الجمل بالغنم»<sup>8</sup>، لأنّ هذا

<sup>1</sup> على معمر، المرجع السابق، ج2، ص273.

<sup>2</sup> أعزام، المرجع السابق، ص104.

<sup>3</sup> أبو صالح جنّون بن يمران: هو جنّون بن يمران البهراسني الوارجلاني أبو صالح أخذ العلم عن علماء تيهرت أحد أبرز العلماء في وارجلان، انتهت إليه الرياسة العلمية والدينية بها، ساهم في تنشيط الحركة العلمية بها توفي أوائل القرن 4هـ/10م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص115.

<sup>4</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص38.

<sup>5</sup> الامام يعقوب بن أفلح: هو يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبو يوسف، من أعلام الدولة الرستميّة، اشتهر بغزارة علمه وزهده وورعه، تولى إمامة الرستميّين سنة 282هـ/895م، نجا بأهله وأسرته وانتقل إلى وارجلان بعد هجوم العبيديّين على تيهرت، استقبله عالمها أبو صالح جنّون بن يمران، مكث فيها بقية حياته ناشرا العلم والدين ت310هـ/922م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص423.

<sup>6</sup> موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القارن الخانسان الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1979م، ص342.

<sup>7</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص104-105.

<sup>8</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص189.

العرض غير عملي بسبب صعوبة البيئّة، وعدم وجود القوّة الكافية لإحياء مشروع نظام الإمامة.<sup>1</sup>

ولعلّ أهمّ سبب - فيما نعتقد - أنّ وحدة المذهب بين وارجلان وتيهرت جعلت الإمام يعقوب يفضّل وارجلان على غيرها من المناطق الإباضية كملجأ له بعد هروبه من بطش العبيديين، وبذلك أصبحت الحاضرة ملاذاً لإيواء الفارين من تيهرت، تتحمّل أعباء اختفاء الإباضية من المشهد السياسي، لأنّها الحاضرة الإباضية الأهمّ ببلاد المغرب الإسلامي الأوسط بعد حاضرة تيهرت.

## 2- وارجلان في العهد الفاطمي:

يبدو أنّ مشروع إحياء مجد الإمامة الرستميّة وإيواء النازحين من تيهرت اعتبرا عاملين موجّهين ضدّ الحركة الإسماعلية، لذلك أمر بتوجيه حملة عسكرية لحصار وارجلان، وتأديبهم على إظهارهم العداء، ومن قبل أسأؤوا معاملة عبيد الله المهدي عندما مرّ بوارجلان، متوجّهاً إلى سجلماسة،<sup>2</sup> حيث سخر منه سفهاؤهم، "وقالوا: هذا الذي جاء من المشرق يطلب الملك؟ فرموا في وجهه وضربوا له القرون، وكان أشدّ الناس عليه في ذلك، أهل قصر بكر، فلذلك حرق المسجد الكبير في رجوعه".<sup>3</sup>

اكتتف الغموض التحديد الدقيق لبداية الحملة العسكرية على وارجلان.<sup>4</sup> فهل انطلقت من تيهرت مباشرة بعد استيلاء الشيعة عليها؟، أم انطلقت من سجلماسة بعد تحرير المهدي من السجن؟، أم من إفريقية؟.

<sup>1</sup> لقبال، المرجع السابق، ص342.

<sup>2</sup> نفسه، ص342

<sup>3</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص165.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص67.

فالدرجيني يعرض أمامنا رأيين مختلفين، أولهما أنّ الداعي أبا عبد الله الشيعي لمّا دخل تيهرت سنة (296هـ / 909م)<sup>1</sup>، وشعر بخروج يعقوب وجماعة أصحابه «وجّه في طلبهم جيشاً، وكان يعقوب على فرس من نهاية السوابق... حتّى نجّى الله يعقوب وأصحابه، ورجع عنهم العدو»<sup>2</sup>، وتصف المصادر الإباضية شجاعة وقوّة الإمام يعقوب للتصدي لهذا الجيش، فتذكر في أنّه كان يبارزهم وحده حتّى يبتعد أصحابه ثمّ يلتحق بهم، إلى أن وصلوا وارجلان سالمين<sup>3</sup>، ممّا يدلّ على أنّ هذه القوّة لم تصل لوارجلان<sup>4</sup>. أمّا الرأي الثاني، فهو أنّ عبيد الله المهدي لمّا عاد من سلجماسة «دخل إفريقية في عام 297هـ، وقد تمكّنت دولته، وجّه عسكرياً عظيماً إلى وارجلان، فلمّا سمع أهلها بإقبال العسكر تحصّنوا بالكدية المعروفة بكريمة، وهي كدية حصينة شاهقة، بينها وبين وارجلان قدر ستّة أميال»<sup>5</sup>.

وممّن مال إلى هذا الرأي " ليتيو" حيث علّل ذلك بأنّ فرار الإمام يعقوب إلى وارجلان لم يعق الشيعة عن مواصلة زحفهم إلى سلجماسة. وبعد إخراج الشيعي وابنه من السجن عاد العبيديون إلى القيروان ومنها انطلقت الحملة تجاه وارجلان<sup>6</sup>. في حين يشير أبو زكرياء إلى أنّ القرار بشأنّ الحملة ضدّ وارجلان، ربّما يكون قد اتّخذ في سلجماسة، فالرواية تذكر «أنّ عبيد الله انتخب من عسكره أولي القوّة والعدّة

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/2013م، ج1، ص208.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص104.

<sup>3</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق ص189، وينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص104، مزهودي، المرجع السابق، ص39.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص67.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95.

<sup>6</sup> Jean Lethielleux (Jean), op,cit, P33

والسلاح والشائك، وجعل عليهم عاملاً وأنفذهم إلى وارجلان<sup>1</sup>. وهو ما يتوافق مع ما أشار إليه موسى لقبال بأنّ عبيد الله المهدي أمر بعد تحريره من سجلماسة قوّة عسكرية بالتوجّه لحصار بني وارجلان<sup>2</sup>، ومن المنطقي أن يكون لإباضية وارجلان رد فعل عن هذه الحملة، ذلك أنّهم ما إن علموا بأمر الحملة الشيعية الموجهة ضدهم حتّى سارعوا إلى التحصن بجبل كريمة، أين ضرب عليهم الجيش الفاطمي حصاراً شديداً، كادوا يهلكون عطشا وجوعاً، لكنّهم استطاعوا أن يهتدوا إلى حيلة تنجيهم من عواقب هذا الحصار<sup>3</sup>، والذي فشل بحيلة رجل يهودي، حيث أشار إليهم أن يأتوا بقصاع مملوءة بالزيت، ويقدموا لها الإبل التي تمكّن منها العطش، فجعلت الجمال كلما رأت القصاع مملوءة حسبتها ماء فقصدتها، فكلما كرتت وجدته زيت ورفعت رؤوسها تنفضها في الجو، فلمّا رأى العدو ذلك جمع جيشه وأمرهم بالرحيل، لاعتقاده أنّهم يعطون الماء لجمالهم لتشرب، وأدركوا أن لاجدوى من الحصار<sup>4</sup>.

كان تعقّب الجيش الفاطمي للإباضية بسبب تخوّفهم من إعادة بعث المشروع الرستمي، لكنّ هذا الجيش لم يستطيع أن يصل وارجلان، وهذا مستفاد من رواية الدرجيني «... حتى نجّى الله يعقوب وأصحابه، ورجع عنهم العدو»<sup>5</sup>. وبناء على هذه الرواية يستنتج أنّ الجيش الذي قاد الحملة على وارجلان غير الجيش الذي تعقب يعقوب وأصحابه.

<sup>1</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص171

<sup>2</sup> لقبال، المرجع السابق، ص342.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95-96؛ البشير بوعقادة: الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى (296-547هـ/909-1152م)، دار ميم للنشر، الجزائر، دط، 2015م، ص78.

<sup>4</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص171-173، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95-96؛ بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، دار جمعية التراث، القرارة، ط2، 1414هـ/1993م، ص128. بوعقادة، المرجع السابق، ص78.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص104.

وعلى الأرجح فإنّ الحملة ضدّ وارجلان تكون قد انطلقت بعد استقرار عبيد الله المهدي بالقيروان سنة 297هـ/909م، فمن "المنطقي أن اهتمامه سينصب بشكل أكبر حول مصير دولته أكثر من الاهتمام بشأن فلول الإباضية، وعليه سار إلى رقادة لترتيب شؤون الدولة، ثم بعدها التفرغ لأمر الإباضية الفارين.<sup>1</sup> حيث أمر بتوجيه حملة عسكرية لحصار وارجلان بهدف تأديبهم على إظهارهم العدا، وإيواء أهلها للفارين لتموت فكرة إحياء الإمامة الإباضية من جديد. وما أن علم إباضية وارجلان بأمر الحملة الشيعية الموجهة إليهم حتّى سارعوا للاعتصام والتحصن بجبل كريمة، ولم يكن الطريق لإفشال الحصار بالقوة معبدا بل كانت الحيلة هي السبيل.<sup>2</sup>

مرّت هذه الحملة بردا وسلاما على إباضية وارجلان، لكن بطش العبيدين لم يسلم منه العمران، حيث عمد أولئك الجنود إلى تخريب المدينة والاستلاء على ما بها من غنائم وأموال.<sup>3</sup> ولم تسلم المساجد من هذا التخريب، فحسب أبي زكرياء فإنّ مسجد جنون بن يمران طالته أيدي النهب والحرق والتخريب.<sup>4</sup> ويصف الدرجيني هذا التخريب بقوله: "فلما وصلهم العسكر دمرّ الديار، وحاصروهم في الكدية، وطوّق بها سبعة أطواق"<sup>5</sup>.

يذكر الباحث البشير بوعقادة أنّ أعمال النهب والتخريب التي قام بها جنود الجيش الفاطمي في حق عمران المدينة، قد طالها قبل الحصار وبعده، استنادا وجمعا بين روايتي الدرجيني وأبي زكرياء، فالدرجيني يذكر أنّ أعمال التخريب التي قام بها الجيش الفاطمي

<sup>1</sup> بوعقادة، المرجع السابق، ص 79.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 95. وينظر: بوعقادة، المرجع السابق، ص 77-78.

<sup>3</sup> بوعقادة، المرجع السابق، ص 78.

<sup>4</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 172.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 95.

كانت قبل حصار جبل كريمة، عكس ما أورده أبو زكرياء الذي ذكر أنه كان بعد فشل الحصار المضروب عليها.<sup>1</sup>

ويبدو أنّ هدف العبيديين كذلك هو القضاء على حركة التجارة التي كانت تسيطر عليها قبيلة زناتة، ومحاولة إشراك قبيلة كتامة في حركة القوافل اعترافاً لها بالجميل<sup>2</sup>، وذلك لمكانة وارجلان الاقتصادية، فقد كانت الباب الذي يلجّه كلّ المسافرين "من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان"<sup>3</sup>، وميناء داخلي للتجارة مع السودان،<sup>4</sup> ومدينة الذهب، ومستودع العبيد، وتقع على طريق القصور، وصاحبة تجارة العبور.<sup>5</sup>

كما ساهمت وارجلان في حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار<sup>6</sup>، فقد كانت وارجلان من بين الأماكن التي لجأ إليها أبو يزيد بعد هروبه من السجن سنة (325هـ/936م)، حيث استقبلته بعض الجماعات القبلية من بني زنداك المغراوية التي كانت منتشرة نواحي وارجلان،<sup>7</sup> فأقام عندها سنة ثم غادرها إلى الأوراس، وانضم إليه

<sup>1</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص172؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95؛ بوعقادة، المرجع السابق، ص78.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص67-68.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص70

<sup>4</sup> روبر بارنشيبيك: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر، حماد الساحلي،

دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص265.

<sup>5</sup> نكار، المرجع السابق، ص32.

<sup>6</sup> عن ثورة أبي يزيد وتفاصيلها ينظر: ابن خلدون المصدر السابق، ج7، ص18 وما بعدها.

<sup>7</sup> نفسه، ج7، ص69.

بنو برزال الزناتيين في مواطنهم بالجبال جنوب المسيلة، وسعوا لكسب الأنصار والتحضير للثورة.<sup>1</sup>

يذهب بعض الباحثين<sup>2</sup> أنّ أبا يزيد أقام حكومة مؤقتة، وسكّ فيها النقود الذهبية باسمه، ضاهت تلك التي سكّت في الأندلس. إلا أنّ هذا الرأي مرجوح لأنّ المصادر التاريخية الموجودة بين أيدينا، والتي أرخت لثورة ابن كيداد لم تشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك لموقف الإباضية الوهبية<sup>3</sup> السلبي من أبي يزيد النكاري وللأفعال المشينة التي كان يرتكبها،<sup>4</sup> «فكل قرية ومدينة مرّ بها في طريقه خرّبها، وسبى ذريتها، وغنم أموالها، كفعل نافع ابن الأزرق وغيره من الخوارج، بل قد زاد عليهم وأربى»<sup>5</sup> كما تجدر الإشارة إلى أنّ عقائد النكارية<sup>6</sup> في وارجلان ونواحيها لم تكن منتشرة فيها انتشارا واسعا، وهذا بسبب سيطرة التوجّه الوهبي فيها،<sup>1</sup> لذا لم يجد أبو يزيد الكثير من

<sup>1</sup> نفسه، ج7، ص19؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406هـ/1985م، ص242..

<sup>2</sup> سليمان داود بن يوسف: "مجهودات الدولة الرستميّة في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد49-50، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984م، ص100.

<sup>3</sup> الوهبية: اختلفت المصادر حول نسبة الكلمة أهي للإمام عبد الوهاب(177-208هـ/793-823م)، أم إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي(37-38هـ/657-658م). والأقرب إلى الصواب أنها تنسب إلى الامام عبد الوهاب. حيث ظهر لفظ الوهبية ظهر بعد الفتنة التي أحدثها النكارية في مدينة تيهرت، خلال بداية حكم عبد الوهاب، فكانت في بادئ الأمر تُعبّر عن الإباضية الذين أقروا ببيعة عبد الوهاب، مقابل جماعة النكارية الذين أنكروا إمامته، ثم بعد ذلك تطورت هذه التسمية، لتشمل كافة الإباضية في بلاد المغرب. ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص37؛ مجموعة من الباحثين: المرجع السابق، ج2، ص1117؛ بوشامة، المرجع السابق، ص114-115.

<sup>4</sup> باجو، المرجع السابق، ص32.

<sup>5</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص180؛ باجو: المرجع السابق، ص32.

<sup>6</sup> النكارية: جماعة انشقت عن الإباضية في المغرب الإسلامي زمن الإمامة الرستميّة وهم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري، وسماوا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد سنة 171هـ/787م، وعرفت باليزيدية نسبة إلى زعيمها أبي قدامة يزيد بن فندين. ينظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع، محمّد ناصر وإبراهيم بحاز،

الأنصار أثناء إقامته بوارجلان، ممّا اضطرّه إلى مغادرتها، والذهاب إلى الأوراس بعدما مكث فيها سنة.

ولم تكن وارجلان ونواحيها سندا له في ثورته على العبيديين، خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين<sup>2</sup> الذين ذكروا أنّ الإمدادات كانت تأتيه من سدراتة وبنطيوخ<sup>3</sup> في إحدى مراحل ثورته أثناء محاصرته في جبل كنانة.<sup>4</sup> وسندهم في ذلك نصّ عند ابن حماد الذي جاء فيه: "وصار أبو يزيد محصورا في جبل كيانة، غير أنّ الطعام كان عنده رخيصة، كانت الرفاق تأتيه من سدراتة وبنطيوخ وهي من بلاد بسكرة"<sup>5</sup>.

إذ المقصود بسدراتة في هذا النص القبيلة لا المكان المعروف جنوب وارجلان، ذلك أنّ قبيلة سدراتة كانت من بين القبائل المنتشرة نواحي بسكرة كما دلّ على ذلك ما جاء عند البكري بقوله: "وبسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة... سگانها المولّدون، وحولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة..."<sup>6</sup>، ويشدّد عضده نصّ آخر عند الداعي إدريس الذي جاء فيه: "وأقام الإمام -أي المنصور بالله الفاطمي- ببسكرة أربعة أيّام، ورحل منها يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى راجعا إلى طبنة، وقتل في

دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1985م، ص38؛ مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1429هـ/2008م، ص1027.

<sup>1</sup> بوشامة، المرجع السابق، ص162.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص92. وينظر: باجو، المرجع السابق، ص32.

<sup>3</sup> بنطيوخ: بنطيوخ تقع هذه المدينة في بلاد الزاب وهي من بلاد بسكرة إلى الجنوب الغربي. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص714؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح، التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، دط، دت ط، ص71؛ مزهودي، المرجع السابق، ص92.

<sup>4</sup> جبل كنانة: جبل كنانة يسميها ابن خلدون جبل كتامة، وتسمى جبال كياتة وهي الجبال الواقعة في نواحي المسيلة. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص22. وينظر: مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، الجزائر، دط، 1986م، ج2، ص147.

<sup>5</sup> ابن حماد، المصدر السابق، ص71.

<sup>6</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص713.

طريقه قبيلًا من البربر يقال لهم سدراتة، كانوا معاضدين للخارجي مخلد بن كيداد المارق<sup>1</sup>. لذا أمر المنصور الفاطمي زناتة بالإغارة على قبائل سدراتة واستئصالهم، ففعلوا ذلك بقتلهم وسبي نسائهم ومصادرة أموالهم، وبذلك توقّف المسير والمدد إلى أبي يزيد.<sup>2</sup>

كما شاركت وارجلان في ثورة الوهبية التي تزعمها أبو خزر يغلا بن زلتاف<sup>3</sup> وصديقه أبو نوح سعيد بن زنگيل،<sup>4</sup> جرت وقائعها نواحي باغاية<sup>5</sup> سنة 358هـ/968م. انتقامًا وثأرًا لمقتل العالم أبي القاسم يزيد بن مخلد<sup>6</sup>، من طرف المعز لدين الله الفاطمي الذي شعر بخوف من نشاط أبي القاسم الدعوي والعلمي، وخاصة وأنّ نشاطه كان منصبًا على قبيلة مزاتة البربرية القاطنة بإفريقية، وطاعتهم وانقيادهم له، وكانت إذ ذاك قوة عظيمة في إفريقية كانوا نحو اثني عشر ألف فارس، فما كان للمعز لدين الله إلا أن أمر والي الجريد بقتله.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح، محمد البعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، ص392.

<sup>2</sup> ابن حماد، المصدر السابق، ص71.

<sup>3</sup> أبو خزر يغلا بن زلتاف: هو أبو خزر يغلا بن زلتاف أحد العلماء الإباضية البارزين في بلاد الجريد كان بارعا في علم الكلام. له كتاب الردّ على جميع المخالفين من تلاميذه أبو نوح سعيد بن زنگيل ت 380هـ/990م. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص477.

<sup>4</sup> أبو نوح سعيد بن زنگيل: أبو نوح سعيد بن زنگيل شيخ الشيوخ أحد أقطاب العلم عند الإباضية، نشأ في بلاد الجريد واستوطن وارجلان بعد ثورة باغاي 358هـ/968م، أخذ العلم عن أبي القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر يغلا بن زلتاف، برع في علوم شتى وكان صاحب جدل. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص177.

<sup>5</sup> باغاية: مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينية، ذات أنهار ومزارع تقع على سفح جبل الأوراس. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص832؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص710.

<sup>6</sup> أبو القاسم يزيد بن مخلد: هو أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني الحامي هو أحد العلماء الإباضية البارزين في القرن الرابع بالمغرب له اسهام في الحياة العلمية والسياسية أمر المعز بقتله بسبب الخوف من استقلال قومه عن دولة العبيديين. ينظر: ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص467.

<sup>7</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص216؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص125.

أدى مقتل أبي القاسم يزيد بن مخلد إلى شيوع حالة من التذمر والسخط في سائر مواطن الإباضية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط، حيث عزم جمع من المشايخ بينهم الشيخ أبو خزر يغلى بن زلتاف للتحضير للثورة<sup>1</sup> وأرسل رسله إلى مواطن الإباضية يدعوهم للثأر لمقتل شيخهم أبي القاسم يزيد بن مخلد.

وكان ممن أسرع للإجابة أهل وارجلان، حيث خرجوا بالعدد والعدة<sup>2</sup> متحمسين لنصرة إخوانهم، ويصف الدرجيني هذا بقوله: "أنّ رسل أبي خزر لما وصلت وارجلان، فاستنفرهم، فخرجوا في قوة عظيمة وسلاح شاك"<sup>3</sup>. وهو ما يؤكد أن وارجلان كانت من أهم الكيانات الإباضية في المغرب، التي أبدت استعدادها للمشاركة في الثورة.<sup>4</sup>

سارع أبو خزر بالإعلان عن الثورة بعدما اجتمعت له جموع مزاتة في أعداد كبيرة جدًا؛ خيلا ورجالا، وظنّ أنّه سينال حاجته ببعض مزاتة دون انتظار المدد، وملاه الحماس خاصّة وأنّ مزاتة عقدت له إمامة الدفاع، فإن هم تمكّنوا من العبيدين عقدوا له إمامة الظهور، لكنهم انهزموا قبل وصول الامدادات. ولما أقبل مدد وارجلان على مشارف باغاية سمعوا بخبر الهزيمة فرجعوا إلى مواطنهم والخيبة تملأ قلوبهم لما حدث لأبي خزر وجيشه.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أسامة معاش وعلال بن عمر: "ثورة أبو الخزر يغلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنجيل الوسيانيان 358هـ/968م مظهر من مظاهر التضامن الإباضي في بلاد المغرب"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي، العدد 01، معسكر، أوت 2022، مجلد 18، ص 533.

<sup>2</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج 2، ص 36.

<sup>3</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 216؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 128.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص 78.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 130.

يبدو أنّ أهل وارجلان كانوا على أتمّ الاستعداد للدخول في مشروع إحياء الإمامة من جديد، ذلك أنّ بيعة مزاتة إمامة الدفاع لأبي خزر تعدّ أول إمامة بعد سقوط الرستميّين.<sup>1</sup> اختفى أبو خزر عن الأنظار واستقرّ به الأمر بجبل نفوسة.<sup>2</sup> وسجن أبو نوح، لكنّ المعزّ لدين الله عطف عليه وأمنه، وقربه منه، وأعطى الأمان للإباضية.<sup>3</sup> وأراد أبو نوح ضمان نجاة صاحبه فمدح أبا تميم وقال أنّه لا مفرّ له، ولا منجى إن كنت حاقدا عليه، وإنّه آمن إن أمّنته، فكان كأنه يشير إلى الأمير بالعفو عنه فاستجاب وأرسل في المناطق بالمنادين ينادون بالأمان لأبي خزر حتى قرر القدوم إلى القيروان أين تلقاه صاحبه أبو نوح بإذن السلطان، وعفى عنه وقربه منه.<sup>4</sup> ولمّا رغب في الانتقال إلى مصر أراد أن يأخذهما معه مخافة أن يعودا إلى التفكير في الثورة مرّة أخرى بعده.<sup>5</sup> فقبل أبو خزر بالذهاب، أمّا أبو نوح فكره المسير، وتحجّج بالمرض، ثمّ توجه إلى وارجلان، ووكان هذا سنة 359هـ/969م.<sup>6</sup>

لم تحقّق هذه الثورة أهدافها المرجوة، إلّا أنّها بيّنت معرفة مدى تعاطف الإباضية الوهبية بالمغرب الإسلامي بينهم ضدّ العبيديّين، وأدّت إلى تراجع الإباضية ببلاد الجريد وبلاد الزاب،<sup>7</sup> بخلاف وارجلان التي أصبحت المكان الآمن الذي يلتجئ إليه الإباضية، وهو ما جعل جماعة من الإباضية يتزعمها أبو نوح سعيد بن زنغيل يفرون بالحيلة<sup>8</sup> عن

<sup>1</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص42

<sup>2</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص219.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص132 وما بعدها.

<sup>4</sup> نفسه، ج1، ص135-137؛ أسامة معاش وعلال بن عمر، المرجع السابق، ص536.

<sup>5</sup> باجية، المرجع السابق، ص137-138.

<sup>6</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص132

<sup>7</sup> باجية، المرجع السابق، ص134.

<sup>8</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص138.

المعزّ لدين الله الفاطمي قاصدين وارجلان، وكان في استقباله أبو صالح جنّون بن يمران.<sup>1</sup>

## 2- ورجلان في العهد الحمادي:

بعد رحيل العبيديين إلى مصر خلفهم بنو زيري بالحكم، وأعلنوا لهم الولاء، لكنّ هذا الولاء لم يدم، فسرعان ما أعلنوا استقلالهم بالحكم لتتشكّل الدولة الزييرية بالمغرب الأدنى والدولة الحمّادية بالمغرب الأوسط<sup>2</sup>، ليعلن حمّاد بن بلكين الخروج عن طاعة الفاطميين سنة 405هـ/1014م، وتبعه المعز بن باديس وحذا حذوه بإعلانه الخروج عن طاعة المستنصر بالله الفاطمي وكان ذلك سنة 437هـ/1016م.<sup>3</sup>

ولما رأّت الدولة العبيديّة في مصر ما آل إليه أمر الشيعة في المغرب، ومدى ما وصل إليه بنو زيري من نكران للجميل<sup>4</sup>، أغرّت قبائل بني هلال وبني سليم<sup>4</sup> أن يقصدوا

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص143-144

<sup>2</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص42-43.

<sup>3</sup> أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج7، ص639؛ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، مصر، ط2، 1411هـ/1991م، ص67-68.

<sup>4</sup> قبائل بني هلال وبني سليم: قبائل بنو هلال هم من قيس عيلان، إذ يرجع العرب الى ثلاثة رجال هم عدنان وقحطان وقضاع، وعدنان من ولد اسماعيل، وقد ولد عدنان معد، ومن أولاد معد نزار، ومن أولاد نزار مضر، ومن أولاد مضر قيس عيلان، وقد انحدر العديد من قبائل العرب من قيس عيلان، فبنو سليم وبنو هلال يجتمعان في منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. فسلیم ابوه منصور وأمه تكمة بنت مر بن أد بن طابخه بن إلياس بن مضر، التي ولدت أيضا غطفان، أما هلال فهو ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. من بطون قبائل بني هلال بنو شعثة بن هلال وبنو عبد الله بن شعثة وبنو ناشرة بن هلال وبنو عمرو بن ناشرة وبنو رياح وبنو زغبة وبنو ربيعة وبنو عدى وبنو قره والأثيخ وغيرهم، أما عن بطون قبائل بني سليم معاوية بن بهثة، وثعلبة بن بعثة وعوف بن بعثة والحارث بن بهثة وبنو تكوان بن رفاعة بن الحارث وامرؤ القيس وغيرهم. ينظر: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف، تح، ثروت عكاشة، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م، ج1، ص85-87؛ أبو محمّد بن علي بن

المغرب لاجتثاث ملك الصنهاجيين<sup>1</sup>، حيث كان السبب المباشر لدخولهم المغرب هو انتقام الفاطميين من المعزّ بن باديس لخروجه عن طاعة المستنصر بالله<sup>2</sup>، وكان ذلك بإشارة من وزيره اليازوري الذي أغرى شيوخ هؤلاء القبائل بالأموال، وامتلاك كل ما يستولون عليه في المغرب.<sup>3</sup>

وما إن دخلت هذه القبائل إفريقية سنة 443هـ/1054م حتى استطاعت إلحاق هزائم كبرى بالصنهاجيين، "واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها. واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها، وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها... ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي"<sup>4</sup>.

كانت وارجلان محاطة بعدد غير قليل من هذه القبائل<sup>5</sup>، وصارت في امتداد حركتهم؛ قال الناصري: "أقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتقرّدوا في البيداء، فنموا نموًا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطّها زناتة بالفقر مثل قصور السوس غربًا، ثم توات... ثم واركلان"<sup>6</sup>. ولعلّها كانت عرضة للهجمات والغارات أكثر من المناطق

أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تح، تع، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م، ص ص 7، 263، 273-275.

<sup>1</sup> الخروصي، المرجع السابق، ص 39.

<sup>2</sup> عويس، المرجع السابق، ص 177.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 20.

<sup>4</sup> نفسه. ص 22

<sup>5</sup> علي معمر، المرجع السابق، ج 2، ص 277.

<sup>6</sup> شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1418هـ/1997م، ج 2، ص 178.

المجاورة لها، بسبب تمتّعها بالمركز التجاري الهامّ، وأنّ أهلها كانوا على نصيب وافر من الثروة والغنى.<sup>1</sup>

بقيت وارجلان بعيدة عن نفوذ الصنهاجيين والحمّاديين رغم محاولات الاستيلاء عليها<sup>2</sup> حتّى أيّام الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1081م) الذي كان في صراع مع القبائل الزناتية وزعيمها المنتصر بن خزرون،<sup>3</sup> وقد استولى هذا الأخير على بعض المناطق التابعة لدولة بني حمّاد، ثمّ صالحه الناصر وأقطعته ضواحي من الزاب وريغ،<sup>4</sup> واحتال عليه الناصر وأوعز بقتله إلى حاكم بسكرة عروس بن سندي، ثمّ عمد إلى تتبّع زناته بالقتل، والأسر، والخديعة كلّما بدا منهم عمل عدائي ضدّه<sup>5</sup>، وأوفد ابنه المنصور في قوّة عسكرية لكسر التحالف الذي بينها وبين عرب أثبج<sup>6</sup>، حيث "بعث سراياه وجيوشه إلى بلد واركلا ووّلّى عليها، وقلل بالغنائم والسبي"<sup>7</sup>، وما إن دخل جيشه المدينة التي لم تقاومه حتّى عاث فيها فسادا وتخريبا، وحطّم معظم القصور، بما فيها

<sup>1</sup> علي معمر، المرجع السابق، ج2، ص278.

<sup>2</sup> باجو، المرجع السابق، ص 34.

<sup>3</sup> المنتصر بن خزرون: هو المنتصر بن خزرون زعيم زناته في طرابلس جمع حوله العرب من بني عدي الهلالية وذهب للاستلاء على بعض من مناطق دولة بني حماد، أين خاض عدة ثورات ضد الناصر بن علناس مما اضطره إلى اقتطاع ضواحي من الزاب وريغ. قتل سنة 460هـ/1097م، من طرف حاكم بسكرة عروس بن سندي. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص231. وينظر طاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط4، 2004م، ص219.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص231؛ عبد الرحمن بن محمّد الجبالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1384هـ/1965م، ج1، ص370.

<sup>5</sup> الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، تر، حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ج1، ص232؛ عويس: المرجع السابق، ص135-136.

<sup>6</sup> إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1980م، ص175.

<sup>7</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص231.

سدراتة،<sup>1</sup> ويكون قد عيّن أواخر سنة 460هـ/1067-1068م واليا على وارجلان يُجهل اسمه،<sup>2</sup> وهي أول حملة من شمال المغرب تصل وارجلان.<sup>3</sup>

يتّضح من خلال حملة المنصور على وارجلان أنّها أضحت تقع ضمن حدود الدولة الحمّادية، وهو ما ذهب إليه الباحث عبد الحليم عويس،<sup>4</sup> وأمّا الباحث مزهودي فيرى أنّ وارجلان لم تكن تابعة لدولة بني حمّاد إلّا بعد سنة 454هـ/1062م.<sup>5</sup> بينما يذكر البعض<sup>6</sup> أنّ وارجلان كانت مستقلة استقلالاً تامّاً، يحكمها مجلس الشيوخ المعروف بمجلس العزّابة.<sup>7</sup>

يبدو من خلال سيطرة الحمّاديين على وارجلان وإخضاعها أنّها كانت تهدف بالأساس إلى تدعيم النفوذ السياسي في المنطقة، حيث وصل حدّها الجنوبي إليها<sup>8</sup>، وهذا ما يعطيها امتدادا كبيرا في المغرب الأوسط.<sup>9</sup> كما كانت تهدف إلى بسط نفوذها على المراكز الحسّاسة التي تقع على مسالك تجارة الذهب والرقيق المرتبطة بالتجارة الصحراوية. ذلك أنّ حاضرة وارجلان تعتبر إحدى أهمّ القواعد التجارية الجنوبية في

<sup>1</sup> نكار، المرجع السابق، ص34.

<sup>2</sup> رشيد بورويبة: الدولة الحمّادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1977م، ص124.  
<sup>3</sup> Madeleine, op, cit, p20.

<sup>4</sup> عويس، المرجع السابق، ص80.

<sup>5</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص118.

<sup>6</sup> باجو، المرجع السابق، ص34.

<sup>7</sup> مجلس العزّابة: العزّابة جمع عزّابي، وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند اباضية المغرب، تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي؛ الدينية والاجتماعية والسياسية. يرجع الفضل في تأسيسها إلى أبي بكر عبد الله محمد بن بكر الفرستائي سنة 409هـ/1018م في واد ريغ. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص171؛ معمر، المرجع السابق، ج1، ص79؛ مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص702؛ مسعودي، المرجع السابق، ص196؛ باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>8</sup> ينظر الملحق رقم:06، ص237. خريطة حدود الدولة الحمّادية.

<sup>9</sup> عويس، المرجع السابق، ص80.

صحراء المغرب الأوسط، من خلال تحكّم سكانها في التجارة الصحراوية، باعتبارها المنفذ الرئيسي الرابط بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.

### 3- وارجلان في العهد الموحدّي:

#### أ- موقف وارجلان من الدعوة الموحدّية:

بعد قيام الدولة الموحدّية سنة 547هـ/1152م أخذ دعائها بالتعريف بالدعوة المهدية؛ يدعون العامّة إليها، ويرغبونهم في الدخول تحت لوائها، وكان أوّل داع يصل إلى وارجلان<sup>1</sup> العيتروسي.<sup>2</sup>

وفي دعوة الموحدّين لأهل وارجلان، يورد الدرجيني نصّاً فريداً، فيقول: «حدّثنا بعض أهل وارجلان أنّ أوّل داع وصل إلى وارجلان من دعاة المهدية العيتروسي، وصلها في خيل، فلما قدم إليهم دعاهم إلى إجابة الدعوة، فتشاوروا فيما يأتون وما يذرون، فأجمع رأي أكثرهم على قتله وأصحابه حتّى لا يظهر لهم نكر، فقال علماءهم ما ضرّنا أن نصل إلى الفقيه أبي يعقوب<sup>3</sup> نعلمه بما وقع في نفوسنا ونأخذ ما عنده، فجأؤوه بجمعهم فقالوا له: إنّ هذه خيل تدعو إلى سلطان قد ظهر، وقد أجمعنا على أن نقتلهم قبل أن يعرفوا بلدنا، فإنّا نخاف أن يخربوا بلادنا إن عرفوها، فقال لهم: هؤلاء لا يخربون بلدكم، بل تتالون في أيّامهم عزّاً وإقبالا، وتلقون منهم في بلادهم لقاء... فأجيبوا دعوتهم تفلحوا».

<sup>1</sup> الخروصي، المرجع السابق، ص41.

<sup>2</sup> لم نقف له على ترجمة.

<sup>3</sup> أبو يعقوب: هو أبو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي من علماء وارجلان كان معاصراً ورفيقاً لأبي عمار عبد الكافي في الدراسة إلا أنّ أبا عمار توفى قبله. له مؤلفات كثيرة منها العدل والإنصاف في أصول الفقه، والدليل والبرهان في العقيدة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص481-482.

<sup>1</sup> وحسب أحد الباحثين، فإنّ هذا نصّ متقرّد الرواية حول دعوة الموحّدين في بلاد وارجلان.<sup>2</sup>

يتّضح من خلال نصّ الدرجيني هذا أنّ وارجلان كانت محافظة على استقلالها، وإلاّ لما اتّجه العيتروسي إلى أعيان وارجلان يدعوهم إلى الدخول تحت سلطة الموحّدين، وهو ما تمّ بالفعل، وأنّ هذه الدعوة الموحّدية قد وصلت أيّام الفقيه أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني الذي عاش من عام 500 هـ/1106م، إلى 570 هـ/1174م.<sup>3</sup>

ويبدو أنّ توجّس أهل وارجلان من هذه الدعوة الجديدة كان بسبب تخوّفهم من عواقب اتّباعهم لها، وما زالوا يذكرون الفتن التي لحقت بالإباضية بداية من خراب تيهرت، ثمّ حصار العبيديين لوارجلان، فالدمار الذي أصابها أيّام حكم الناصر بن علّاس الحمّادي، غير أنّ أبا يعقوب الوارجلاني، نصّحهم بقبول الدعوة الموحّدية، الذي صحّح نظرة أهل وارجلان تجاه الدعوة الموحّدية من التخطيط لقتل داعي الموحّدين إلى الاستجابة للدعوة لأنّها سبيل الفلاح حيث تمّ الأمر كما نصّح.<sup>4</sup>

أمّا عن سبب قبول وارجلان الدعوة الموحّدية فلأنّ أبا يعقوب كان يعرف الموحّدين عن كثب، وكان قريبا منهم لما كان في الأندلس يطلب العلم ما بين 520-530 هـ/1126-1136م، والذي لم يكن في نصيحته تلك يتكلّم عن مجهول، أو يقول ما لم يطلّع عليه، إنّما كان يعرف الموحّدين عن قرب، واطّلع على عقائدهم وفلسفتهم، فكان

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص493-494.

<sup>2</sup> ابراهيم بن بكير بحاز: "صور من الإباضية في عهد الموحّدين"، مجلة الحياة، معهد الحياة، العدد 01، القرارة (الجزائر)، 1419 هـ/1999م، ص148.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص35.

<sup>4</sup> بحاز، صور من الإباضية، ص149.

قريبا منهم، وشاهدا على أحداث التغيّر الموحدّي في المغرب والأندلس.<sup>1</sup> بالإضافة إلى التقارب الكبير في المبادئ بين الإباضية ودعوة الموحدّين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.<sup>2</sup>

ويأتي حرص الموحدّين على ضمّ وارجلان ضمن نطاقها الجغرافي والسياسي،<sup>3</sup> بسبب موقعها الاستراتيجي، إذ كانت على الطريق الشرقي للتجارة مع السودان الغربي والأوسط، خاصّة تجارة العبيد والذهب، هذا كلّ جعل الموحدّين يهتمّون بها لتكون تابعة لهم، فضلا عن سعيهم لجعل كامل المغرب تحت نفوذهم وسيطرتهم،<sup>4</sup>

وبهذا تكون وارجلان لهذا العهد قد شهدت ازدهارا اقتصاديا، حيث يشير عزّ الدين أحمد موسى إلى هذا بقوله: «وفي بداية العصر الموحدّي بدأت كفة وركلان» ترجح، إذ كان تجار "وركلان" مع أهل الواحات يتاجرون بين السودان ومصر وحدود المغرب الشرقية، بل إنّ تجارهم كانوا يصلون إلى درعة، وسجلماسة، ونول، ولمطة. ويبدو أنّ "وركلان" أصبحت أهمّ مركز للتجارة مع السودان في نهاية القرن السادس، نتيجة لموقف الموحدّين من صنهاجة الصحراء، وتبدّل خطوط التجارة نحو الشرق، وغدا الدينار "الوركلاني" ذا شهرة واسعة بفضل ذهب السودان.<sup>5</sup>

ونظرا للتشابه في المصطلحات التي يستعملها المؤرّخون للدلالة على دعوة الفاطميّين ودعوة الموحدّين فقد التبس الأمر على بعض الباحثين<sup>6</sup> إذ اعتبر أنّ العيتروسي

<sup>1</sup> بحاز، صور من الإباضية، ص 149.

<sup>2</sup> باجو، المرجع السابق، ص 35.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص 87.

<sup>4</sup> بحاز، صور من الإباضية، ص 147.

<sup>5</sup> عزّ الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجري، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1403هـ/1983م، ص 288.

<sup>6</sup> باجيه، المرجع السابق، ص 111.

داعي الفاطميين لورود لفظ "من دعاة المهديّة العيتروسي" عند الدرجيني، فظنّ أنّه من دعاة الفاطميين، واستنتج من نصّ الدرجيني السالف ذكره أنّ الإباضية قبلوا دعوة الفاطميين بشيء من المهادنة، وهو ما تنفيه المصادر والوقائع التاريخية،<sup>1</sup> كما أنّ الحادثة وقعت في أيام العالم أبي يعقوب الوارجلاني الذي عاش في القرن السادس للهجري والذي تزامن مع أيام الدولة الموحدية.

### ب-فتنة ابن غانية الميورقي في وارجلان:

إنّ من بين الفتن التي أصابت وارجلان خلال العهد الموحدية هي تلك الأعمال التخريبية التي قام بها يحيى بن إسحاق الميورقي الملقّب بابن غانية<sup>2</sup> في وارجلان سنة 626هـ/1229م،<sup>3</sup> الذي ظلّ شوكة في حلق الدولة الموحدية، ثائراً عليهم «يريد أن يقوّض دولتهم، فكان يمرّ بالبلدان بشراذم من المغامرين فيقتلون ويخرّبون»<sup>4</sup>.

1 باجو، المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup> ابن غانية: يرجع نسب بني غانية إلى امرأة من الأسرة المرابطية تدعى غانية زوجها يوسف بن تاشفين إلى أحد المقربين إليه يسمى علي بن يوسف المسوفي من أصول بربرية، أنجبت ولدين هما يحيى و محمد وعرف هما وأحفادهما من بعدهما بإسم بني غانية نسبة إلى أمهم غانية، وكانت نسبة الرجل إلى أمه عادة معروفة عند المرابطين فكثير من قوادهم ينسبون إلى أمهاتهم مثل ابن عائشة وابن فاطمة وابن الصحرارية وغيرهم. أسندت لهم على عهد المرابطين إمارة قرطبة وميورقة في الأندلس، وبعد سقوط دولة المرابطين على يد الموحدين سنة 553 هـ / 1148 م نصبوا أنفسهم الورثاء الشرعيين لدولة المرابطين، وأعلنوا ثورة ضد الموحدين، دامت ما يقارب القرن من الزمن من القرن السادس إلى القرن السابع الهجري، الثاني عشر إلى الثالث عشر الميلادي، استولوا خلالها على مدن كثيرة في شرق دولة الموحدين، والتي تقع في المغرب الأوسط وإفريقية، منها المهديّة وبجاية وغيرها. ينظر: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1416هـ/2006م، ص195-196؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، د ت ط، ص331؛ نكار، المرجع السابق، ص35.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

<sup>4</sup> على معمر، المرجع السابق، ج2، ص280.

ويصف ابن خلدون أعماله التخريبية في وارجلان وغيرها من المناطق التي مرّ بها بقوله: «خرب عمرانها، واجتث شجرها، وغور مياهها، ويشهد لذلك آثار العمران بها في أطلال الديار، ورسوم البناء، وأعجاز النخل المنقعر».<sup>1</sup>

كما أنّ جيوش الموحّدين هي الأخرى كانت تعاقب تلك القرى والمدن التي استسلمت للميورقي، ودفعها الضرائب له، فتوالت الهجمات على وارجلان من عدّة أطراف، وكانت لها نتائج وخيمة، إذ تعتبر هذه الفترة أسوء عهد تاريخي مرّ على وارجلان في تاريخها الإسلامي على حدّ تعبير يحيى معمر.<sup>2</sup>

وبعد عملية السلب والنهب الذي طالت وارجلان، عمد ابن غانية الميورقي إلى قتل الأنفس، وهدم القصور، وإفساد العيون، وإحراق النخيل،<sup>3</sup> و«هدم كلّ ما دار عليه سورها إلى المسجد، وعادت وارجلان كأن لم تغن بالأمس».<sup>4</sup> وقد انصبّت نغمته على سدراتة، التي قضى عليها نهائياً.<sup>5</sup>

أدت هذه النكبة إلى هجرة العديد من أهل وارجلان إلى وادي ميزاب ووادي ملوية،<sup>6</sup> وتلمسان.<sup>7</sup> وأعيد بناء وارجلان من جديد من طرف من تبقى من السكان والفارين من سدراتة بمساعدة من الزنوج واليهود.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص64.

<sup>2</sup> على معمر، المرجع السابق، ج2، ص280.

<sup>3</sup> أعزام، المرجع السابق، ص131؛ على معمر، المرجع السابق، ج2، ص280.

<sup>4</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

<sup>5</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص48.

<sup>6</sup> أعزام، المرجع السابق، ص132.

<sup>7</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص48.

<sup>8</sup> Brigol, op, cit, p22.

لقد عرف الميورقيون وتجارها طرق التجارة ومسالكها إلى بلاد السودان وذهبها، وكما كانت لهم معرفة بالمدن التجارية وبدقة متناهية، إذ كانت هناك علاقة وطيدة بين تجار ميورقة والسودان، وذلك بمساعدة اليهود الذين كانوا على دراية تامة بتجارة السودان وذهبها، وأسرار المسالك، وأماكن وجود الذهب.<sup>1</sup>

وحسب الباحث بوعصبانة فإن الميورقيين من أصحاب ابن غانية كانوا قد استفادوا من يهود ميورقة، وكان من الاستراتيجية الحربية والاقتصادية ضرب مدينة بجاية واحتلالها أولاً سنة 581هـ/1185م، بمساعدة بعض القبائل الهلالية،<sup>2</sup> ثم احتلال المسالك الشرقية المؤدية إلى وارجلان؛ أي ما بين الميناء الشمالي (بجاية) والمناطق الموصلة إلى وارجلان، على غرار الزاب وأريغ، للتحكم في القوافل التجارية.<sup>3</sup>

وعليه، يمكن القول أنّ الغرض من تخريب ابن غانية وارجلان هو الانتقام من أهلها لعدم وقوفهم معه ضد أعدائه الموحدين، ناهيك على حرصه على «الاستلاء على ذهب السودان، وغلق طرق التجارة في وجه أعدائه».<sup>4</sup>

#### 4- وارجلان في العهد الحفصي:

في الوقت الذي ضعف فيه أمر الموحدين من بني عبد المؤمن، وظهر بنو مرين ونازعوا السلطة في المغرب الأقصى، وبنو زيّان في المغرب الأوسط، انتهز أبو زكرياء<sup>5</sup>

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 49.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 254-256.

<sup>3</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 49.

<sup>4</sup> نفسه، ص 48.

<sup>5</sup> أبو زكرياء الحفصي: أبو زكريا الحفصي (598 - 647 هـ / 1202 - 1249 م) يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الحفصي، أبو زكريا، أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بافريقية. وثار على أخيه عبد الله، واستمال إليه الجند، فتغلب على الملك سنة 625 هـ. وكانت الخطبة لبني عبد المؤمن (الموحدين) فقطعها، واستقل بدولته (سنة 626هـ/1228م) وخطب لنفسه. وفي أيامه استقلت فتنة ابن غانية فقتله (سنة 631)

الفرصة، وشرع في التحرك لتأسيس كيان سياسي مستقلّ عن الموحّدين، وهو ما كان سنة 626هـ/1228م، حيث قطع الخطبة لبني عبد المومن، وخطب لنفسه.<sup>1</sup>

وما إن انفصل عن بني عبد المؤمن حتّى زحف أبو زكرياء واستولى على قسنطينة وبجاية،<sup>2</sup> بدون عناء كبير، وأسر واليهما، واستطاع في وقت وجيز أن يفرض سلطته على إفريقية وبعض المناطق من المغرب الأوسط.<sup>3</sup>

ولم يلق أبو زكرياء وهو لا يزال يجمع الجموع ويدخل بهم إفريقية معارضا له إلاّ المتمرد ابن غانية الذي رآه خطرا على دولته، فشرع في مطارته إلى أن وصل إلى وارجلان،<sup>4</sup> حيث أمر بزيادة بناء قصرها، بعد التخريب الذي أصابها جرّاء فتنة ابن غانية، واختطّ مسجدها العتيق ومئذنتها المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجر،<sup>5</sup> «وأنزل بالأطراف عساكره وعمّاله لمنعها دونه. ولم يزل ابن غانية وأتباعه من العرب من أفريق سليم وهلال وغيرهم على حالهم من التشريد والجلء، إلى أن هلك سنة إحدى وثلاثين وستّمائة، وانقطع عقبه فانقطع ذكره، ومحا الله آثار فتنته من الأرض.»<sup>6</sup>

ووجه نظره إلى توسيع ملكه، فاستولى على بجاية وقسنطينة وغيرها من المناطق. كانت وفاته ببونة سنة 647هـ/1249م، أين دفن في جامعها، ثم نقل إلى قسنطينة. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص381-382؛ محمّد أبو عبد الله بن أحمد بن الشماخ: الأدلّة البيّنة الثورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر محمّد المعموري، دار العربية للكتاب، تونس، دط، 1984م، ص54-60؛ الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص155-156.

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص381؛ وينظر: رزق الله منقريوس الصدفى: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، دط، 1325هـ/1907م، ج2، ص301.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص381-382.

<sup>3</sup> برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص51.

<sup>4</sup> نفسه؛ منقريوس، المرجع السابق، ج2، ص301.

<sup>5</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص70.

<sup>6</sup> نفسه، ج6، ص382.

وبهذا انتهت فتنة يحيى بن غاينة بوفاته سنة 631هـ/1234م، وتكون وارجلان قد دخلت في طاعة أبي زكرياء الحفصي الذي عين بعضا من عماله عليها، ودفعت الضريبة إلى الدولة الحفصية.<sup>1</sup>

### 5- وارجلان في العهد الزياني:

بعد استلاء المرينيين على تلمسان بزعامة أبي عنان المريني<sup>2</sup> سنة 753هـ/1352م<sup>3</sup> هرب السلطان أبو حمّو زيّان الثاني<sup>4</sup> (791هـ/1389م) قاصدا

<sup>1</sup> ذكار، المرجع السابق، ص36.

<sup>2</sup> أبو عنان المريني: أبو عنان هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو عدنان، المتوكل على الله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء) سنة 729هـ/1329م وولاه أبوه إمارة " تلمسان " ثم ثار على أبيه، وبويع في حياته سنة 749هـ/1349م ولما مات أبوه سنة 752هـ/1351م استتب أمره، فبدأ بإخضاع بني عبد الواد، فقاتلوه فظفر بهم ودخل تلمسان، وقصد إفريقية سنة 758هـ/1357م فانترع قسنطينة وتونس من أيدي الحفصيين. توفي السلطان أبو عنان قتيلًا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759هـ/1358م. ينظر: أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، دط، 1973م، ص508-510؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص181-205؛ الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص127.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص161.

<sup>4</sup> أبو حمّو زيّان الثاني: هو أبو حمّو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن مجدد الدولة الزيانية (العبد الوادية) في تلمسان، وثالث ملوكها في دورها الثاني. ولد في غرناطة (بالأندلس) سنة 723هـ/1323م وانتقل إلى تلمسان، في سنة ولادته، مع أبيه، فنشأ بها ودرس على أشهر علمائها العربية والعلوم الدينية. ثم انتقل إلى فاس، بعدما استولى بنو مرين على تلمسان سنة 737هـ/1337م، ثم هاجر إلى إفريقية سنة 753هـ، واستقبل من طرف ملوك بني حفص استقبال الأمراء وأعانوه على استرداد أراضيهم من بني مرين بمساعدة بعض القبائل من عرب الذوادة وبني عامر التي أذعنّت له، فاستطاع استرجاع تلمسان سنة 760هـ/1359م، أين تم بيعته بالإمارة، واستقرت الدولة في أيامه، خرج ابنه عبد الرحمن عليه، فاضطر لقتاله توفي مقتولا على يد أصحاب ابنه سنة 791هـ/1389م. دامت دولته 31 سنة. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص163-164؛ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص37؛ ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1421هـ/2001م، ص86؛ عبد الحميد حاجيات: أبو حمّو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1394هـ/1974م، ص71 وما بعدها؛ عادل نويهض: مُعْجَمُ أعلام الجزائر من صدر

الأراضي الحفصية حيث استقبله صاحبها أبو إسحاق إبراهيم بن الحفصي<sup>1</sup> أحسن استقبال وأكرم نزله<sup>2</sup>.

أقام أبو حمّو بها خمس سنوات،<sup>3</sup> يلتقي بالوافدين من المغرب الأوسط، يطّلع على أخبار تلمسان وأبناء قبيلته، ويسأل عن أحوال أبي عنان.<sup>4</sup> كما أنّه في هذه الفترة ربط علاقات طيبة مع القبائل الموجودة في إفريقية خاصّة الذواودة، وهم من قبيلة رياح، فاستولى على ميلة آواخر شوال 758هـ/1357م ثمّ على قسنطينة التي كانت تحت سلطة المرينيين.<sup>5</sup> ومن ثمّة فكّر في الذهاب إلى تلمسان لاستعادة الدولة من أبي عنان، وتخليص المغرب الأوسط من المرينيين، مروراً بالأوراس ثمّ الزاب.

غير أنّه لأسباب أمنية غير اتّجاهه صوب الصحراء، فعرّج هو وجنوده على وادي ريغ، ثمّ اتّجهوا صوب وارجلان، هروباً من عساكر المرينيين.<sup>6</sup> يقول ابن خلدون واصفاً دخول السلطان إلى وارجلان: "...ولحق ببلد واركلي قبلة الزّاب لبعدها عن منال الجيوش

=الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ص125-126.

<sup>1</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن الحفصي: هو إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد الحفصي الهنتاتي، أبو إسحاق: أمير المؤمنين بتونس وبلاد إفريقية. دخل إبراهيم تونس وتمت له البيعة سنة 678 هـ/1279م، توفي سنة 682 هـ/1283م. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص435؛ الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص79؛ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تح، محمّد زينهم محمّد عزب، دار الأفاق، القاهرة، ط1، 1434هـ/2013م، ص175-176.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص163.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان، تح وتوق، بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2013م، ج2، ص18.

<sup>4</sup> مجهول، زهر البستان، ج2، ص19؛ حاجيات، المرجع السابق، ص81.

<sup>5</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص20؛ حاجيات، المرجع السابق، ص84.

<sup>6</sup> عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، دار موفر للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2002م، ج1، ص54.

والعساكر فأجاروه وأكرموا نزله<sup>1</sup>. والجدير بالذكر أنّ المناطق الصحراوية في عمومها مثّلت "عمقا ثوريا يلتجئ إليه الثوّار كلّما نال العدو من قوّتهم"<sup>2</sup>.

وكانت الصراعات السياسية التي تحدث داخل الأسر الحاكمة خاصّة بالمناطق شديدة التنّازع في الشمال، تجد صدى لها في الصحراء الواسعة ومنها وارجلان.<sup>3</sup> لذلك نجد أنّ الصحراء هي النقطة النائية التي يلجأ إليها أمراء بني زيّان عندما كانت تغزى أراضيهم لما يجدون فيها من الملاذ والفرصة لإعداد العدة ومواجهة العدو.<sup>4</sup>

دامت رحلة السلطان أبو حمّو وجنوده من ريغ إلى وارجلان خمسة أيّام في مسيرة شاقّة لا يُرى فيها طير، ولا شجر، سوى الأشواك المنتشرة في الصحراء. نالهم فيها العطش الشديد، وكاد يهلك بعض من كانوا معه بسبب قلّة المياه. وصف ذلك صاحب زهر البستان فقال: «فمن ريغ إلى ورجلا خمسة أيّام، تجفّ فيها الروايا-وهي الجلود المعبّأة بالماء-، وتقتل من شدّة الأوام -وهو العطش-».<sup>5</sup>

ثم اتّجه نحو بلاد مصعب، ومن ثمّ قصد مسلكا آخر نحو الشمال الغربي في اتّجاه وادي زرقون ومكث فيها أيّاما، قبل أن يتّجه صوب منطقة وادي ملال جنوب تلمسان، التي استولى عليها بعد أن كانت تحت سيطرة عرب سويد أعداء بني زيّان، وكان ذلك سنة 759هـ/1358م. وبلغه في هذه الأثناء موت أبي عنان فتوجّه صوب تلمسان التي دخلها منتصرا سنة 760هـ/1359م.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 179.

<sup>2</sup> شنيّتي، المرجع السابق، ص 04

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص 79.

<sup>4</sup> فيلاللي، المرجع السابق، ج1، ص44.

<sup>5</sup> مجهول، زهر البستان، ج2، ص36. وينظر تعليق رقم 2 و3

<sup>6</sup> نفسه، ج2، ص 36-38؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص21؛ فيلاللي، المرجع السابق، ص 54؛ حاجيات، المرجع السابق، 87-89.

ذكر السلطان أبو حمّو زيّان الثاني (791هـ/1389م) في قصيدته الميمية "جرت أدمعي" تفاصيل رحلته من إفريقية إلى تلمسان، حيث ذكر فيها أغلب المناطق التي حلّ بها أثناء حركته من أجل استعادة ملك أجداده وتخليص المغرب الأوسط من بطش المرينيين ومنها وارجلان حيث قال:

"وجئت لواركلا وجزت مصابها ولا مخبر غير الصلاد الأعاجم"<sup>1</sup>

يستشفّ ممّا سبق أنّ وارجلان كانت السبّاقة في مساندة السلطان أبي حمّو زيّان الثاني في حركته ضدّ المرينيين، إذ أكرموا نزله، واستقبلوه استقبال السلاطين، كما نصّ على ذلك ابن خلدون.<sup>2</sup> كما كانت ملاذا آمنا يرجع إليها سلاطين الدولة الزيّانية كلّما أحسّوا بخطر الجيوش المرينية.

يتّضح لنا من خلال مساندة أهل وارجلان للسلطان أبي حمّو الزيّاني الثاني، أنّ وارجلان كانت تابعة للمجال الجغرافي للدولة الزيّانية، وهو ما ذهب إليه بعض الباحثين الذين تناولوا جغرافية الدولة الزيّانية وحدودها السياسية، من ذلك ما ذكره عبد العزيز فيلالي في معرض ذكره لانتّساع حدود الدولة الزيّانية فذكر أنّ الحدود الجنوبية بلغت نواحي وارجلان، وتوات، وغرداية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو حمّو الزيّاني، المصدر السابق، ص70.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص179.

<sup>3</sup> فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص45.

## الفصل الثاني:

### الوضع الاجتماعي في وارجلان ما بين القرنين

4هـ/10م - 9هـ/15م

المبحث الأول: التركيبة الإثنية.

المبحث الثاني: التراتب الاجتماعي لوارجلان

المبحث الثالث: حلقة العزّابة وتنظيم مجتمع وارجلان

المبحث الرابع: مظاهر الحياة الاجتماعية في وارجلان

## المبحث الأول: التركيبة الإثنية.

تتميّز وارجلان بتنوّعها العرقي، فعلى الرغم من أنّ البربر يشكّلون الأغلبية بين سكّانها، إلاّ أنّ المنطقة شهدت توافد عناصر متنوّعة أخرى نتيجة للحروب والهجرات عبر تاريخها الطويل، بالإضافة إلى قوافل التجّار الذين اختاروا الإقامة فيها، وذلك بسبب غناها وأمنها، وكذا الترحاب الكبير الذي لقيه هؤلاء التجّار من سكّان وارجلان.<sup>1</sup> فقد أشار الحسن الوزّان إلى أنّ من بين سكّانها عددا كبيرا من التجّار الأجانب الغرباء لاسيما من قسنطينة وتونس، والذين وجدوا أهل وارجلان كرماء وظرفاء يستقبلون الغريب ويفرحون به.<sup>2</sup>

## أولا- البربر:

يشكّل العنصر البربري الأغلبية بين سكّان المغرب، حيث سكن شمال إفريقيا منذ فترة طويلة، وخلال هذه الفترة كوّن سمات خاصّة به وانتشر في مختلف أنحاء المغرب،<sup>3</sup> وفي هذا يقول ابن خلدون: "هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملئوا البسائط، والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتّخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر والشعر والوبر...".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> باجو، المرجع السابق، ص48، الخروصي، المرجع السابق، ص45،

<sup>2</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>3</sup> علي محمود عبد اللطيف الجندي: البربر في افريقية في العصر الأموي (40-132هـ/660-751م)، رسالة ماجستير، تخ، التاريخ والحضارة، إيش، حسين يوسف دويدار، جامعة الأزهر، القاهرة، دت، ص2.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص116.

وكلمة "البربر"<sup>1</sup> تُطَقَّ على جماعات مختلفة في خصائصها، ولا علاقة لها بلون البشرة. هم أجناس متعددة كونت شعبًا موحدًا منذ أقدم العصور. قدموا إلى هذه البلاد من منطقة البحر المتوسط عن طريق مجموعتين؛ المجموعة الأولى استقرت في شمال إفريقيا، حيث مال لون بشرتها إلى البياض، والأخرى استقرت في الجنوب، حيث مال لون بشرتها إلى السواد.<sup>2</sup>

يختلف كثير من الباحثين في تحديد جذور البربر (الأمازيغ)، فالبعض ذهب إلى أنّ البربر من أصل هندي أوروبي؛ أي من الأصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام، خرجوا في عصور متقدمة من الهند ومروا بفارس ثم بالقوقاز، واجتازوا شمال أوروبا، ليستقروا أخيرا في إفريقيا.<sup>3</sup>

ومنهم من يرى أنّ أصلهم سامي من أبناء سام بن نوح،<sup>4</sup> في حين يرى آخرون أنّهم من أبناء حام بن نوح؛ فقد ذكر الناصري أنّ "بني حام تنازعوا مع بني سام فانهزم

<sup>1</sup> تضاربت الآراء حول تسمية البربر فالبعض يرى أنّ أصل الكلمة روماني وأنّ اليونان هم من أطلقوا كلمة بربر BARBAOI والرومان أطلقوا كلمة بربر BARBARI جورا وظلما ويقصدون بها الهمجية والتوحش مرّة، وعلى الشعوب غير الرومانية مرّة أخرى، ومع مرّ الزمان قُبلت وصارت تستعمل دون عقدة، غير أنّهم يفضلون كلمة "أمازيغن" والتي تعني الرجال الأحرار، أو الأشراف، بينما يرى آخرون أنّ أصل الكلمة عربي، حيث ترجع إلى الجدّ الأكبر لهذا الشعب، حيث أرجعوه إلى بربر بن عيلان بن نزار، وقيل غير هذا، بينما نسب ابن خلدون التسمية إلى كلام أفريقيش بن قيس من ملوك التتابة، حينما دخل إفريقيا غزا المغرب وسمع رطانة أهله، فقال ما أكثر بربرتكم، أي اختلاف أصواتكم ومنها بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117؛ أحمد بن إسحاق أبي يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط6، 1415هـ/1995م، ج1، ص190؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص19؛ العربي دحو: مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، الجزائر، دط، 1406هـ-1986م، ص16-17؛ الجندي، المرجع السابق، ص2

<sup>2</sup> الجندي، المرجع السابق، ص3

<sup>3</sup> عثمان الكعك: البربر، نشر تامنغاست، د بط، دط، 1375هـ، ص50؛ خديجة شنعة: "إشكالية أصل البربر"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، العدد 03، جامعة ابن بلة، وهران، جوان 2015م، ملجود2، ص217.

<sup>4</sup> الكعك، المرجع السابق، ص51.

بنو حام أمامهم إلى المغرب، وتناسلوا به واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب...<sup>1</sup> وقيل غير ذلك<sup>2</sup>

هذا، وقد أورد ابن خلدون مجموعة من الروايات حول أصول البربر، بعد أن قال: "وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا، وبحثوا فيه طويلا."<sup>3</sup> وهذه أهمها:

- البربر من ولد ابراهيم من ابنه نقشان.
- البربر يمنيون هاجروا إلى المنطقة.
- البربر من قبائل غسان الذين تفرقوا بعد سيل العرم.
- البربر من لخم وجذام سكان فلسطين الذين طردهم الفرس.
- البربر من ولد النعمان بن حمير بن سبأ.
- البربر من قوم جالوت.
- البربر من كنعان والعماليق أنزلهم إفريقيش إفريقية.
- البربر من قبائل شتى: حمير، والأقباط، والعماليق، وكنعان، وقريش.

وعلق ابن خلدون على هذه الآراء بقوله: "وأعلم أنّ هذه المذاهب كلّها مرجوحة وبعيدة من الصواب"<sup>4</sup>، ثمّ تتبّع هذه الروايات بالنقد حسب علم الأنساب وعلم العمران،<sup>5</sup> وخلص في الأخير إلى أنّهم من نسل مازيغ بن كنعان، حيث قال: "والحقّ الذي لا ينبغي

<sup>1</sup> الناصري، المصدر السابق، ج1، ص116.

<sup>2</sup> للاستزادة حول نسب البربر وأصولهم ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 116 وما بعدها، محمّد حقي: البربر في الأندلس، دار المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/2001م، ص15-22.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص120-126.

<sup>4</sup> نفسه، ج6، ص126.

<sup>5</sup> نفسه، حقي، المرجع السابق، ص18.

التعديل على غيره في شأنهم أنّهم من ولد كنعان بن حام بن نوح"<sup>1</sup>، ورجّح بأنّ موطنهم الأوّل هو فلسطين.<sup>2</sup>

ونجد عند ابن حزم، قبله موقفاً مشابهاً؛ حيث ينفي انتماءهم إلى اليمن، ويعتبر ذلك مجرد اختلاق من مؤرّخي اليمن<sup>3</sup>. حيث قال: "...وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى برّ بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شكّ فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه برّ أصلاً. ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلّا في تكاذيب مؤرّخي اليمن"<sup>4</sup>. وبشكل غير مباشر، لا يعارض ابن حزم فكرة الأصل الكنعاني للبربر، وهو الأصل الذي سبق لنا توضيح إقرار ابن خلدون له<sup>5</sup>.

هذا، وقد أكّد غير واحد من المؤرّخين أنّ فلسطين هي الموطن الأوّل للبربر منهم: ابن خلدون كما سبق وأن ذكرنا، وابن خرداذبة الذي أشار إلى أنّ فلسطين هي دار البربر الأولى زمن جالوت، "فلما قتله داود صلّى الله عليه جلت البربر الى المغرب"<sup>6</sup>. ويذكر البلاذري أنّ "منازلهم كانت على أيادي الدهر فلسطين... وأتوا المغرب ففتنوا به"<sup>7</sup>، وهي نفس الإشارة التي ذكرها صاحب "الاستبصار"، حيث أوضح أنّ معظم البرابر اتّجهوا

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص126.

<sup>2</sup> حقي، المرجع السابق، ص18.

<sup>3</sup> نفسه

<sup>4</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ص495.

<sup>5</sup> نفسه؛ حقي، المرجع السابق، ص18.

<sup>6</sup> أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، دط، 1889م، ص91.

<sup>7</sup> أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1988م، ص222.

نحو المغرب واستوطنوها،<sup>1</sup> وكانت هذه الهجرة في العصر الحجري قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة لا تقلّ عن ثلاثين قرناً.<sup>2</sup>

مع استقرار البربر وتكاثرهم، ظهر لديهم تنوع في البطون والأفخاذ، مما أدى إلى اختلاف في تركيبتهم الاجتماعية.<sup>3</sup> بعض النسابة يقسمون هذه التركيبة إلى فرقتين رئيسيتين، هما البرانس والبتّر،<sup>4</sup> إذ يعتمد غالبية النسابة في هذا التقسيم إلى عنصر النسب والعلاقات الدموية،<sup>5</sup> فابن خلدون يرى أنّ بُرَّ جَدُّ البربر ترك ولدين هما برنس ومادغيس، فأنحدر البرانس من برنس، والبتّر من مادغيس<sup>6</sup>، وهو ما ذهب إليه ابن حزم في جمهرته من قبل.<sup>7</sup>

تفرّعت عن البرانس والبتّر العديد من القبائل البربرية التي يصعب حصرها أو تتبّع نهايتها بسبب كثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم<sup>8</sup>. وهو ما أشار إليه ابن خلدون قائلاً: "والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمّة"، وذكر بعضها منها؛ "وهي هوّارة وزناتة وضرية ومغيلة وزيحوحة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصمودة وصدينه ويزدران وندجين وصنهاجة ومجكسة وواركلان وغيرهم"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> مجهول، الاستبصار، ص155.

<sup>2</sup> الكعك، المرجع السابق، ص7؛ محمّد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، د بط، دط، 2010م، ص31.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص31.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص124.

<sup>5</sup> حقي، المرجع السابق، ص22.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117.

<sup>7</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ص495.

<sup>8</sup> أبو القاسم محمّد بن حوقل البغدادي: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، دط، 1938م، ج1، ص100.

<sup>9</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص122.

وأما الإدريسي فيذكر من قبائل البربر: "زناة وضريسة ومغيلة ومقدر وبنو عبد ربه وورفجوم ونفزة ونفزاوة ومطماطة ولمطة وصنهاجة وهوارة وكتامة ولوارة ومزاتة وصدراتة ويصلاسن ومديونة وزبوجة ومداسة وقالمة وأوربة وهطيطة ووليطة وبنو منهوس وبنو سمجون وبنو وارقلان وبنو يسدران".<sup>1</sup>

نلاحظ من خلال ما ورد في النصين ذكر لفظين مختلفين، فالأول "واركلان" عند ابن خلدون، والثاني "بني وارقلان" عند الإدريسي، والمقصود بهما واحد. سواء واركلان أو وارقلان، فوارجلان لها عدة تسميات كما مرّ معنا في الفصل الأول. وفي النصين إشارة إلى أنّ قبيلة واركلان تعتبر أصل سگان وارجلان.<sup>2</sup>

كانت وارجلان قديما عامرة بالبربر،<sup>3</sup> وارتباط البربر بها يرجع إلى الغزو الروماني، وذلك بسبب الحروب التي كانت سجالا بين الرومان والأهالي (البربر) المتشبهين بالأرض، والتي عملت روما على طردهم منها بالقوة، فلجأ العديد من البربر إلى الصحاري واستقروا بها،<sup>4</sup> وعليه فإنّ هذه الهجرة تحمل معها دلالة التحرر والرغبة في عدم الخضوع للمحتل.<sup>5</sup>

كان من بين القبائل النازحة بنو واركلا "إحدى بطون زناة"<sup>6</sup> الذين استقروا في منطقة وارجلان وسميت المدينة باسمهم،<sup>7</sup> لكن بأعداد قليلة، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "وكانت فنتهم قليلة"<sup>8</sup>. لكن سرعان ما بدأ عددهم يزداد ويتعاضد مع التناسل والتوافد

<sup>1</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص222.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص31.

<sup>3</sup> أعزام، المرجع السابق، ص99.

<sup>4</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص29؛ نكار، المرجع السابق، ص19.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص33.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>7</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص29.

<sup>8</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

والتصاهر، وهو ما يفسر قول ابن خلدون حينما كان يصف عمران بني واركلا "بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطّة. ثم استبحر عمرانها فأتلقت وصارت مصرا واحدا"<sup>1</sup>. هذا الاستبحار في العمران لا يكان ينفصل عن تزايد القوّة الديمغرافية التي كانت وراء هذا التوسّع العمراني.<sup>2</sup>

### 1- أهم القبائل البربرية بمنطقة وارجلان:

#### أ- قبيلة زناتة:

قبيلة زناتة قبيلة عظيمة من القبائل العريقة في القدم<sup>3</sup>، ويُعتبر نسبها مسألة معقّدة أثارت جدلاً طويلاً بين الباحثين والنسّابين، ولم يتمكّنوا من الوصول إلى توافق حول أصولها<sup>4</sup>؛ فبينما يرى بعضهم أنّ أصولها تعود إلى قبائل عربية كحمير<sup>5</sup>، ذهب آخرون إلى ربطها بالعمالقة والتبابعة؛ أي أنّهم من نسل جالوت، وهو ما نقل عن أبي محمّد بن قتيبة<sup>6</sup>، ويشاطره في الرأي كلّ من ابن عبد البر القرطبي الذي قال أنّ "زناتة كلّها تنتسب

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص33.

<sup>3</sup> الملي، المرجع السابق، ج1، ص107.

<sup>4</sup> بومنقار معاذ: قبيلة زناتة والنشاط التجارية في المغرب الأوسط ما بين القرن 2-7هـ/8-13م، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الأوسط الاقتصادي في العصر الوسيط، إيش، يوسف عابد، جامعة قسنطينة 02 عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 1441-1442هـ/2020-2021م، ص19.

<sup>5</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ص495.

<sup>6</sup> نفسه؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص4.

إلى جالوت<sup>1</sup>، والإدريسي الذي يعتقد أنّ "ضريس" هو ابن جالوت أبو زناتة كلّها، ويعتبر زناتة "عرب صرح وإنما تبربروا بالمجاورة والمحالفة للبرابر من المصاميد"<sup>2</sup>.

ومع ذلك، يتفق غالبية المؤرخين على أنّ زناتة تنتمي إلى العنصر البربري، منهم ابن حزم الذي يرى أنّهم من بقايا ولد حام بن نوح-عليه السلام- وأنّ من نسبهم إلى حمير أو برّ بن قيس مجرد افتراء لأنّه لم يكن لقيس ولد بهذا الاسم (برّ) أصلاً ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا أكاذيب مؤرخي اليمن<sup>3</sup>.

وكذلك ابن خلدون الذي توسّع في ذكر نسب زناتة، وفنّد الأقوال السابقة<sup>4</sup>، حيث نسب زناتة إلى البربر بقوله: "أمّا نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنّهم من ولد شانانا<sup>5</sup> وإليه نسبهم"<sup>6</sup>. وذكر تسمية أخرى (جانا) عزاها لابن حزم: "وقال أيضا في كتاب الجمهرة؛ ذكر لي يوسف الوزّاق عن أيوب بن أبي يزيد يعني حين وفد على قرطبة عن أبيه الثائر بإفريقية أيام الناصر قال: هو جانا بن يحيى بن صولات..."<sup>7</sup>. لكن عند

<sup>1</sup> أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي: القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم، مكتبة القدسي، دط، القاهرة، 1350هـ/1931م، ص26.

<sup>2</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257.

<sup>3</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ص495.

<sup>4</sup> ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص5-9.

<sup>5</sup> شانانا: هو شانانا أو (جانا) بن يحيى بن صولات بن وزمك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر، وقيل أيضا هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضري بن رحيك، بن مقبو بن قروال بن يملان بن مادغيس بن زجيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام.. ينظر ابن حزم، المصدر السابق، ص495؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص4.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص4.

<sup>7</sup> نفسه

رجوعنا إلى كتاب ابن حزم (الجمهرة) لم نجد هذا اللفظ الذي ساقه ابن خلدون، ووقفنا على ذكر شانا فقط، ولعلّه اعتمد على نسخة غير التي بين أيدينا والله أعلم.<sup>1</sup>

اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال حول نسب قبيلة زناتة، "الأمر الذي يجعلنا نفهم أنّ هذه القبيلة واسعة المجال، كثيرة العدد، بعيدة النسب"<sup>2</sup>. وعلى الرغم من هذه الاختلافات، فإنّ أصول الزناتيين تعود إلى البربر، وتحديداً إلى أبناء جانا بن يحيى بن ضري.

أمّا عن سبب تسمية زناتة بهذا الاسم يرى ابن خلدون "أنّ أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كلّ، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم. وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأمّيل إلى السين، ويقرب للسمع منها بعض الصفير فأبدلوها زيا محضة لاتّصال مخرج الزاي بالسين، فصارت زانات لفظاً مفرداً دالاً على الجنس..."<sup>3</sup>

### 1- موطن قبيلة زناتة:

يصعب تحديد مواقع زناتة بالمغرب بنفس الدقّة التي يحدّد بها الموقع الجغرافي لقبيلة صنهاجة مثلاً، لأنّ زناتة غير مستقرّة في مكان، بل رحّالة على العكس من صنهاجة،

<sup>1</sup> هذا وقد وقفت على نصّ عند ابن عذارى يتوافق مع ما نقله ابن خلدون جاء فيه: "ونسب زناتة: قال أبو المجد المغيلي، وعلي بن حزم، وغيرهما: أن زناتة هم أولاد جانا بن يحيى بن صلوات بن ورتاج بن ضري بن سفكو بن قيدواد بن شعبا بن مادغيس بن هود بن هرسق بن كداد بن مازيغ" وهو ما يؤكد أنّ النسخة التي بين أيدينا غير التي وقف عليها ابن خلدون وابن عذارى. ينظر ابن حزم، المصدر السابق، ص495؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص65.

<sup>2</sup> بومنقار: المرجع السابق، ص 21.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص10-11.

لهذا يكون الكلام عن الموقع الجغرافي بالتقريب<sup>1</sup> فابن خلدون يشير أنّ زناتة توجد ما بين غدامس والسوس الأقصى وبالقرى الجريدية بالصحراء وجبال طرابلس وضواحي إفريقية، وجبال الأوراس، وتتركز بالخصوص بالمغرب الأوسط "حتىّ أنّه ينسب إليهم فيقال وطن زناتة"<sup>2</sup>.

لذا جلّ المؤرخين يعتبرون المغرب الأوسط هو الموطن الأصلي لقبيلة زناتة، ومن خصائصهم أنّهم مشتهرون آخذون من شعائر العرب في سكن الخيام، واتّخاذ الإبل وركوب الخيل.<sup>3</sup> كما اختصّت زناتة وبطونها برطانة تخالف رطانة إخوانهم من البربر، ولا يرامون بذل ولا ينالهم من استطال عليهم.<sup>4</sup>

## 2- فروع زناتة: تتفرّع عن زناتة عدّة قبائل أهمّها:

### أ- بنو واركلا:

قبيلة واركلا - كما أشرنا سابقا- هي التي أعطت اسمها لمنطقة وارجلان، كما أعطت قبيلة سدراتة اسمها لمدينة سدراتة، وقبيلة نفوسة اسمها لجبل نفوسة،<sup>5</sup> وهي "إحدى بطون زناتة، من ولد فرني بن جانا... وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمّد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص18.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص10-11؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص 23.

<sup>3</sup> نفس المصدر والمرجع.

<sup>4</sup> اعزام، المرجع السابق، ص

<sup>5</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 23.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

"كانت فئتهم قليلة"<sup>1</sup> مقارنة ببني يفرن أو مغراوة، كان يعيش في كنفهم بعض من مغراوة، وبنو زنداك، وهم الذين هرب إليهم أبو يزيد النكاري<sup>2</sup> عند فراره من العبيديين، وكان هذا حسب ابن خلدون سنة (325هـ/936م).<sup>3</sup>

### ب- بنو يفرن:

من أشهر القبائل الزناتية وأوسع بطونهم وأقواها<sup>4</sup>، من أبناء يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرث بن جانا، وهم إخوة مغراوة وبني يرنيان وبني واسين، وأهم شعوبهم بنو واركو ومرنجسية، وكانوا في بداية الفتح الإسلامي من أكبر القبائل التي تحالفت مع جرواة في حربها ضد الفاتحين.<sup>5</sup>

وقد ورد في بعض المصادر الإباضية لفظ إيفران، وهي من قرى وارجلان الموجودة شمالها،<sup>6</sup> جاء عند الدرجيني: "...ونحو ذلك ما ذكر محبوب بن أبي عبد الله السدراتي أن الشيخ أبا عبد الله وصل إيفران من قرى وارجلان ومعه أصحابه"<sup>7</sup>. ويوحى هذا النص أن بني يفرن قد استوطنوا وارجلان، وبالتحديد شمالها، ويبدو أن هذا القصر قد اتخذ اسمه من اسمها.

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> عن ثورة أبي يزيد وتفاصيلها ينظر: ابن خلدون المصدر السابق، ج7، ص18 وما بعدها.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>4</sup> عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ص115.

<sup>5</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص15؛ الدراجي بوزياني: القبائل الأمازيغية (أدوارها-مواطنها-أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2007، ص2266-267، بومنقار: المرجع السابق، ص31.

<sup>6</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص441. وينظر تعليق محقق كتاب الوسياني، ج1، ص441، تعليق رقم13.

<sup>7</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص188.

ت- بنو مغراوة:

تعدّ قبائل بني مغراوة من أكبر فروع زناتة وأكثرها نفوذًا وقوة، إضافةً إلى كونها من أعظم القبائل التي تمتعت بالسلطة<sup>1</sup>، وهم إخوة بني يفرن حيث ينتسبون إلى يصلتين ابن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الدير بن جانا.<sup>2</sup>

"وأما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل: بني يلبث(يليث)، وبني زنداك، وبني رواو، ورتزمير، وبني أبي سعيد، وبني ورميغان، والأغواط، وبني ريغة، وغيرهم".<sup>3</sup> وكان انتشارهم ما بين إفريقية والسوس، وجنوب المغرب الأوسط ووارجلان ولقواط(الأغواط حالياً)،<sup>4</sup> كما كانوا يوجدون أيضا حول بسكرة مع قبائل سدراتة.<sup>5</sup>

ج- بنو ورماز:

هي قبيلة زناتية سكنت أريغ، وفرع منها سكن وارجلان. إلا أنّ هذه القبيلة عرفت بالفساد والنهب وقطع الطريق وشنّ الغارات على عابري السبيل، وألحقت بهم أذى كبيرا. وكانت سببا في هجرة أبي عبد الله محمد بن بكر<sup>6</sup> وتلامذته من أريغ إلى إيفرن شمال وارجلان.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الكعك: المرجع السابق، ص 163.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 15.

<sup>3</sup> نفسه، ج 7، ص 33

<sup>4</sup> نفسه؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 19.

<sup>5</sup> البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 230.

<sup>6</sup> أبو عبد الله محمد بن بكر: هو أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي أحد أقطاب الإباضية في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين. ولد الشيخ بمدينة فرسقاء بجبل نفوسة سنة 345هـ/956م على الراجح، وقيل غير ذلك، أسس العزّابية، سعى الشيخ إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبته على أنه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل، ولا بين النص والواقع. كان كثير السفر مع طلبته في المغرب الاسلامي يعلم الناس أمر دينهم،

يقول الدرجيني: "وذكروا أنّ بني ورزمار طغوا وأكثروا من الفساد وقطع الطريق وأنواع الأذى... فارتحل أبو عبد الله بأهله وعياله ونزل إيفرن من قرى وارجلان، فأقام فيهم عاماً، فضاعت أحوال أريغ لفقدهم أبا عبد الله، وما كان يصلح من أحوالهم وفسادهم."<sup>2</sup>

### ب- قبيلة سدراتة:

أصل قبيلة سدراتة من لواتة، ولواتة "بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر، ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك"<sup>3</sup>. وفي "لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيظط بن لوا، ومثل عزوزة بن ماصلت بن لوا"<sup>4</sup>. ولسدراتة قرابة الأخوة مع بني مغراوة، إذ تزوّجت أمّه مغراوة، فكان الامتزاج في النسب.<sup>5</sup> وتنتسب إليها المدينة الموجودة جنوب وارجلان<sup>6</sup>، وإن كان الغالب هو نسبة المكان لمن يقطنه ليحمل اسمه، ويصبح علماً عليه.<sup>7</sup>

هذا وقد نسب أعزام صاحب غصن البان سدراتة إلى زناة حين تكلم عن بلاد سدراتة حيث قال: "وبلاد سدراتة منسوبة إلى شعب من شعوب البربر، من بطون زناة"<sup>8</sup>.

من بين المناطق التي استقر بها بحلقته، بني يسلي، قسطالية، طرابلس، لماية، واد ريغ، وارجلان، بادية بني مصعب. توفي سنة 440هـ/1049م. ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص368-371.

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص25.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص386.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص152.

<sup>4</sup> نفسه، ج6، ص153.

<sup>5</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ص497؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص66؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص86؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص26.

<sup>6</sup> بوزياني، المرجع السابق، ص423.

<sup>7</sup> غرايسة: المدينة، ص36.

<sup>8</sup> أعزام، المرجع السابق، ص54.

وربما كان سنده في ذلك نص عند ابن خلدون أورده بصيغة التمريض "وربما يقال إنهم من سدراتة إحدى فرق زناتة أو لواتة والله أعلم"<sup>1</sup>. لكنه فنّد هذا، وأثبت أنّ سدراتة إحدى بطون لواتة في الصفحة الموالية التي ذكر فيها نسب سدراتة إلى زناتة، واعتبر أنّ "...سدراتة إحدى شعوب لواتة من البربر"<sup>2</sup>

### ث- قبيلة تناوتة:

قبيلة بربرية سكن قسم منها منطقة وارجلان، وإليها يعود نسب العالم الجليل أبي عمّار عبد الكافي<sup>3</sup> التناوتي الارجلاني،<sup>4</sup> والعديد من أفراد أسرته الذين توارثوا العلم من بعده.<sup>5</sup>

بالإضافة إلى قبائل أخرى شكّلت النسيج الاجتماعي لوارجلان، نذكر منها قبيلة بني يكشن، وقبيلة زواغة، وقبيلة بني زلغين،<sup>6</sup> ومنها التي لا تزال موجودة إلى اليوم، وقد كانت

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص42.

<sup>2</sup> نفسه، ج6، ص43.

<sup>3</sup> أبو عمّار عبد الكافي: هو أبو عمّار محمّد عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمّد التناوتي الارجلاني (ت قبل 570هـ/1174م)، صنّفه الدرجيني من الطبقة الثانية عشرة (550-600هـ) عالم فقيه وأصولي شهير ولد بتناوت وارجلان. أخذ العلم عن أبي زكرياء يحيى وأيوب بن إسماعيل، ثم رحل إلى تونس وبلغ الغاية في العلم ثم عاد متصديا لإحياء الدين بحلقاته، فقصده الطلبة من مختلف المواطن، خلف تراثا فكريا فيما منه: كتاب الموجز (محق)، وشرح الجهالات (مخ)، وكتاب الاستقامة وكتاب الفرائض (مخ)... وغيرها. ينظر بجاز وآخرون، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص258.

<sup>4</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص26.

<sup>5</sup> غرايسة: المدينة، ص36.

<sup>6</sup> نفسه، ص36-37.

كلها بربرية منها: بنو واجين (إباضية كلها)، بنو سيسين (أغلبها مالكية والبعض إباضية)، بنو إبراهيم (مالكية كلها).<sup>1</sup>

يستشفّ ممّا سبق أنّ العنصر البربري كان الغالب على بقية العناصر الأخرى -سيأتي ذكرها- المُشكّلة لتركيبية المجتمع في وارجلان، ولا أدلّ على هذا من كثرة القبائل البربرية المقيمة في المنطقة (زناة ببطونها، سدراتة، تناوتة، بنو زلغين زواغة بنو واجين وغيرهم).

قد لا تكون جميع القبائل المذكورة من أصول وارجلانية، لكن من المؤكّد أنّ جزءا منها مهمّ من خلال استقرارها في المنطقة، ومساهمتها في تشكيل النسيج الاجتماعي لوارجلان. رغم أنّ هذه القبائل لن تظلّ دائماً مهيمنة على التركيبة الاجتماعية، لما يتوقّع حدوثه من تحولات اجتماعية من شأنها إعادة صياغة الواقع الاجتماعي.<sup>2</sup>

### ثانيا-العرب:

لم تشهد وارجلان حضورا للعرب قبل الفتح الإسلامي، إذ لا توجد أيّ دلائل مادية تشير إلى وجودهم في منطقة وادي مية قبل ذلك. بل إنّ الوجود العربي في المنطقة لم يحدث إلّا بعد وصول قبائل بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> غرايسة: المدينة، ص 37.

<sup>3</sup> محمّد حمامد: الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان ونواحيها خلال القرنين 5-6 هـ-11-12 م، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي، عبر العصور، إش، عبد الكريم بوصفصاف، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار (الجزائر)، 1433-1434 هـ/2012-2013 م، ص 130؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص 27.

يرى ابن خلدون أنّ توافد العرب للمغرب كان في أواسط القرن الخامس للهجرة، ويوضح ذلك بقوله: "ولأنّ العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنّما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفريق بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك، فكانت أخبارهم من أخبارها فلذلك استوعبناها. وأمّا آخر مواطن العرب فكانت برقة<sup>1</sup>"، ويقصد بهذا العرب قبل بني هلال.

نعني بتوافد القبائل العربية إلى المناطق الصحراوية عموماً ووارجلان بالخصوص التوطن والاستقرار، لا المقام المؤقت، مثل الذي كان للبرستميّين بعد حملة العبيديّين على وارجلان وفرار الإمام يعقوب بن أفح إليها.<sup>2</sup> وممّا سهل استقرار القبائل العربية وانتشارها في المناطق الصحراوية؛ أنّها اعتادت على نمط الحياة الصحراوية، وأسلوب الحياة القائم على الترحال ورعى الماشية، هذا النمط جعلهم يتكيّفون بسرعة مع البيئة الصحراوية، وساعدهم في الانتشار في مناطق واسعة من جنوب المغرب الأوسط.

تعدّ قبائل المعقل من أبرز القبائل العربية التي استوطنت المناطق الصحراوية بشكل عام ووارجلان بشكل خاصّ، حيث وجدوا في أماكن استوطنتها زناتة، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن. قام هؤلاء المعقل في القفار وتفرّدوا في البيداء فنموّ نموّاً لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطّها زناتة بالفقر مثل قصور السوس غرباً... ثمّ واركلان"<sup>3</sup>. وأشار في موضع

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص6.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص27.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص77-78. ونفس النص تقريباً نجده عند الناصري، ينظر: الناصري، المصدر السابق، ج2، ص178.

آخر أنّ المغرب الأوسط أغلب دياره كانت للبربر وقبائلهم لهذا العهد (القرن التاسع للهجري) مغلوبون للعرب من زغبة.<sup>1</sup>

وبحسب المليي فإنّ قبائل المعقل قد اندمجوا مع "غير نسبهم من أشجع وفزارة وبني سليم. ومن بني هلال أحياء مع المعقل أيضا من مسلم وسعيد والعمور وكرفة والمهاية وحصين".<sup>2</sup>

والشيء المؤكّد هو وجود عدد من القبائل الهلالية بالمنطقة<sup>3</sup>، حيث كانت قبيلة "رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى ورقلة"<sup>4</sup>، كما أنّ استقرار الذواودة كان واضح المعالم في "مجالات الزاب وريغ وواركلي وما وراءها من القفار".<sup>5</sup>

والمعلوم عن الحركة الهلالية ارتباطها بالموقف الرسمي الفاطمي<sup>6</sup> من خلفائهم بإفريقية<sup>1</sup>، وما ترتّب عنه من نتائج كانت لها انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية. ولا

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص134.

<sup>2</sup> المليي، المرجع السابق، ج2، ص193.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص34.

<sup>4</sup> مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص212.

<sup>5</sup> نفسه، ص213.

<sup>6</sup> إنّ هجرة بني هلال إلى المغرب الإسلامي كانت ناجمة عن تشجيع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (420-487هـ/1029-1094م)، ذلك بعدما تمكن محمد أبو الحسن اليازوري وزير الخليفة المستنصر بإغراء القبائل العربية المقيمة في مصر بالهجرة إلى بلاد المغرب، وأنهم يتولون شؤونه نيابة عن الفاطميين، وكان هذا بعدما أعلن المعز بن باديس الصنهاجي (406-454هـ/1016-1062م) إسقاطه التبعية للخلافة الفاطمية الشيعية، واستبدالها بالتبعية للخلافة العباسية السنية سنة 443هـ. فكان ذلك مبررا بأن يتخذ المستنصر قرار العقوبة للزيرين بأن أوفد هذه المجموعات العربية وأمدّمهم بالسلاح والمال لكي يقضوا على الزيرين وهو ما كان. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص288؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص96؛ غرايسة، التحولات، ص175؛ عبد الحميد بوسماحة: رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008م، ص76-77.

يبدو أنّ وارجلان كانت بمعزل عن كلّ ذلك، سواء بتعرّضها للغارات التي كانت تهدف السلب والنهب، أو تحمّلها ارتدادات في غيرها من الجهات،<sup>2</sup> "إذ أنّ الفارين من الغزاة قد لجئوا إلى المدن البعيدة في أطراف الصحراء، خاصّة القبائل التي كانت مواطنها في بلاد الزاب والمسيلة".<sup>3</sup>

بغضّ النظر عن الدوافع السياسية التي أدّت إلى وجود العرب في المنطقة، كانت ظروفهم الاقتصادية المتدهورة من أبرز العوامل التي حدّدت مسارهم هناك، وكانت سببا في اختيار مواقع للاستقرار في غالبيتها -إن لم يكن جميعها- ذات أهمية استراتيجية اقتصادية، مثل إقامتها على أهمّ مسالك تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان وبلاد مصر، والمتمثّلة في واحات برقة ووارجلان وغيرهما.<sup>4</sup>

وأيا كان الواقع وما ارتبط به، فإنّ ذلك لا ينفي حدوث تواصل اجتماعي، واندماج العرب أو بعضا منهم مع الوسط البشري الذي هم فيه،<sup>5</sup> حيث "أنّ فئة العرب نجدها اندمجت وسط سكّان وارجلان... وبالخصوص بني معقل".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الشماع، المصدر السابق، ص 136-138.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص 34.

<sup>3</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 25.

<sup>4</sup> فوزية كرزاز: " التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط (ق 5-6-11هـ/12م)", مجلة عصور الجديدة، العدد 21-22، مخبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 1437هـ/2016م، ص 120.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص 34.

<sup>6</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 29.

## ثالثا- اليهود:

عاش اليهود في المدن الإسلامية في العصور الوسطى جنبا إلى جنب مع المسلمين أقلّيات-أهل الذمّة-، وقد أوصى الإسلام بحسن معاملتهم. وفي شمال إفريقيا كان اليهود في التراتب الاجتماعي منذ عهد الرومان، وبقوا على حالهم حتى الفتح الإسلامي، حيث استقرّوا جماعات وأقلّيات على طول المدن الساحلية للمغرب الإسلامي، بل توغّلوا إلى داخل البلاد حتى وصلوا الصحراء<sup>1</sup>، وأصبحوا يشكّلون أقلّية من أهل الذمّة في المغرب الأوسط، حيث أحرزوا حقوقا جديدة لم يكونوا يحلمون بها من قبل في العصرين السابقين؛ الروماني والبيزنطي، إذ مكّنوا من المعيشة في ظروف آمنة على أرواحهم وأموالهم مقابل دفع الجزية. زيادة عن الاحترام العام والتقدير من طرف عامّة المسلمين، واحترام أئمّة المسلمين لهم، والأخذ برأيهم في السياسة والإدارة<sup>2</sup>.

إلى جانب البربر والعرب كان لليهود حضور بمنطقة وارجلان. فعلى الرغم من عدم وجود مصادر كافية تتبنّنا بزمن وصولهم إلى المنطقة، وتخبّرنا بهيئاتهم وأعدادهم<sup>3</sup>، إلّا أنّ دخولهم كان منذ وقت مبكّر، وأرجعه البعض إلى العصر الروماني<sup>4</sup> حيث دخلوا مهاجرين لأغراض كثيرة منها التجارة، كما كانوا يعيشون عيشة العزلة عن المجتمع الوارجلاني، وشكّلوا أقلّية كان لها دورها البارز في الجانب الاقتصادي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابراهيم بكير بحاز: الدولة الرستميّة دراسة في المجتمع والنظم، دار كتابك، الجزائر، دط، 20019م، ص40.

<sup>2</sup> محمّد بوركيبة: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستميّة (160-296هـ/777-909م)، دارالكفاية، الجزائر، دط، دت ط، ص199.

<sup>3</sup> غرايسة: المدينة، ص35.

<sup>4</sup> محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص286.

<sup>5</sup> محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص286.

كانت وارجلان تقع على أهمّ خطوط التجارة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان، ومدخل عبيد السودان الغربي للمغرب "ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية"<sup>1</sup>، كلّ هذا جعلها منطقة جذب لليهود، فاستوطنوها واشتغلوا فيها على التجارة، خاصة تجارة الذهب.<sup>2</sup> كما كان لهم دور سياسي إذ تضامنوا مع أهلها ضدّ أبي عبد الله الشيعي<sup>3</sup>.

جاء عند الدرجيني في قصة حصار عبيد الله لأهل وارجلان في كدية كريمة، والذي فشل بحيلة رجل يهودي، أشار عليهم أن يأتوا بقصاع مملوءة بالزيت، ويقدموا لها الإبل التي تمكّن منها العطش، فجعلت الجمال كلّما رأت القصاع مملوءة حسبته ماء فقصدتها، فكّما كرعت وجدته زيتا فرفعت رؤوسها تنفضها في الجوّ، فلما رأى العدو ذلك جمع جيشه وأمرهم بالرحيل، لاعتقاده أنّهم يعطون الماء لجمالهم لتشرب، ومن ثمّ فلا جدوى من الحصار.<sup>4</sup>

كما وُجدت بعض الإشارات في بعض المصادر التاريخية تؤكّد وجود هذه الطائفة بمنطقة وارجلان؛ منها ما ورد عند الوسياني في سؤال لأهل وارجلان عن "مسألة يهودي اشترى جنانا في وادي أجلو... فقال لهم يونس بن الشيخ المعز بن حبيب الهواري<sup>5</sup> خذوا عنه الشفعة، شفعة الإسلام، فسألوا أبا محمّد عن ذلك فقال: ذروا الناس يعيشون في بلدكم"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بشير: اليهود في المغرب العربي 462.22/هـ/1070.642م)، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2001م، ص 44-45.

<sup>4</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 171-173، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 95-96؛ بوعقادة، المرجع السابق، ص 78.

<sup>5</sup> لم نجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

<sup>6</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 454.

كانت مساكن اليهود بالسوق العمومي لوارجلان، ولم ينجلوا عنها إلا بعد استيلاء دولة الأشراف أولاد علاهم سنة 1040هـ/1631م، فطردوهم منها.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> أعزام المرجع السابق، ص 98 ؛ غرايسة، المدينة، ص 35.

## المبحث الثاني: الترتيب الاجتماعي لوارجلان

تعددت التشكيلات المختلفة المكوّنة لمجتمع وارجلان الذي بدأ متعدّد الأجناس والطبقات. حيث كان لنشاط الحركة التجارية الأثر الواضح في رسم الملمح الاجتماعي على غرار قوافل العبيد الذين أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من الكيان الاجتماعي لوارجلان. ومن جهة أخرى، فإنّه كان للمستوى المعيشي وطبيعة التوزيع والاستقرار في المناطق الجغرافية، الأثر في صياغة الواقع الاجتماعي لوارجلان. من خلال هذا، يمكن الوقوف أمام صورة اجتماعية شكّلت أساس تركيب المجتمع وفئاته.<sup>1</sup> ويمكن تحديد أهمّ هاتاه الفئات على النحو التالي:

- فئة الأعيان، وتشمل هذه الفئة مشائخ ووجوه وارجلان، وكبار التجار، والعلماء، والقضاة.

- فئة العوام (العامة)، وتشمل أصحاب الحرف والمهن، والفلاحين، وأصحاب الماشية.

- فئة العبيد.

أولاً- فئة الأعيان:

## 1- المشايخ والوجوه:

المشايخ هم رؤساء الجماعات المقيمة في المدينة، وقد يطلق عليهم اسم مجلس الأعيان، إذ المقصود بلفظ المشايخ يتجاوز المفهوم التقليدي المرتبط بأصحاب العمائم، ليشمل من أسندت إليهم مهمّة إدارة شؤون وارجلان.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص 90

<sup>2</sup> نفسه

أمّا الوجوه فهم من نطلق عليهم اليوم كلمة الوجهاء، والوجيه هو الرجل صاحب الرأي السديد الصائب في أيّ مجتمع، وله مكانته في القبيلة أو في المجتمع الذي هو عنصر فيه، كأن يكون تاجرا مخلصا أمينا يدين له سائر التجار بالتقدير، وله شأن عظيم من بينهم، وكلمته مسموعة، لما عرف عنه من خصال وأخلاق كريمة، كما أنّها<sup>1</sup>؟

إنّ عموم المجتمع الوراجلاني هو مجتمع قبلي والشعوب تخضع الخضوع المطلق لرؤساء قبائلها، لأنّها تمثل السلطة العائلية، فكلّ قبيلة شيخ ترشّحه لزعامتها إذا رأت فيه ما يؤهّله لزعامتها. فإذا كان لديها علماء رشّحت منهم، وإلاّ فمن ذوي الحكمة والمشورة، وعليه فإنّه يرجّح أن يكون الحكم قبليا في وارجلان. كما أنّها أثناء قيام الدولة الرستميّة كانت تابعة لحكمها، وذلك بارتباط المذهب.<sup>2</sup>

خضعت وارجلان إلى سلطة هؤلاء المشايخ، ولعلّ أهمّ المشايخ الذين تولّوا شؤون وارجلان في القرن الرابع للهجري أبو صالح جنّون بن يمران، الذي كان له نفوذ واسع وتأثير كبير على أهل وارجلان، وانتهت إليه الرياسة العلمية والدينية بها،<sup>3</sup> وكان لسعة ماله وعلمه مقصدا للناس يأتونه من كلّ جانب، ويلتجئون إليه في كلّ شدّة، وقد حزم أمر وارجلان ووحد بينها، حتّى صارت كتلة قويّة.<sup>4</sup>

وقد ذاع صيت الشيخ حينما التجأ إليه الإمام الرستمي يعقوب بن أفح فرارا من تاهرت حينما هجم عليها الفاطميون، فلم يجد مكانا يحمي فيه إلاّ وارجلان، فاستقبله

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م، ص 272.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 39-40.

<sup>3</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 432 وما بعدها، ابراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 115.

<sup>4</sup> علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 171.

الشيخ أحسن استقبال وأكرم وفادته.<sup>1</sup> وللشيخ أبو صالح جنون بن يمران الفضل الكبير في ازدهار الحركة العلمية في وارجلان، حيث كان العلماء يقيمون عنده، كما كان ينفق على التلاميذ والطلبة.<sup>2</sup>

ولهذا كان لهؤلاء المشايخ مكانة مرموقة في المجتمع، يقومون بالفصل في جميع القضايا التي تعرض عليهم، وممن تولى شؤون وارجلان الشيخ أبو عبد الله محمد السدراتي<sup>3</sup>، فقد ورد في سير أبي زكرياء عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر حين زار أهل وارجلان، ودخل على الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي الذي ولّاه أهل وارجلان أمورهم.<sup>4</sup>

هذا وقد نقل بوعصبانة عن ليفتسكي، أنه كان بوارجلان ثلاثة وعشرون متولياً على أمورها، وعلى الأرجح أنهم كانوا موزعين على القرى المجاورة لها، وهذا استناداً على ما ذكره أبو زكرياء في سيره حيث اقتصر على ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي واليا على مدينة وارجلان<sup>5</sup>

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 107.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 241.

<sup>3</sup> أبو عبد الله محمد السدراتي: هو محمد السدراتي أبو عبد الله من علماء الطبقة التاسعة (400-450هـ/1009-1058م)، من أشهر علماء سدراتة بوارجلان، جمع بين العلم والخبرة الورع والزهد، ذكرت له كرامات، ولّاه أهل وارجلان على أمورهم؛ فقام بحق الله حق قيام، وحكم بالقسط، وقسم بالسوية، ويبدو أنه توفي في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة. ينظر بحاز وآخرون، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص358.

<sup>4</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص270. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص187-188.

<sup>5</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 40-41.

2- القضاة:

القضاء<sup>1</sup> هو الفصل في الخصومات بين الناس وقطع التنازع. ويكون بالأدلة الشرعية، ويتولّى هذا الأمر القاضي حيث يراعي الشريعة الإسلامية في أحكامه، وفي هذا يقول ابن خلدون: "وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء إلى من سواهم."<sup>2</sup>

يبدو أنّ منصب القاضي كان قائماً في وارجلان منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهو ما يتجلى في وجود أسماء تولّت هذه المهمة. ولا شكّ في أنّ ذلك كان له دور كبير في إرساء هذه الوظيفة التي يتوقّف عليها العدل الذي هو أساس الحكم.<sup>3</sup>

ومن الإشارات التي وردت في كتب السير عن القضاء والقضاة في وارجلان ما ذكره أبو زكريا أنّ أبا الحسن أفلح سأل شيخه أبا عبد الله محمد بن بكر في نخلة نبتت في مجرى العامّة: هل يحكم فيها القاضي بالشفعة لبعضهم دون بعض؟ قال الشيخ: لا،

<sup>1</sup> القضاء في اللغة: يطلق لفظ "القضاء" في اللغة العربية على الأمر، ومنه قول الله تبارك وتعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءِ} الآية 23 سورة الإسراء، ويطلق على الفراغ ومنه قول الله عز وجل: {قُضِيَ الْأَمْرُ} الآية 2 سورة يوسف، أي: فرغ، ويطلق على الفعل، مثل قوله سبحانه وتعالى: {فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} الآية 72 سورة طه، ويطلق على الإرادة ويطلق على الموت، مثل قوله تبارك وتعالى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} 77 الزخرف، ويطلق على الحكم والإلزام، مثل قضيت عليك بكذا، وقضيت بين الخصمين وعليهما، ويطلق على الأداء، قال الله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ} 200 البقرة أي: أديتموها. ويطلق على الصنع والتقدير، ومنه قوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} 12 فصلت، ومنه القضاء والقدر، وغير ذلك من المعاني. أمّا في الاصطلاح فلفقهاء الشريعة تعريفات متعددة للقضاء؛ الذي هو الحكم بين الناس. ينظر: محمد رأفت عثمان: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، د م ط، 2، 1994م، ص 8-12.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 275.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص 92.

فقال له أبو الحسن: إنَّ رجلين اختصما عندي في نخلة على مجرى العامّة، فطلبها رجل من تلك العامّة بالشفعة ممّن اشتراها من صاحبها، فلم أحكم له.<sup>1</sup>

من بين ما ذكره الوسياني عن القضاة الذين تولّوا القضاء في وارجلان، نجد العزّ بن تاغيرت الذي تولّى هذا المنصب تحديداً في "تين وال" إحدى قرى وارجلان. كما يقدّم الشماخي وصفاً دقيقاً عن نظام القضاء في وارجلان، حيث أورد في سيره ما نصّه: "وَدَعَى رَجُلٌ دَاراً بِالشَّرَاءِ بَيْنَ يَدَي قَاضٍ بِوَارِجْلَانَ، فَآتَى بِالْبَيْتَةِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْكُمَ لَهُ الْقَاضِي، قَالَ: نِصْفَ الدَّارِ شَرَاءً وَنِصْفَهَا مِيرَاثٌ فَتَوَقَّفَ الْقَاضِي، فَسَأَلَ الشَّيْخَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَآكِسْنَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ بَكْرٍ عَنْهَا، قَالَ: أَبْطَلَ بَيْتَهُ."<sup>2</sup> كما أشار إلى أحد قضاة وارجلان وهو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم؛ من علماء القرن الخامس للهجري.<sup>3</sup>

يستخلص من الروايات السابقة أنّ فئة القضاة شكّلت جزءاً من كيان المجتمع الوارجلاني، وساهمت في إشاعة العدل والمساواة بين أفرادها، وفضّ الخصومات والمنازعات، وإقامة الحدود على مستحقّيها، والتسوية في الحكم بين القوي والضعيف، وغيرها من المهام المسندة إلى القاضي للنظر فيها.<sup>4</sup>

### 3- العلماء :

العلماء هم أنوار الله في الأرض، خصّصوا حياتهم لخدمة المجتمع الوارجلاني من خلال نشر العلوم، وتقديم الوعظ والإرشاد والتوجيه. لقد كان لهم دور بارز في تنشيط

<sup>1</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص278؛ حماد، المرجع السابق، ص137.

<sup>2</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص55.

<sup>3</sup> نفسه، ج2، ص148؛ ابراهيم بجاز وآخرون، المرجع السابق، ص481.

<sup>4</sup> حدّد الماوردي النطاق الموضوعي للقضاء في عشرة أحكام للاستزادة حول هذا ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، دط، دتط، ص 119.

الحركة العلمية والثقافية في وارجلان، حيث عملوا على تشجيع أفراد المجتمع على طلب العلم والسعي نحو المعرفة.

وتنوّعت مهامهم بين التدريس، والمناقشات العلمية، والمدارس بين أولئك الذين كانوا يتفرغون للعبادة والصلاة، ممّا جعلهم ركيزة أساسية في بناء مجتمع متعلّم ومتماسك.<sup>1</sup> وبهذا كانت وارجلان عاصمة إسلامية بامتياز، ومركز إشعاع علمي وحضاري، ومرآة تعكس نور الإيمان على مجاهل إفريقيا جنوب الصحراء، حيث اشتهرت وقرائها-على غرار سدراتة، آجلو، وإيفران- بكثرة المساجد، وأماكن العبادة.<sup>2</sup>

وفي فضل العلم ذكر الدرجيني أنّ "أبا عمران المزاتي -عاش خلال القرن السادس الهجري - قال مراراً في مجالس كثيرة؛ تعلّم حرف واحد من العربية، كتعلّم ثمانين مسألة في علم الفروع، وتعلّم مسألة واحدة، كعبادة ستّين سنة، ومن حمل كتاباً من كتب إلى بلد لم يكن فيه ذلك الكتاب، فكأنّما حمل ألف حمل دقيق وتصدّق بها على أهل ذلك البلد، وهذا في فضل العلم وطلبه.<sup>3</sup>

ولد ونشأ واستقرّ بمدينة وارجلان عدد لا بأس به من العلماء والفقهاء، الذين أتقنوا مختلف فنون العلم والمعرفة، أدّى بعضهم دوراً مهماً في حياة المجتمع، وخلف وراءه مصنّفات علمية، بعضها يعدّ من أمّهات كتب المذهب.<sup>4</sup> فالأعمال التي ألفها تلامذة أبي عبد الله محمد بن بكر، في القرن 5هـ/11م، وخاصة تلميذه أبو الربيع سليمان بن

<sup>1</sup> حماد، المرجع السابق، ص134.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص83.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص411.

<sup>4</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص126.

يخلف، بلغت درجة عالية من الثراء الفكري، لم يتجاوزها العلماء الإباضيون في بلاد المغرب من قبل.<sup>1</sup>

من علماء وارجلان كذلك أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، ينتمي إلى الطبقة العاشرة، عاش في النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م صاحب كتاب "سير الأئمة وأخبارهم"، توفي بعد سنة 474هـ/1081م.<sup>2</sup>

وممن العلماء البارزين في وارجلان كذلك، أبو عمّار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الذي عاش في النصف الأول من القرن 6هـ/12م. درس الفقه وعلم الكلام على يد مدرسه أبي يحيى بن زكرياء بن أبي بكر في وارجلان، ثم رحل إلى تونس، حيث درس الأدب العربي، وقواعد الصرف، والنحو في جامع الزيتونة. ترك لنا مؤلفات منها: شرح الجهالات، كتاب الموجز، كتاب الاستطاعة.<sup>3</sup>

عالم آخر هو أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم مناد السدراتي (ت 570هـ/1174م). من مواليد وارجلان بسدراتة، تلقى دروسه الأولى في وارجلان، ثم رحل إلى الأندلس ، و استقر في قرطبة ، و فيها حصل علوم اللسان والحديث ، و التنجيم ، و غيرها، من آثاره كتاب في أصول الفقه "العدل والانصاف"، وكتاب في أصول الدين "الدليل لأهل العقول".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عمرو خليفة التّامي: دراسات عن الإباضيّة، تر، مخائيل خوري و ماهر جزّار، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط2، 2012م، ص 224

<sup>2</sup> بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص451-452.

<sup>3</sup> التّامي: المرجع السابق ، ص225.

<sup>4</sup> نفسه، ص228؛ حاج عيسى، المرجع السابق، ص127.

وكذلك أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني صاحب كتاب الطبقات الذي توفي نهاية القرن السابع للهجري، وهو وإن كان مولده بمنطقة الجريد، إلا أنه درس بوارجلان، وأقام فيها.<sup>1</sup>

كان لفئة العلماء دور محوري في نشر العلوم والمعارف المختلفة بين أفراد المجتمع الوارجلاني، مما ساهم بشكل كبير في الحركة العلمية والفكرية، والنهوض بها. هذا وقد حظيت هذه الفئة بمكانة مرموقة و متميزة في المجتمع، حيث تمكنت بفضل سلطتها العلمية والروحية أن تترك بصمة محدّدة في الحياة الوارجلانية. ومن خلال جهودهم، أصبحت وارجلان محطة مقصودة للتعليم والدعوة، وموئلاً للعلماء، وأحد أهم حواضر المغرب الإسلامي عموماً، والمغرب الأوسط بالخصوص.

#### 4- التجار:

تمتاز وارجلان بموقع جغرافي استراتيجي، أثر إيجاباً على نشاطها الاقتصادي. فهي تقع على طريق الاتّصال الحيوي بين حواضر بلاد المغرب والسودان مما جعلها محطة أساسية للتجارة الداخلية والخارجية، ونتيجة لهذا الوضع اشتغل سكان وارجلان على التجارة،<sup>2</sup> وهو النشاط الاقتصادي الغالب في المنطقة.

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص126، حاج عيسى، المرجع السابق، ص149.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص156-157.

أسهمت الحركة التجارية في وارجلان بشكل كبير في تحسين المستوى المعيشي لسكانها، حيث نشأت طبقة من التجار الأثرياء الذين فرضوا سيطرتهم على النشاط التجاري المتّجه نحو بلاد السودان، واحتكروا استيراد الذهب القادم من تلك المناطق،<sup>1</sup>

أشار ابن حوقل إلى قوافل التجار الكثيرة التي كانت تجوب المغرب إلى بلاد السودان بحثاً عن الأرباح بقوله: "وتجاراتهم دائرة ومفردتهم دائمة، وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة قلّ ما يداينها التجار في بلاد الإسلام سعة حال"<sup>2</sup>. ولا شك أنّ تجار وارجلان يدخلون ضمن هذا الإطار الذي وصفه ابن حوقل للقوافل التجارية المنتشرة في كافة المغرب، وما يؤكّد هذا الطرح، ما أورده الإدريسي واصفاً مدينة وارجلان وقبائلها وتجارها حيث ذكر أنّ فيها "قبائل مياسير، وتجار أغنياء"<sup>3</sup>

أدت فئة التجار دوراً بارزاً في إدارة شؤون الحياة العامّة في وارجلان، مستفيدةً من سلطتها المالية التي اكتسبتها أساساً من نشاطها التجاري المزدهر. وقد انعكس ذلك بشكل إيجابي على الوضع المادي ومستوى المعيشة لهذه الفئة التي كانت تضمّ أفراداً من سكان وارجلان. ويبدو واضحاً أنّ هؤلاء التجار كانوا ينتمون إلى قبائل رئيسية سيطرت على حركة القوافل التجارية، ممّا جعلهم في موقع الثراء والرفاهية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عاشور صيد، العمارة وال عمران الإسلامي بالمغرب الأوسط من خلال كتاب "القسمّة وأصول الأرضين" للفرس طائي (ت 504 هـ-1110م) مدينة وارجلان أنموذجاً -دراسة تاريخية أثرية عمرانوية-، دكتوراه علوم، تخصص الآثار الإسلامية، إيش، صالح بن قرية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، 2018-2019م، ص 317.

<sup>2</sup> ابن حوقل المصدر السابق، ج 1، ص 61.

<sup>3</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 222.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص 93.

وكان واضحاً ارتباط هذا بتحكّمهم في الحركة التجارية واحتكار المجلوبات من التبر الذي كان يُضرب بوارجلان التي وجد<sup>1</sup> " فيها قبائل أغنياء وتجار يتجولون في بلاد السودان ويجلبون التبر ويضربونه في بلادهم"<sup>2</sup>. ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على المشهد العمراني الذي استبشرت فيه وارجلان.<sup>3</sup>

أشارت بعض المصادر إلى أسماء بعض تجار وارجلان، منها ما جاء في كتاب المعلقات<sup>4</sup> أن تاجراً من وارجلان يدعى "تأملي" الذي دخل القيروان ومعه غرارة من التمر، فوجد الناس متشوّقين إلى التمر، فباعها بالعدد وخرج من القيروان متوجّهاً إلى غانة، فكان ماله على النماء والزيادة، واجتمع عنده ستّ عشرة جلة مملوءة بالذهب مكتوب على جميعها مال الله، مال الله.<sup>5</sup>

والجدير بالذكر أنّ هؤلاء التجار استغلّوا هذا الثراء والمال في عمل الخير والبرّ وبناء المساجد، ومعونة المحتاجين والإنفاق على طلبة العلم.<sup>6</sup> فما هو ذا "تأملي" المذكور آنفاً، يرسل زكاة ماله إلى إخوانه من منطقة الجريد بالمغرب الأدنى.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص93.

<sup>2</sup> أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد المقريري: جني الأزهار من الروض المعطار، تح، محمّد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2006م، ص72.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>4</sup> للحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الكتاب ومؤلفه، يُرجى الاطلاع على مقالنا سعد يحيوي: "ملاحم من الحياة الاقتصادية بوارجلان من خلال كتاب المعلقات لمجهول (ق 3-6هـ/6-12م)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد02، جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر، جوان 2024م، مج9، ص95.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تح، الحاج سليمان بن ابراهيم بابيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م، ص101-103.

<sup>6</sup> حمامد، المرجع السابق، ص138.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص101-103.

## ثانيا- فئة العامة:

تمثّل فئة العامة الأغلبية في المجتمع الوارجلاني، لأنها لا تمتاز بشيء معيّن، فهي من سائر الناس، وأغلب أفرادها من ذوي الدخل المتوسط أو الملكيات الصغيرة، ولم يكن لدى أفراد هذه الفئة حظّ في امتلاك العلم أو الفقه أو الحكمة حتّى يلتحقوا بطبقة الوجوه والأعيان. إنّ هذه الطبقة تحوي جمهور الناس من الفلاحين، والتجار الصغار، وأهل الحرف، والرعاة في البادية.<sup>1</sup>

## 1-فئة الفلاحين:

تندرج ضمن هذه الفئة شرائح أخرى هي:

## أ- المزارعون:

اهتمّ الوارجلانيون بالزراعة، فشرعوا في إحياء الأراضي واستصلاحها، فعلى الرغم من قساوة الطبيعة الصحراوية إلا أنّ أهل وارجلان استطاعوا أن يقاوموها، فحوّلوا المنطقة إلى جنّات وغيابات متواصلة من النخيل<sup>2</sup>، والكثير منهم اهتم بغرسها، لأنّها المورد الأساسي لرزقهم<sup>3</sup>، فعلى يدهم تكوّنت الزراعة ونشطت. كما كانوا يغرسون الأشجار من التين والزيتون والرمان والنخيل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في المجتمع والنظم، ص55.

<sup>2</sup> نفسه، ص152.

<sup>3</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص88، (مقدمة المحقق).

<sup>4</sup> حمامد، المرجع السابق، ص 138.

قال صاحب الاستبصار يصف وارجلان: "بلد خصيب كثير النخيل والبساتين... وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه"<sup>1</sup>. وقال ابن سعيد المغربي: "وهي بلاد نخل"<sup>2</sup>.

وقد ساعدت الأودية المحيطة بوارجلان في دعم النشاط الزراعي والعمل به، ممّا دفع بالمزارعين إلى إحياء الأراضي البور. وارتبطوا بأراضيهم التي هي منبع معاشهم وأقوات عيالهم. وتحوّلت القبائل البربرية في وارجلان إلى قبائل مستقرّة داخل المجتمع، مرتبطة بالأرض، تسكن المدينة وقراها، وتمارس الفلاحة إلى جانب الرعي.<sup>3</sup>

اهتمّ مزارعوا وارجلان اهتماماً خاصاً بزراعة النخيل، فالتزم يعدّ الغذاء الأساسي، وهو أحسن ما يقدّم للضيوف. وقد أشار سعد زغلول عبد الحميد إلى أهميّة التمر في الواحات الصحراوية كونه مادّة مطلوبة سواء للاستهلاك أو سلعة تجارية تباع في مختلف الأقاليم بقوله: "حياة سكّان الواحات تعتمد إلى حدّ كبير على بدو الصحراء، إذ يحتاجون إلى التبادل التجاري معهم، فأهل البادية يأتون إلى الواحة من أجل الري والسقيا، وكذلك لأخذ مؤونتهم من التمر أو نقله إلى الأقاليم التي ينفق فيها. فالتمر كما نعلم أهمّ غلّة في الواحات فالإلى جانب كثرة النخيل نلاحظ أنّ إنتاجه مضمون إلى حدّ كبير، إذ لا يعتمد على وفرة المياه أو قلتها، كما أنّه لا يتطلّب مجهوداً كبيراً في العناية به والدفاع عنه ضدّ الحيوانات والآفات..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص224؛ محمّد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص600.

<sup>2</sup> ابن سعيد المصدر السابق، ص126.

<sup>3</sup> بوركية، المرجع السابق، ص283؛ حمامد، المرجع السابق، ص138.

<sup>4</sup> زغلول، المرجع السابق، ج1، ص100.

وإلى جانب أشجار النخيل كانت توجد أشجار الزيتون،<sup>1</sup> والإشارات من خلال النصوص تبين ذلك، ذكر الدرجيني أن: "امرأة أتت أبا زكريا تسأله شيئاً من الزيت فأخذ أبو زكريا إناء ليملاه لها زيتاً، ففضّ خاتم خابية من خوابيه، ونظر وفكّر فيما وسّع الله عليه من الرزق ووهب له من الخير، ففاضت عيناه بكاء."<sup>2</sup>

ساهمت فئة المزارعين في المجتمع الطبقات الوارجلاني بشكل كبير في استقرار الحياة الاقتصادية والاجتماعية. هؤلاء المزارعون كانوا مرتبطين بشكل خاص بالأرض، إذ عملوا على استصلاحها، ممّا ساهم في توفير المحاصيل. كانت بالنسبة لهم، مصدرًا رئيسيًا للعيش وسبيلًا ومعاشهم ومعيشة أسرهم.

#### ب- أصحاب الماشية:

هم الذين يعتمدون على قدرة حيواناتهم أو مواشيتهم، وتشمل الثروة الحيوانية الغنم والجمال بصفة خاصة لحاجة الناس إلى لحومها وأصوافها وأوبارها وجلودها وألبانها. تعدّ تربية الماشية من أهمّ الأنشطة الاقتصادية الغالبة على مجتمعات المغرب الأوسط عموماً خلال العصر الوسيط، فمعظم الناس ولاسيما أهل الريف كانت حياتهم تقوم إمّا على الزراعة أو تربية المواشي أو كلاهما، ويعود ذلك إلى طبيعة الأرض والمناخ، بالإضافة إلى نمط المعيشة القبلي الذي يضع تربية المواشي في قلب الاقتصاد القبلي لجميع أفراد القبيلة، الأمر الذي يدفعها إلى اختيار المكان المناسب للانتجاع فيه.

<sup>1</sup> حماد، المرجع السابق، ص 139.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ص 165.

ولم يكن يقتصر النشاط الرعوي على الأرياف فقط، بل مسّ أيضا أهل المدن،<sup>1</sup> قال صاحب الاستبصار في حقّ مدن المغرب الأوسط "وهي كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية، طيّبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصتها"<sup>2</sup>.

لقد عدّ رعي الماشية من الحرف المعروفة لدى البشر منذ القدم، ونظرا للحاجة إليها فقد كان يكثر الطلب عليها، ولم تكن تصنّف من الحرف المحترمة، فقد مورست من طرف جميع فئات المجتمع، دون النظر إلى السنّ أو المكانة الاجتماعية، فقد مارسها معظم الأنبياء.<sup>3</sup>

تعلّقت حياة الناس بتربية المواشي في وارجلان، ليس من باب الاسترزاق فحسب، ولكن من باب نمط العيش، فللماشية حضور في حياة الناس من حيث الغذاء واللباس وإقامة الولائم، وكلّ هذه مظاهر يتناولها علم الاجتماع من خلال العلاقة الوجودية بين الإنسان وتحقيق اكتفائه، وتتناولها الانثروبولوجيا من خلال صورة الثقافة التي يحدثها الإنسان من خلال البيئة، سواء ما تشابه فيه الناس، أو ما اختلفوا فيه.

وفي نصّين مهمّين ترسم صورة تربية الماشية في جزئيات الحياة الاجتماعية لدى المجتمع الوارجلاني، ونتبيّن من خلالهما كيف أنّ تربية الماشية حاضرة في حركة المجتمع، إذ يرد ذكرها في سياق الحديث عن حركة العلماء ودورهم.

<sup>1</sup> عيسى كروم: "استتجار الراعي في أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل"، مجلة روافد، العدد 02، جامعة عبد الحميد مهري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2019م، المجلد 03، ص 250.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص 224

<sup>3</sup> كروم، المرجع السابق، ص 250.

جاء في النصّ الأول: "خرج أبو عمار في سنة من السنين في فصل الربيع الى بادية بنى مصعب بغنمه فتوغلوا في البرية تتبعا لطلب المرعى، قربوا من جبال بني راشد.<sup>1</sup> وأبو عمّار هذا هو أبو عمّار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الذي عاش في النصف الأوّل من القرن 6 هـ/12م.

وجاء في النصّ الثاني: "ومن ذلك ما ذكر أبو الربيع أنّ راعي غنم أبي محمّد بن مانوج كان له راع قدم عليه فسأله عن حال الغنم، فقال الراعي: "هي صالحة الحال. وإن وهب الله لها العافية إلى قابل فستكمل مائة، فقال أبو محمّد لا أحبّ أن تكون مائة، كما لا أحبّ أن أكون يهوديا."<sup>2</sup> وقد عاش ابن مانوج خلال القرن الخامس الهجري. وهذا إخبار عن قناعة العلماء وقلة تعلقهم بعلائق الدنيا.

وفي النصّين الدلالة على أهميّة تربية الماشية في حياة العلماء، فمنهم من كانت تلبي حاجاته من أخلاقه، إذ جاء في سياق سيرة الشيخ أبي عمّار أنّه كان سخيّا، فكانت تربية الماشية تلبي حاجته في السخاء والكرم. ومنهم من أبانت تربية الماشية عن زهده وقناعته، وعدم تعلقه بالدنيا كما تعلق بها اليهود، وذلك واضح من عبارة النصّ.

وقد استفاد أصحاب الماشية بوارجلان من مياه الأودية المتّجهة صوب وارجلان؛ كوادي ميزاب، ووادي النساء، ممّا جعل هذه المناطق بلاد خصب كثيرة النخل والبساتين، وبلاد الزرع والضرع والمياه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص487.

<sup>2</sup> نفسه، ج2، ص401.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص224، حمّامد، المرجع السابق، ص141.

## 2- أصحاب الحرف:

من فئات المجتمع الوارجلاني فئة أهل الحرف، ورغم أنّ المصادر التاريخية لم تشر إليها إلا أنّ ذلك لا ينفي وجودها، فما من مجتمع يخلو منها، إذ مصالح الناس فيها، وبهذا لا يستغني الناس عن بعضهم، وهي من الصناعات التي تقوي شبكة العلاقات الاجتماعية.

وقد وجدت فئة صناعات الآلات الزراعية البسيطة من أجل الفلاحة كصناعة المحاريث والمناجل والفؤوس لاحتياج المزارعين لهم.<sup>1</sup> وقد وردت بعض الإشارات في كتب السير عن إمكانية وجود صناعة زراعية تتمثل في معاصر الزيتون، إذ كانت هذه الشجرة متوفرة بوارجلان من ذلك ما حكاه الدرجيني أنّ: "امرأة أتت أبا زكريا تسأله شيئاً من الزيت فأخذ أبو زكريا إناء ليملأه لها زيتاً، ففضّ خاتم خابية من خوابيه، ونظر وفكّر فيما وسع الله عليه من الرزق ووهب له من الخير، ففاضت عيناه بكاء."<sup>2</sup>، ولهذا من المحتمل جداً وجود هذه الصناعة في وارجلان.

بالإضافة إلى صناعات الجلود والدباغين الذين يعتمدون في صناعتهم على جلود الماشية لصناعة مختلف الضروريات كالنعال، والسروج، والأغطية، والأفرشة، وعليه فإنّ الدباغة صناعة ضرورية تحويلية<sup>3</sup>. وللعلم فإنّ البربر عرفوا صناعة الجلود أو الدباغة منذ عصورهم القديمة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بوركة: المرجع السابق، ص 284.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ص 165.

<sup>3</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص 206.

<sup>4</sup> أحمد صفر: مدينة المغرب الإسلامي في التاريخ، دار النشر بوسلامة، تونس، دط، 1959م، ص 152.

وكان لهذه الحرف الأثر الكبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بوارجلان، التي ارتبطت مكانتها بالنشاط التجاري والحضاري في المنطقة.

### ثالثا- فئة العبيد:

كانت تجارة العبيد من ذوي البشرة السوداء في العصور الوسطى نشاطاً مزدهراً حقق أرباحاً طائلة للتجار. وفي وارجلان سعى التجار إلى تعزيز هذه التجارة بشتى الطرق، حيث كانوا يتوجهون إلى مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، المعروفة بالسودان الغربي، لاستقدام هؤلاء الأفراد، إما لتلبية احتياجات السوق المحلية أو لتصديرهم إلى مناطق أخرى<sup>1</sup>.

تعدّ وارجلان مركزاً رئيسياً لتجمع العبيد، حيث كانوا يُوجهون منها إلى مختلف أنحاء البلاد، وإلى بلدان أخرى خارج وارجلان.<sup>2</sup> وهو ما أكدّه ابن سعيد حين أشار إلى أنّها "بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية"<sup>3</sup>

احتلت فئة العبيد في المجتمع الوارجلاني أدنى درجات السلم الاجتماعي، وكانوا يشكّلون طبقة دنيا، لا علاقة لهم بالطبقات الأخرى إلاّ علاقة تابع بمتبوع، ومأمور بآمر، حيث كانوا يُعاملون كسلع تُباع وتُشتري<sup>4</sup> بطرق تفتقر إلى العدالة.

<sup>1</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في المجتمع والنظم، ص38.

<sup>2</sup> محمّد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984م، ص168.

<sup>3</sup> ابن سعيد، المصدر السابق، ص126.

<sup>4</sup> الشماخي، المصدر السابق،

وباعتبار أنّ أغلب سكّان وارجلان كانوا يعملون في التجارة، فقد كُلف العبيد بأداء الأعمال الشاقّة مثل حفر الآبار، وتنظيف العيون، والبناء، دون حصولهم على أجرٍ عادلٍ يتناسب مع الجهود التي بذلوها.

هذا الوضع أسهم في تكريس حالة من الاختلال وعدم الاستقرار داخل البنية الاجتماعية، ما جعلهم يظنون في قاعدة الهرم الاجتماعي لسكّان وارجلان.<sup>1</sup> وقد أُشير إلى أنّ من بين ما شهدته أهل وارجلان على هذه الفئة من الظلم أنّ الواحد فيهم "يطلق عبيده فلا يعولهم، ولا يمّونهم، ولا يكفيهم طلب معاشهم، فينطلقون في أموال الناس على غير رضی أصحابها"<sup>2</sup>.

وقد شكّلت غانة وبلاد كانم وبلاد النوبة والحبشة مصادر السودانين، يقول عبد الحميد حسين حمودة: "كانت غانة أهمّ مورد للرقيق إلى بلاد المغرب، ويجلب من بلاد النوبة العبيد السود، وأنّهم في أحسن صورة، وأتمّ ما يكون من الحسن والجمال، وأطيب رائحة."<sup>3</sup>

واعتبرت وارجلان خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين سوقاً رائجة لتجارة العبيد، فكانت حلقة وصل بين بلاد السودان وشمال المغرب. وذكرت كتب السير أنّ أثرياء علماء وارجلان اتخذوا عبيدا لهم، من بينها ما حكاه أبو زكريا في سيره حيث قال: "وبلغنا أنّ الشيخ عبد الله محمّد بن بكر أرسل محبوب بن الشيخ وأبا بكر بن محمّد

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص94.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص154.

<sup>3</sup> عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص23.

ليشترى له خادما، فاشترىها له، فلما علم صاحب الخادم لمن يشتريها نزع لهما من الثمن خمسة دنانير...<sup>1</sup>

ويشمل عمل العبيد نواحي كثيرة من مظاهر الحياة، مثل خدمة أرباب المال، والسهر على راحتهم، ويعملون في الدور بإنجاز متطلّباتها، وفي الضياع بتدبير شؤونها، وفي خدمة الأراضي بحرثها وزرعها، والعمل في البساتين والأرجاء بتعهّد غرسها، بالإضافة إلى أعمال داخل المدينة من حرف متنوّعة ونحو ذلك.<sup>2</sup>

### المبحث الثالث: حلقة العزّابة وتنظيم مجتمع وارجلان:

#### أولا- نظام حلقة العزّابة:

#### 1- تعريق حلقة العزّابة

الحلقة معروفة في المصادر اللغوية وهي بمعنى الاستدارة، وعند الإباضيّة معنى اصطلاحي خاصّ. جاء في معجم مصطلحات الإباضية: "نظام العزّابة، وحلقة العزّابة، وهيئة العزّابة، ومجلس العزّابة، كلّها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثّل مراحل تطوّر النظام."<sup>3</sup>

نظام العزّابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب".

<sup>1</sup> أبو زكريا، المصدر السابق، ص280.

<sup>2</sup> بوركية، المرجع السابق، ص290-291.

<sup>3</sup> مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص697.

ويعرّفها الدرجيني بقوله: "اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم، ويلقّنهم السير، ويبصّرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كلّ واحد منهم... فكأنّهم محلّقون ولو أنّهم مفترقون".<sup>1</sup>

والعزّابة جمع عزّابي، ومدلول عزب كما وضّحها أبو عمار عبد الكافي (ت قبل 570هـ/1271م) أنّ أصل اشتقاقها من العزبة والعزلة والانقطاع والتهجّد على رؤوس الجبال.<sup>2</sup>

وهذا الاشتقاق يقودنا إلى المفهوم الاصطلاحي، حيث إنّ العزّابة في اصطلاح إباضية المغرب؛ هي هيئة محدودة العدد تبلغ اثني عشر شخصاً<sup>3</sup> يمثلون خيرة أهل البلد علماً وصلاً. وتقوم هذه الهيئة بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي دينياً، واجتماعياً، وسياسياً. وهي في زمن الظهور والدفاع تمثّل مجلس الشورى للإمام أو عامله،

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص4.

<sup>2</sup> أبو عمار عبد الكافي، سير أبي عمار، تح، مسعود مزهودي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996م، ص13.

<sup>3</sup> تتكون هيئة العزّابة من الشيخ وهو رئيس الهيئة الذي يتولى الإشراف على الهيئة وأعضائها وتجتمع في الشيخ كل السلطات إلا أنّه لا يمارس النفوذ المطلق ولا برأيه بحيث لا يبرم أمراً ولا يبيت في قضية إلا بعد استشارة أهل الحل والعقد، ويقع تحت سلطة الشيخ إمام الصلاة، والمؤذن، ووكيلا المسجد، وثلاثة رجال يقرؤون الصار في المحاضر ومغسلوا الموتى وعددهم أربعة أو خمسة، وقاضي البلد، هذا؛ وقد يزيد العدد لتزايد المهام كزيادة المحاضر والمساجد، ليصل إلى أربعة عشر عضواً أو أكثر، ولكل عضو في الهيئة خليفة، يكون مرشحاً لتولي المهمة في حالة غيابه أو موته، أو البراءة منه. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص174؛ عبد الكافي، المرجع السابق، ص18-19؛ مزهودي، المرجع السابق، ص207، الخروصي، المرجع السابق، ص55-56.

أمّا في زمني الشراء والكتمان فهي تمثّل الإمام، وتمارس كلّ صلاحيات الإمامة، باستثناء إقامة الحدود التي هي من اختصاص إمام الظهور.<sup>1</sup>

وعلى أساس هذا التعريف فإنّ مهمّة العزّابة الأساسية؛ الانقطاع لخدمة الصالح العام، والإعراض عن شواغل الحياة وحفظ النفس؛ من أهل ومال وولد، والتفرّغ لخدمة المسلمين ابتغاء وجه الله.<sup>2</sup>

## 2- تأسيس العزّابة:

يتوافق رأي الإباضية مع آراء العديد من المذاهب الإسلامية بشأن ضرورة تنصيب الإمام وإقامة الدولة الإسلامية، وذلك من أجل ضمان تطبيق أحكام الشريعة، وتنظيم شؤون المجتمع وفقاً لتعاليم الإسلام.<sup>3</sup>

يعتبر الإباضية أنّ لديهم نظرية محدّدة حول كيفية إقامة الدولة الإسلامية، وتُعرف هذه النظرية بمسالك الدين<sup>4</sup>، والتي تشير إلى المراحل المختلفة لإقامة دين الله في المجتمع. وتتكوّن هذه المسالك من أربعة: الظهور، الدفاع، الشراء، والكتمان.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عوض محمّد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال افريقيا في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1982م، ص43؛ يحيي معمر، المرجع السابق، ج1، ص79؛ باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>2</sup> يحيي معمر، المرجع السابق، ج1، ص79؛ باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>4</sup> حول مسالك الدين عند الإباضية ينظر: أبو العباس احمد بن سعيد الشماخي وأبو سليمان داود بن ابراهيم التلاتي: مقدّمة التوحيد وشروحيها، تر، أبو حفص، عمر بن جميع، دار الحكمة، لندن، ط2، 1436هـ/2016م، ص69-74، يحيي معمر، المرجع السابق، ج1، ص76-78.

<sup>5</sup> باجو، المرجع السابق، ص36.

دخل الإباضية مرحلة الكتمان بعد اختفاء وجودهم السياسي في بلاد المغرب نتيجة انهيار الدولة الرستميّة، وفشل ثوراتهم ضدّ الفاطميين. وقد انشغلوا بالتفكير في التنظير ووضع أسس العمل خلال هذه الفترة، فقاموا بتأسيس نظام حلقة العزّابة الذي وضع أسسه<sup>1</sup> الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النّفوسي في عام 409هـ/1018م.<sup>2</sup> وكان ذلك تجسيداً فعلياً للابتعاد عن الانشغال بالمظاهر العلنية للسلطة السياسية، والتركيز على بناء القاعدة الأساسية للمجتمع وفقاً لتعاليم الإسلام.<sup>3</sup>

فتولّت هذه الحلقة تسيير شؤون المجتمع ماعدا الأحكام الخاصّة بالإمامة، وكان خير بديل عن قيام دولة عادلة،<sup>4</sup> بل إنّ "نظام حلقة العزّابة في كلمات موجزة، تنظيم محكم الإمامة عادلة".<sup>5</sup> ولذلك اعتبر أبو عمار عبد الكافي ق6هـ/12م "منزلة أهل الحلقة الصافية كمنزلة السلطان العادل في حكمه سواء".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> من الباحثين من يرى أنّ الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر ليس هو المؤسس الحقيقي للعزّابة، إنّما هو واحد من الذين تابعوا عمل العزّابة في القرن الخامس الهجري، وما أضافه محمد بن بكر هو الانتقال بالطلبة من الدراسة في الكهوف إلى بناء خاص حيث " شيد من كريم البنيان ما يتشبه بها العزّابة ويتشبهون به الآن" (الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص170)، وأورد أدلة تؤكد ما ذهب إليه وتفنّد رواية تأسيس العزّابة على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر منها: أنّ لفظ العزّابة كان معروفاً قبل محمد بن بكر قبل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فقد ذكر الدرجيني أنّه كان " لرجل نكاري على رجل وهبي دينار واحد ديناً، فمات الذي عليه الدين، فخلف ابنا عزابياً، ولم يترك مالا يورث عنه سوى شاة واحدة...." (الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص355). للنظر في هذه الأدلة وأخرى ينظر: عبد الرحمن عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص178-180.

<sup>2</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص263-266؛ باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>3</sup> يحي معمر، المرجع السابق، ج1، ص79؛ باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>4</sup> باجو، المرجع السابق، ص38.

<sup>5</sup> محمد ناصر: حلقة العزّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة(الجزائر)، 1410 هـ / 1989م، ص3.

<sup>6</sup> عبد الكافي، المرجع السابق، ص17.

## ثانيا - مهام العزّابة:

سأقوم في هذه النقطة بعرض مهام العزّابة، إلى جانب التغيرات التي طرأت عليها نتيجة التطوّرات التي شهدتها المجتمع الإباضي، فقد أصبح دورها يتجاوز كونها حلقة علمية تُعنى بتلقّي المعرفة وتلقينها، ليصبح بمثابة تمهيد لارتقائها إلى هيئة اجتماعية تمثل أداة ونظامًا سياسيًا يحدّد مسار الأمور. لقد تطوّرت العزّابة لتصبح فكرة اجتماعية وهيئة تجمع بين مهام متعدّدة، ممّا ساهم في تحوّلها إلى سلطة حقيقية قادرة على إدارة شؤون المجتمع المرتبط بها بكفاءة ونظام.<sup>1</sup>

كان الهدف الرئيس من تأسيس حلقة العزّابة في البداية سياسيًا، حيث كان يسعى لحماية الإباضية من الضربات العسكرية المتتالية<sup>2</sup>. ومع ذلك، أدّت الظروف السياسية في ذلك الوقت إلى أن يركّز مؤسّس الحلقة على الجوانب العلمية والتربوية، متجاهلاً الجانب السياسي. لكن مع مرور الزمن، عادت الحلقة لتولي أهمّية للجانب السياسي، ممّا ساعد في تنظيم علاقات المجتمع الإباضي مع السلطات الحاكمة في المغرب وغيرها، دون أن تصل إلى مرحلة الظهور من جديد،<sup>3</sup> حيث أصبحت مهام العزّابة تشمل مختلف مناحي الحياة، وهذه المهام هي:

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص209.

<sup>2</sup> نعني بالضربات تلك الأحداث التي سببت منعرجا مصيريا لتاريخ الإباضية وذلك لما ترتب عنها من نتائج في تسيير الأحداث فيما بعد وهي: أولا: موقعة مانو ( 283هـ/ 896 - 297م)، وثانيا سقوط " تيهرت سنة ( 296 هـ / 908م ) علي يد العبيديين، وثالثا ثورتان مصيريتان للإباضية: ( النكارية. والوهبية على العبيديين )، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وثورة أبي خزر يغلى بن زلتاف الوسياني التي سبقت الإشارة لهما في الفصل الأول. ينظر اسماوي صالح بن عمر: العزّابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الإسلام، إشر، موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م، ص8.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص39-40.

**1- المهام السياسية:**

يلخص ناصر محمد مهام العزّابة السياسية فيقول: "بما أنّ العزّابة يمثلون نخبة المجتمع وقادته؛ فإنّهم كانوا بحكم هذه المسؤولية يتحمّلون تبعات الدفاع عن المجتمع ضدّ التّدخّلات. وقاموا بهذا الدور الخطير في كلّ المراحل التاريخية التي مرّت بها المنطقة فكانوا حراس المجتمع في حالات السلم والحرب والأمن والفتن والاستقرار والاضطراب".<sup>1</sup>

كما يقوم مجلس العزّابة بتنظيم العلاقات بين الإباضية في المدينة والإباضية في المناطق الأخرى. ومجلس العزّابة في المدينة هو الذي يعلن حالة الحرب أو الجهاد، وهو الذي يقود أتباعه في المعارك، وبذلك يقوم بمهمّة إمام الدفاع.<sup>2</sup>

**2 - المهام الدينية:**

إنّ سلطة العزّابة، في جوهرها، تشبه السلطة التي يتمتّع بها الإمام عند الإباضية في زمن الظهور. فمجلس العزّابة، الذي يتكوّن من حوالي اثني عشر عضواً، هو الذي يمارس هذه السلطة بشكل كامل ومطلق، باستثناء ما يتعلّق بإقامة الحدود التي تمّ تعطيلها من قبل الإباضية خلال فترة الكتمان. ويستندون في ذلك إلى ادّعائهم بأنّهم يتّبعون نهج سلفهم من إباضية البصرة في فترة السريّة خلال القرنين الهجريين الأولين.<sup>3</sup>

تتمثّل أولى المهام في الوظائف الدينية للمسجد والجوامع، وما يرتبط بها من أدوار دينية مثل المفتي الإمام، المؤدّن، ناظر الأوقاف، مؤدّب الصبيان، ومغسلوا الأموات. كما تشمل هذه المهام تعيين القضاة في المدينة والتأكّد من تحقيق العدل

<sup>1</sup> محمد ناصر، المرجع السابق، ص37.

<sup>2</sup> خليفات، المرجع السابق، ص43-44؛ حماد، المرجع السابق، ص69.

<sup>3</sup> محمد ناصر، المرجع السابق، ص17 وما بعدها؛ غرايسة، المدينة، ص209.

والمساواة بين أتباع المذهب الإباضي، بالإضافة إلى تأليف الكتب المتعلقة بالعلوم الدينية مثل التفسير، الحديث، الفقه، والفتوى وغيرها.<sup>1</sup>

ويحرص مجلس العزّابة على أداء وظيفة الوعظ والإرشاد من خلال الالتزام المستمرّ في جميع الأوقات والفصول، ويقوم باختيار أفضل أعضاء الحلقة من حيث الخبرة، وقوّة الشخصية، ووفرة العلم، وفصاحة اللسان. تترك الدروس التي يقدّمها المشايخ في المساجد تأثيراً كبيراً على سلوك الأفراد وتفاعلهم مع بعضهم البعض، كما تعزّز عمق نظرتهن إلى الحياة في مختلف جوانبها.<sup>2</sup>

### 3- المهام التربوية:

إنّ جذور العزّابة ونشأتها الأولى تركز على الجانب المعرفي، حيث تُعتبر العملية التربوية الوسيلة المثلى لتنشئة الأجيال التي ترتبط بدينها وتتمسك بمعتقداتها فكراً وقيمةً وعملاً. ومن هذا المنطلق؛ كان اهتمام العزّابة واضحاً في إنشاء المدارس وتوسيع مبدأ مجانيّة التعليم لضمان انتشارها الفعّال، خاصّة في الأوساط التي قد تعيقها ظروفها من تحقيق التحصيل العلمي.<sup>3</sup>

بناءً على ذلك، يُعتبر الإشراف على التعليم من أهمّ واجبات حلقة العزّابة، من خلال توفير الوسائل اللازمة لذلك، وتسهيل الفرص أمام جميع الأطفال للحصول على نصيب من التعليم، كتعلم جزء من القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما يساعدهم في فهم أمور دينهم. وهذا يُعتبر الحدّ الأدنى الذي يجب أن يُتاح للطفل؛ فإذا كانت أسرة الطفل تعاني

<sup>1</sup> خليفات، المرجع السابق، ص43

<sup>2</sup> حمامد، المرجع السابق، ص70.

<sup>3</sup> حجازي، المرجع السابق، ص254؛ غرايسة، المدينة، ص210.

من الفقر ولا تستطيع الاستغناء عن جهوده البسيطة، أو ليس لديها ما تُعيّله به خلال فترة الدراسة، فإنّه من الضروري تقديم المساعدة له من خلال الإنفاق عليه.<sup>1</sup>

وكان النظام التعليمي في وارجلان "يتّسم بالصرامة والدقّة. واعتبرت التربية والتعليم من أهمّ الأمور التي تحفظ الدعوة الإباضية وتساعد على انتشارها"<sup>2</sup>، حيث تكوّنت هيئة إدارية للتدريس مُشكّلة من الشيخ والعرفاء منهم: عريف تعليم القرآن، وعريف تنظيم أوقات الدراسة، وعريف الختمات، وعريف الطعام.<sup>3</sup>

#### 4- المهام الاقتصادية:

- يتولّى مجلس العزّابة تنظيم الأمور الاقتصادية في المجتمع، والتي تشمل:<sup>4</sup>
- مراقبة البيع والشراء في الأسواق.
  - محاربة الانحراف في التعامل التجاري مثل الغشّ، والتطفيف، والاستغلال، والاحتكار.
  - الإشراف اليومي على عمليات الذبح والسلخ لضمان سلامة الأغنام صحياً، والتأكد من أنّ الذبح يتمّ وفقاً للطريقة الشرعية الإسلامية.
  - هذه المهام الاقتصادية هي من صلب مهام المحتسب في الإسلام، والتي يطلق عليها في المذهب الإباضي "نظام الطلبة" أو "حلقات العزّابة"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> معمر، المرجع السابق، ص82.

<sup>2</sup> خليفات، المرجع السابق، ص43.

<sup>3</sup> حمامد، المرجع السابق، ص70.

<sup>4</sup> حجازي، المرجع السابق، ص154؛ محمّد ناصر، المرجع السابق، ص33.

### 5- المهام الاجتماعية:

يسعى مجلس العزّابة إلى الحفاظ على وحدة أتباع المذهب وصون تراثهم، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال بناء مجتمع يسوده الحبّ والإخاء والتعاون. ويتدخّل هذا المجلس في جميع جوانب الحياة وفي كافة المجالات التي تضمن وجود مجتمع متماسك ومتضامن في جميع الظروف.<sup>2</sup>

أولى مجلس العزّابة اهتمامًا خاصًا بالعلاقات الاجتماعية كجزء أساسي من تنظيماته، ممّا يستدعي منه متابعة كلّ ما يتعلّق بالجانب الاجتماعي، وما يواجهه من تحديات. وبذلك، أصبح هذا المجلس بمثابة العمود الفقري الذي يجمع جميع مكونات الكيان الاجتماعي بتنوّعها، ممّا يفرض عليه دورًا مستمرًا وفاعلاً. ومن هنا، كان من الضروري على مجلس العزّابة أن يتمثّل ما يلي:<sup>3</sup>

- يتصدّر هؤلاء الأشخاص الحفلات والمناسبات، حيث يُخصّص لهم مكان لا يُسمح لأحد غيرهم بالجلوس فيه، بغضّ النظر عن مكانته أو منزلته.
- يتولّون رئاسة حفلات الأعراس.
- الوقوف إلى جانب العامّة من المجتمع في الملمات ونوائب الدهر.
- يحدّدون المهر والصدّاق بغضّ النظر عن وضع أسرة الفتاة أو جمالها، وكذلك عن ثروة الزوج أو فقره، ولا يبقى أمام الأهل سوى تحديد موعد الزفاف.

<sup>1</sup> موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1974م، ص87-88.

<sup>2</sup> خليفات، المرجع السابق، ص44.

<sup>3</sup> حجازي، المرجع السابق، ص153؛ محمّد ناصر، المرجع السابق، ص281؛ غرايسة، المدينة، ص210.

- يقومون بتجهيز الموتى من خلال الغسل والصلاة والدفن.
- يشرفون على تنفيذ وصايا المتوفين وتقسيم تركتهم بين المستحقين.
- يتولون شؤون الأيتام والأرامل، ويضمنون كفالتهم وتسهيل سبل حياتهم.
- يستعين مجلس العزابة بمجلس العشائر لجمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على المستحقين.

### ثالثا- التركيبة الاجتماعية وتأثيرها على الأوضاع في وارجلان

إذا كان سكان وارجلان الأصليين هم بنو واركلا الزناتيين الذين استقرّوا في المنطقة منذ عصر ما قبل الإسلام، فإنهم لم يبقوا فئة منعزلة في تلك المدينة، فقد انضمت إليهم عناصر متنوّعة جاءت مع الحروب والهجرات المتعدّدة التي شهدتها المدينة على مرّ تاريخها الطويل، بالإضافة إلى قوافل التجّار الذين وجدوا في تلك المدينة الغنيّة والأمنة مكانا مناسباً للعيش،<sup>1</sup> فكان من بين سكّانها عدد كبير من التجّار الأجانب الغرباء. لاسيما من قسنطينة وتونس، والذين وجدوا أهل وارجلان كرماء وظرفاء يستقبلون الغريب<sup>2</sup>.

اندمج في المجتمع الوارجلاني مجموعة متنوّعة من المهاجرين، ومن أبرزهم فلول الإباضية الذين فرّوا من تيهرت وبلاد الجريد، وبعض العلماء الذي قدموا من جبل

<sup>1</sup> باجو، المرجع السابق، ص48.

<sup>2</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

نفوسة، كل هؤلاء لجأوا إلى إخوانهم، وشاركوهم هموم الحياة، وواجهوا معاً تحديات البقاء.<sup>1</sup>

كما كان لسوء الأوضاع الاقتصادية والأمنية في بلاد المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تأثير كبير في تعزيز حركة الهجرة نحو منطقة وارجلان، حيث تدفقت موجات من المهاجرين هرباً من شبح المجاعة وكابوس الفتن، الذي كان يعم البلاد في تلك الفترة.<sup>2</sup>

ومن الهجرات التي تذكرها المصادر انتقال إباضية طرابلس إلى وارجلان عقب حدوث القحط الكبير ببلادهم سنة 430هـ/1038م.<sup>3</sup> كما شهدت إفريقية من سنة 537هـ/1142م إلى سنة 543هـ/1156م تتابعاً في الغلاء وسوء المعيشة.<sup>4</sup>

تزايدت هذه الهجرات، خصوصاً خلال الغزو الهلالي لبلاد المغرب، نتيجة الدمار الذي أحدثوه في إفريقيا والمغرب الأوسط، فقد ساءت الأوضاع في إفريقيا وتدهور عمرانها، وأصبحت طرقها غير آمنة.<sup>5</sup>

وأفضل وصف لهذا الخراب هو ما أشار إليه ابن خلدون عندما قال: "جاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني، وعاشوا في محاسنها،

<sup>1</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص39؛ باجو، المرجع السابق، ص48، علي حامد خليفة الطيف: "الانتقال والهجرة لعلماء الاباضية بين جبل نفوسة و بلاد الجريد و وارجلان حتى نهاية القرن 5هـ/11م"، مجلة كلية الآداب، العدد34، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، ستمبر2021م، ص211-213.

<sup>2</sup> باجو، المرجع السابق، ص48.

<sup>3</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص83؛ مزهودي، المرجع السابق، ص53.

<sup>4</sup> شهاب الدين أحمد النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج24، ص247.

<sup>5</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص53.

وطمسوا من الحسن والرونق معالمها...وشملوا بالعبث والنهب سائر من فيها، وتفرّق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية وانتشر الداء وأعضل الخطب"<sup>1</sup>

كما ساهموا في تفاقم المشاكل وزيادة تعقيد الأمور، فلا شك أنّ الفارين من الغزاة لجأوا إلى المدن النائية في أطراف الصحراء، خاصّة القبائل التي كانت تسكن في بلاد الزاب والمسيلة.<sup>2</sup> فقد أحدث بنو هلال دماراً في تلك المناطق، ممّا جعلها "قاعاً صفصفاً أفقر من بلاد الجنّ وأوحش من جوف العير، وغوّروا المياه، واحتطبوا الشجر، وأظهروا في الأرض الفساد"<sup>3</sup>، "وتغلّبوا على أطراف الزّاب من واركلا وقصور ريغ، وصيّروها سهاماً بينهم، وانتزعوها للموحّدين، فكان آخر عهدهم بملكها."<sup>4</sup>

وتأثّر الجانب الاقتصادي بشكل كبير نتيجة لزيادة عمليات النهب والسلب، وقطع الطرق، وشنّ الغارات، وقد أدّى ذلك إلى انتشار الخوف في الطرقات، ممّا زاد من قلق المسافرين، وأصبحت العبارة "أنّ العرب تستقطع على الناس" شائعة في المجتمعات القروية والحضرية.<sup>5</sup>

وبذلك أصبحت وارجلان هدفاً للغارات العربية المتكرّرة، كما تُوثّق ذلك المصادر التاريخية والسير الإباضية، ومن أبرز هذه الغارات ما ذكره الدرجيني في كتابه "الطبقات"، حيث ذكر أنّ مجموعة من العرب شنّوا غارة على وارجلان سبوا خلالها عدداً من الإمام، فلقق بهم الشيخ ماكسن في موضع يدعى بالدرمون عند بئر الكاهنة، وطلب منهم بالله

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص22

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص54.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص27.

<sup>4</sup> نفسه، ج6، ص46.

<sup>5</sup> محمّد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس، دط، 1999م، ص650.

أن يعيدوا ما أخذوه من أموال المسلمين. وكان بين الغزاة رجل من قادتهم يُدعى "ابن يلبان"، الذي حثّ قومه بقوله: "أجيبوا طلب العزّابي"، فاستجابوا له وأعادوا ما أخذوه".<sup>1</sup>

وهكذا، أصبحت وارجلان مثل سائر بلاد المغرب تحت سيطرة الهلاليين. ونتيجة لغاراتهم وغلظتهم، اضطرّ السكّان المحليون إلى دفع ضرائب مالية كبيرة لهؤلاء العرب. واستمرّ هذا الوضع لفترة طويلة حتّى عهد الوزّان، الذي وصف أمير وارجلان بأنّه كان يؤدّي إلى جيرانه الأعراب خراجًا مرتفعًا.<sup>2</sup>

كان من الطبيعي أن تتأثر وضعية المجتمع في وارجلان، سواء بالاستقرار أو الاضطراب، نتيجة لتنوّع واختلاف الأعراق والمشارب، وغالبا ما تميل الأوضاع في ظلّ هذه التركيبة غير المتجانسة إلى عدم الاستقرار،<sup>3</sup> ممّا أثر سلبا على المجتمع، خاصّة في ظلّ غياب سلطة سياسية قويّة قادرة على فرض نفوذها على الجميع، فتردع الظالمين وتتصف المظلومين. وتوجد في كتب السير العديد من النماذج التي تعكس سوء الوضع الاجتماعي في وارجلان، رغم أنّ مظهرها الخارجي قد يوحي بالرضا والتفاؤل.<sup>4</sup>

فهذا أبو يعقوب يوسف بن زرار النّفوسي الذي عاش في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري<sup>5</sup> "زار وارجلان فتعجّب من ظهور صلاحهم وتعميرهم مساجدهم

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص434.

<sup>2</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص137؛ باجو، المرجع السابق، ص48.

<sup>3</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص54.

<sup>4</sup> باجو، المرجع السابق، ص48.

<sup>5</sup> تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر، ماهر جزّار وريما جزّار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م، ص58.

وشدة تحفظهم وحرصهم على العلم، فقال: كيف نجت من الشيطان؟ فأقام بها وخالط أهلها، وعلم أمورهم، وقال: هنا استوطن الشيطان وأطلق في الأرض عماله.<sup>1</sup>

ويؤكد ذلك ما رواه الدرجيني أنّ أبا يحيى زكرياء بن أبي بكر<sup>2</sup> توجه إلى وارجلان زائراً، فقال له أهلها: أقم عندنا قليلاً نستأنس بك. فقال لهم: قولوا أقم عندنا قليلاً يمت قلبك، وذلك لما اطلع عليهم من سوء طريقتهم، ورداءة أحوالهم.<sup>3</sup>

عندما عاد أبو نوح سعيد بن زنگيل إلى وارجلان -بعد ثورة أبي خزر-، اكتشف أنّ الأوضاع قد تغيرت بعد وفاة شيخ وارجلان أبي صالح جنّون بن يمریان. فقد فسدت الأحوال وأصبحت مختلفة عما كانت عليه سابقاً. ففضى بعض الوقت بينهم، ثمّ جمع وجهاء المدينة ليعظّمهم وينبّههم على العديد من الانحرافات التي ظهرت في مجتمعهم. وقد أبدى استغرابه من صمتهم وعدم اعتراضهم على هذه الأمور.

ومن بين هذه الانحرافات، أشار إلى ثلاثة منها؛ أولها انتشار نكاح السرّ بينهم،<sup>4</sup> "إذا مرّ أحد برجل وامرأة مجتمعين في موضع تهمة اشمازّ قلبه، وإن زجرهما، قالاً: إنّنا متاكحان فكادت تظهر فيكم الفاحشة، بل ظهرت. والثانية: إطلاق العبيد بلا مؤونة تكفيهم، فينطلقون في أموال الناس بلا حدود فيكاد أحكم يكون سارقاً وهو في محرابه جالس، والثالثة: ظهور التحزّب والتفرّق فطائفة تقول مسجداً ومسجدكم، وطائفة تقول: حضرينا وحضريكم، ويهودينا ويهوديكم."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص138.

<sup>2</sup> أبو يحيى زكرياء بن أبي بكر:

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص448-449.

<sup>4</sup> باجو، المرجع السابق، ص50.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص154.

فهذه الوضعية المأساوية كانت على المستوى الداخلي للمجتمع، وقد زاد الأمر تعقيداً تدهور الأوضاع على الصعيد الخارجي نتيجة كثرة غارات الأعراب على المدينة وتوالي الفتن. وقد جعل الرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به المدينة منها هدفاً للطامعين، فلم تنعم بالهدوء والاستقرار إلى أن أتى عليها ابن غانية الميورقي في حملته سنة 626هـ/1229م.<sup>1</sup>

يصف ابن خلدون أعماله التخريبية في وارجلان وغيرها من المناطق التي مرّ بها بقوله: «خرب عمرانها، واجتث شجرها، وغور مياهها، ويشهد لذلك آثار العمران بها في أطلال الديار، ورسوم البناء، وأعجاز النخل المنقعر».<sup>2</sup>

فكانت لهذه الحملة نتائج وخيمة، إذ تعتبر هذه الفترة أسوأ عهد تاريخي مرّ على وارجلان في تاريخها الإسلامي،<sup>3</sup> وشعر أهل وارجلان بالاستياء من الغارات الكثيرة على بلادهم، فهذا أبو يعقوب الوارجلاني يرسل أحد أصدقائه قائلاً: "ولقد جرى علينا يا أخي في وارجلان من المصائب ما يستغرق مصائب الدنيا وآفاتنا إلى مصائب الدين بكثرة تعددها ويشجو ترددها، فاقت الوصف"<sup>4</sup>.

#### رابعاً- حلقة العزّابة ودورها في توجيه الحياة الاجتماعية بوارجلان:

في ظلّ الوضع الاجتماعي المتدنّي الذي تمّت الإشارة إليه سابقاً، بدأت جهود حلقة العزّابة في تصحيح المسار وإصلاح الأوضاع على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتجسدت هذه الجهود في إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعزيز نشر

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494. باجو، المرجع السابق، ص50.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص64.

<sup>3</sup> على معمر، المرجع السابق، ج2، ص280.

<sup>4</sup> الوارجلاني، المصدر السابق، ج3، ص214.

العلم والفضيلة من خلال حلقات العلم المنتقلة، بالإضافة إلى التركيز على التربية الأخلاقية والتزكية الروحية في المجتمع.<sup>1</sup>

يمتلك مجلس العزّابة تأثيرًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية داخل المجتمعات الإباضية، حيث يتولّى شيخ الحلقة مسؤولية تعيين العمّال والقضاة في المناطق التي توجد فيها الإباضية.<sup>2</sup> كما إنّ من مهام العزّابة إصلاح ذات البين بين الناس، والتواصل بينهم، والتنسيق بين أهل الخير ليجتمعوا لمواجهة أهل الفتنة، والسعي لطرد أصحاب المنكرات، وإبعادهم، وإزالة الشبهات والمحرمات من المجتمعات، والعمل على إخراجهم حتّى يبتعدوا عن عمران البلاد، والامتناع عن تناول طعام من يتعامل معهم.<sup>3</sup>

يقوم العزّابة بدور مهمّ في المجتمع من خلال ممارسة الحسبة، حيث ينهاون عن المنكر ويأمرون بالمعروف، ويقاطعون الأشخاص المنحلّين. كما كانوا يوقفون نشاط الأسواق لفترة معيّنة عند حلول المواسم الدينية، وعندما يدخل الحرام إلى السوق، كانوا يغلقونه لمدة ثلاثة أيّام، ثمّ يُعاد فتحه.<sup>4</sup> بالإضافة إلى ذلك، كان العزّابة يراقبون الأسواق والسلع، ويتفقّدون الجرّارين للتأكد من صحّة الذبائح وسلامة الثمار، وضمان عدم وجود غشّ في السلع. وقد تولّوا أيضًا مهمّة ذبح لحوم البلد لضمان توفّر الشروط المطلوبة في الذبيحة الشرعية، حتّى لا يتناول الناس إلّا لحمًا حلالاً.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> باجو، المرجع السابق، ص50.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص215.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص51-52.

<sup>4</sup> لقبال، المرجع السابق، ص88.

<sup>5</sup> باجو، المرجع السابق، ص53؛ مزهودي، المرجع السابق، ص216.

ولتأكيد هذا الدور الاجتماعي، تقدّم حلقة العزّابة العديد من الشواهد من تاريخ وارجلان وعلمائها، بدءاً بمؤسس الحلقة الشيخ محمد بن بكر، الذي بذل جهوداً ملحوظة في إصلاح المجتمع داخل وارجلان وخارجها.

ومنها بلوغ أخبار إلى الشيخ عن شهرة بعض القبائل، وهم بنو وزمار، في قطع الطرق وابتزاز الأموال، فجمع زعماءهم، ووعظهم، وحثّهم على منع أبنائهم من هذا الفساد، لكنّهم اعتذروا بعدم قدرتهم على مواجهة المفسدين، ممّا أثار غضب الشيخ، فردّ عليهم قائلاً: إذا لم تستطيعوا مواجهة هؤلاء، فنحن قادرون على إصلاح أنفسنا، ثمّ غادرهم مع عائلته وتلاميذه، وابتعد عنهم لمدة عام كامل، ومع مرور الوقت، ضاقت أحوالهم بسبب افتقارهم لمن يرشدهم في أمور دينهم، فتوجّهوا إليه ملحين على عودته. لكنّه أصرّ على عدم العودة حتّى يصلحوا أنفسهم، فبذلوا جهودهم في تحسين أوضاعهم وزجر المفسدين، ثم عاد إليهم بعد ذلك.<sup>1</sup>

ومن الأمثلة على تصدّي العزّابة للانحراف ما رواه أهل السير عن رجل من الاباضية الذي انحرف سلوكه، وحينما وصل الخبر إلى أبي زكرياء يحيى بن وجمين الهواري،<sup>2</sup> دعا إلى اجتماع في المسجد ليتباحث الناس في الأمر، وعندما حضر الرجل، وجّه إليه اللوم والتوبيخ حتّى تاب وأعلن عزمته على الالتزام بالنهج الصحيح.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص386-387؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص64-65؛ باجو، المرجع السابق، ص52.

<sup>2</sup> أبو زكرياء يحيى بن وجمين الهواري: هو يحيى بن وجمين بن محمد الهواري أبو زكرياء عالم من علماء الطبقة التاسعة (450-500هـ) نبغ في الفقه حتى أنه كان يطلق عليه، صاحب الغوامض، وكان يسكن في مدينة آجلو بالمغرب الأوسط وهو من عزابتها، روى عنه الوسياني، أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي توفي 464هـ/1074م. ينظر بجاز وآخرون، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص464.

<sup>3</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص395؛ الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص77، مزهودي، المرجع السابق، ص216.

كانت للعزّابة مكانتهم الاجتماعية وكلمتهم المسموعة، حيث استغلّوا هذه الميزة في الإصلاح بين الناس ونصرة المظلومين. ومن الأمثلة على ذلك ما قام به ماكسن بن الخير، الذي سعى لاسترداد إماء وأموال سلبها أهل الغارات خلال إحدى غاراتهم على وارجلان، وقد نجح في مسعاه بفضل مكانته المرموقة في قلوب الجميع، ممّا جعل الناس يشيدون بجهوده ويثنون على حكمته في استعادة الحقّ من أيدي الغاصبين.<sup>1</sup>

كان للعزّابة دور بارز في مجال القضاء، إذ تشير المصادر إلى وجود مكان في وارجلان يُعرف بـ "منبر وارجلان"، حيث كان يجتمع فيه القضاة من العزّابة بحضور الجمهور، ليصدروا أحكامهم على الجناة. كما كان يُستخدم هذا المنبر للتشاور بين الناس حول قضايا معيّنة. وعندما كانت تظهر مشكلة معقّدة، كان يجتمع فيه أبرز الشخصيات من العزّابة ومن ينتسب إلى العلم والرأي، وكان يُعتبر رأيهم في تلك الفترة مرجعاً مهماً، حيث كانوا يتجمّعون للتشاور في النوازل.<sup>2</sup>

لا تعكس النماذج التي قدّمناها قدرة العزّابة على إجبار الجميع على اتّباع الطريق المستقيم، إذ قد يفقدون السيطرة في بعض الأحيان. فهم لا يستطيعون التحكّم في الأوضاع، خاصّة وأنّ سلطتهم على المجتمع تعتمد على الجوانب الروحية والمعنوية. وغالباً ما تتأثر القيم بتقلّبات المصالح والرغبات الجامحة، ممّا يؤدي إلى اختلال التوازن وفساد المجتمع.<sup>3</sup>

من ذلك ما نشبت نزاع بين قبيلتين من سگان وارجلان نتيجة تنافس إبلهما على الورود على بئر ماء، وتصاعدت حدّة الخلافات بينهم، ممّا أدّى إلى إراقة دماء، وخسائر

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، 391؛ باجو، المرجع السابق، ص53.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص422-423؛ مزهودي، المرجع السابق، ص217.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص53.

مالية كبيرة، على الرغم من محاولات العزّابة والعلماء لتهدئة الأوضاع وإصلاح العلاقات، إلا أنّ أثر الفتنة ظلّ عميقاً في النفوس، وتركت جراحاً في القلوب لم تُشف إلا بعد فترة طويلة.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> نفسه، أعزام، المرجع السابق، ص128-129؛ معمر، المرجع السابق، ج2، 286-287.

## المبحث الرابع: مظاهر الحياة الاجتماعية في وارجلان

## أولاً: الأسرة الوارجلانية:

تُعتبر الأسرة الوحدة الأساسية في أيّ مجتمع، حيث يتكوّن المجتمع في جوهره من مجموعة من الأسر المتّصلة بروابط القرابة، سواء كانت قريبة أو بعيدة. تتشكّل الأسرة في أبسط صورها من الأب والأمّ وعدد من الأبناء. ولا يمكن للمرء أن يؤسّس أسرة إلا من خلال الزواج، الذي يُعدّ سنّة من سنن الله في خلقه، حيث يساهم في الحفاظ على البشرية من الانقراض، ويحمي الأنساب من الاختلاط، ويصون الأعراض، ويعزز كرامة المرأة.<sup>1</sup>

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.<sup>2</sup>

تتميّز بعض الأسر بارتكازها على النبوغ العلمي كوسيلة لتعزيز مكانتها الاجتماعية، بينما تعتمد أسر أخرى على الثروة المادّية، أو النسب الشريف، أو الصلاح الصوفي، أو السلطة والجاه.

ويُعتبر التميّز العلمي تراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وذلك حفاظاً على مكانتهم في خدمة الدين واللغة العربية وأداء أدوار مهمّة في المجتمع. لذا، كان هناك

<sup>1</sup> يوسف برحو: " الأسرة والزواج في بلاد المغرب في العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة في شمال افريقيا، العدد01، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2019م، مج01، ص227.

<sup>2</sup> سورة الروم: الآية21.

دائمًا حرص كبير من أولياء الأمور في كلّ الأجيال على نقل المعارف إلى أبنائهم، ليكونوا خلفاء لهم في زعامة الأسرة.<sup>1</sup>

من خصائص الأسرة في وارجلان تماسك أفرادها، والتعاون فيما بينهم، والتضحية عن بعضهم، وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية. لذا نلاحظ أنّ الآباء يبذلون قصارى جهدهم في تربية أبنائهم من الناحية الدينية والأخلاقية والاجتماعية. ومن جانبهم، يقوم الأبناء برعاية آبائهم في جميع الجوانب.

وفي هذا السياق يعرض الدرجيني صورة حقيقية للعلاقة بين الأب وأبنائه إذ يقول: "كان أبو يعقوب بن سهلون (من علماء الطبقة التاسعة 450 500 هـ)، كثير الرفق، وله ابن يسمّى أيّوب، وكان إذا أراد أن يأمره بشيء أشار إشارة أو ساقه في حكاية لئلا يغلق عليه الأمر فيخالفه فيعقّه، وكان متى أشار له بشيء امتثله، وأتى به على حسب ما يرضيه، ويجيء على وفقه، حتّى ضرب بهما المثل في برّ الابن للأب، والأب للابن فقالوا: الأب كأبي يعقوب، والابن كأبّوب".<sup>2</sup>

خضعت الأسرة الوارجلانية إلى سلطة الوالدين، حيث يسهر الأب والأمّ على تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية، وضمن قواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية بالسهر على تعليمهم وتوجيههم التوجيه السليم الذي يخدم الأمة، وقدّمت كتب السير نماذج عن هذه الأسر منها أسرة العالم معاذ بن أبي علي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الياس حاج عيسى: "الأسرة العلمية في الفضاء الإباضي المغربي خلال العصر الوسيط أسرة الفرستائي نموذجاً"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثنية في شمال افريقيا، العدد01، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2021م، مج04، ص66.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص246.

<sup>3</sup> حمامد، المرجع السابق، ص120.

يقول الشماخي: "أنّ معاذ كان يسكن بقصر بني ويليل من بلاد قبلة أريغ، وكان من حزمه وطلبه رضى ربّه، لا يبيت ليلة الجمعة إلّا في أجلو، يحيي مع التلامذة ليلته، ثمّ يشهد مجلس يوم الجمعة، فإذا صلّى العصر، انصرف إلى أهله."<sup>1</sup>

ولمّا أرقه التعب الشديد، وأثّرت عليه مشقّة السفر، قرّر الانتقال، واصطحب معاذ أفراد أسرته وانتقل إلى أجلو، حيث استقرّ بين أهلها الطيّبين، وأتيحت له الفرصة للعيش في المساجد والمراكز العلمية المليئة بالإيمان والمعرفة والعباد. كما تمكّن ولده؛ إبراهيم وعائشة، من مواصلة دراستهما وحضور مجالس العلم مع كبار العلماء وأفضل الطلاب وأذكى التلاميذ.<sup>2</sup>

كانت أسرة معاذ أسرة دين وعلم وفضل حتّى ضرب بها المثل فقول: خير شيوخ أجلو معاذ، وخير فتيان أجلو ولده إبراهيم، وخير نساء أجلو عائشة بنت معاذ.

ومن الأسر التي كانت لها مكانة علمية كبيرة في وارجلان، أسرة الفرستائي التي كانت مثلاً للأسرة المسلمة الناجحة، حيث اجتمع أفرادها حول قيم العلم واحتقوا بالدين الإسلامي واعتزّوا باللغة العربية. وقد ساهمت هذه الأسرة، مثل العديد من الأسر العلمية المغربية في خدمة قضايا الشرع من خلال التدريس والافتاء والقضاء والتوثيق، مستخدمةً اللغة العربية الفصيحة في بيئة قبلية بربرية محافظة. وقد أسهمت بذلك في تشكيل مجتمع مخلص للدين الإسلامي، ومحبّ للغة القرآن.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص88.

<sup>2</sup> معمر، المرجع السابق، ج2، ص251.

<sup>3</sup> حاج عيسى، الأسرة العلمية، ص70

## ثانيا- المرأة الوارجلانية:

منذ فجر التاريخ والمرأة تساهم وتشارك مشاركة فعّالة في مختلف مجالات الحياة، فهي عماد المجتمع والأمة، وكذلك المرأة في مجتمع وارجلان، التي لم يقتصر عملها في البيت، بل كان حضورها ومساهمتها في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فضلا عن الميادين الدينية والعلمية، ممّا أسهم في إبراز شخصيتها التي أتاحت لها القدرة على تفعيل وجودها في المجتمع الوارجلاني،<sup>1</sup> فحملها ذلك على أن تدرس وتحضر مجالس العلم، وتشارك في النقاش،<sup>2</sup> من ذلك ما أثر عن المرأة الصالحة مكّيّة من قصر بكر بوارجلان<sup>3</sup> التي عاشت في القرن السادس للهجري، والذي روى عنها الشيخ أبو يعقوب يوسف بن فتوح<sup>4</sup> بعض المعاني والحكم منها قولها: "من وقى المسلم البرد بالنار غفرت ذنوبه، ومن أعطى جمرا لرجل من أهل الجملة<sup>5</sup> أدفأه به كمن تصدّق بأربعين درهما".<sup>6</sup>

فهذا النصّ فيه دلالة واضحة لمكانة هذه المرأة -مكّيّة- العلمية في مجتمع وارجلان، والتي زاحمت الرجال في مجالس العلم والحكمة، وهي من بين النساء القلّة التي حُفظ اسمهن، وحضورها في مجالس العلم تطبيق لإحدى القواعد التي يقوم عليها المذهب الإباضي، وهي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين.

<sup>1</sup> غرايسة: المدينة، ص 107.

<sup>2</sup> معمر: المرجع السابق، ج 1، ص 430.

<sup>3</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 399.

<sup>4</sup> أبو يعقوب يوسف بن فتوح: عالم وزاهد من أفاضل وارجلان، كان مؤذن مسجدها، له حكم حفظتها كتب السير، من مشايخه داود بن أبي يوسف الوارجلاني ت 600 هـ. ينظر بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج 2، ص 490.

<sup>5</sup> أهل الجملة: هم جميع المسلمين الذين ينطقون بالشهادتين. ينظر: مجهول: المعلقات، ص 64 (تعليق المحقق رقم 05).

<sup>6</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص 64. وينظر الوسياني: المصدر السابق، ج 1، ص 399.

كما أنّ المرأة الوارجلانية أكّدت حضورها في حركية المجتمع سائلة عن أمر دينها، رافعة الجهل عن نفسها. ذكر صاحب المعلقات أنّ أبا صالح جنّون بن يمران سأله امرأة من قصر بكر بورجلان<sup>1</sup> هل يجوز لها أن تدفع زكاة مالها لزوجها وهو فقير؟ فردّها إلى الشيخ أبي نوح سعيد ابن زنجيل حيث أجابها بأن تدفع ذلك لزوجها.<sup>2</sup>

ومما نقل عن بعض نساء وارجلان أنّها كانت تستشير أهل العلم في بعض ما يحصل بينها وبين زوجها في حياتها اليومية، فقد ذكر صاحب المعلقات أنّ أبا يوسف يعقوب الطرقي<sup>3</sup> جاءته امرأة تستشيره في زوجها الأكل- وكان صيادا- وتشكوه إيّاه فقالت: "إنّه يأكل النصف ويدع لجميع العيال النصف. فقال له الشيخ: كل الثلثين؛ فغاظ ذلك المرأة وقالت: فعل الله بك يا شيخ -بكلام يؤدّي إلى العنف. ففعل الرجل مع أهله كذلك، فاشتدّت قوّته، وزادت طاقته، فصار يروح على أهله بالصيد الكثير أكثر ممّا كان يُروح به أوّلا، وأوسع على نفسه وعياله. فقالت المرأة إذ ذاك: جزاك الله خيرا يا شيخ".<sup>4</sup>

وعطفا على ما سبق فإنّه يمكن القول أنّ مجتمع وارجلان تميّز بانفتاحه الاجتماعي والثقافي، حيث نجد أنّ المرأة الوارجلانية أدّت دورا محوريا في النسيج الاجتماعي، وكانت تتمتع بحريّة نسبية تمكّنها من المشاركة الفعّالة في الحياة اليومية، فقد أُتيحت لها الفرصة بأن تسأل وتستشير من هو أعلم منها في أمور دينها ودنياها، سواء كانوا من العلماء أو الرجال الحكماء في المجتمع، هذا التوجّه يعكس وعي المجتمع بأهميّة التعلّم والتشاور، دون قيود تحدّد من حقّها في الوصول إلى التعلّم.

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص435.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص54

<sup>3</sup> أبو يوسف يعقوب الطرقي: هو يعقوب بن سيلوس الطرقي السدراتي، أبو يوسف من علماء القرن الثالث للهجري بورجلان عاصر الامام عبد الرحمان بن رستم 160-171هـ/777-787م، واخذ العلم بتهرت، ثم انتقل إلى وارجلان أين تولى القضاء، كان مرجع الفتوى في زمانه. ينظر ابراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص474.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص84.

ومن اللافت أنّ هذا الانفتاح لم يكن مجرد ظاهرة عابرة، بل كان جزءًا من القيم الراسخة التي تُميّز المجتمع الوارجلاني، حيث كان التعليم الديني والمعرفي متاحًا للجميع بغضّ النظر عن الجنس، وهو ما ساهم في بناء مجتمع متماسك يولي أهمية كبيرة للقيم الروحية والعلمية في آنٍ واحد.

لم تكن المرأة الوارجلانية مجرد أداة منزلية، بل كان لها دور اجتماعي بارز من خلال حضورها مجالس الرجال ومشاركتها في مناقشاتهم، حيث كانت تعبّر عن آرائها، وتطرح وجهات نظرها، ممّا ساهم في تشكيل وعيها الفكري، وأتاح لها فرصة تطوير شخصيتها العلمية، وفتح أمامها آفاق التعبير عن القضايا التي كانت محطّ جدل فكري،<sup>1</sup> من ذلك ما روي عن زوجة أبي العباس أحمد بن علي، الذي كان يقيم في تماواط، إحدى قرى وارجلان، وقد جرت محادثة بينه وبين الشيخ إسماعيل بن علي النفرزوي، الذي قضى ليلته معه، وقد التقيا على مائدة العشاء، حيث أثار لحم الجمل نقاشًا حول حرمة<sup>2</sup>، ممّا جعل الشيخ إسماعيل يمتنع عن تناوله، مبرّرًا موقفه بقوله: "إنّ الذي بأيدي العرب

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص108.

<sup>2</sup> كان علماء الاباضية يرون بحرمة لحم الجمل الذي تملكه العرب، وذلك لأنهم لما دخلوا المغرب عمدوا إلى النهب والغصب، فكل ما كان بجوزتهم هو في نظر العرّابة لا يحل لهم أكله ولا شراؤه ولا الانتفاع به، من ذلك ما روي وذكر الشيخ أبو يعقوب قال: قلت لأبي عمار ونحن في جبال مكة عجا عما ننتزه عن أموال العرب التي في أيديهم، ونكره الدنو لمن دنا إليها، وتجنّبهم في وجوه من اصطحب معهم إذ كُنّا في بلادنا، ونأكلها هنا، ونكري عنهم، ونتزود منهم إذ كنا في بلد حرمة، يأخذون الحجاج، ويقتلون من دافعهم عن نفسه قد عايناهم مثل بني مجزية شهروا في النهب والغصب، فقال له الشيخ أبو عمار - رحمه الله: هذه جزيرتهم، القاعد في أيديهم الحلال، وتلك الجزيرة جزيرة البربر، إنّما هم فيها غارة، وكلّ ما كان في أيدي الغارة قَرِيبَةً، إلا من أبصر شيئًا وعينه فلا يحل له أكله ولا شراؤه والاستمتاع به، أينما كان، في بدو أو في حضر". وقد نقل الوسياني في سيره أقوال العلماء في ما في أيدي العرب من الأموال. ينظر: الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص681-683.

ريبة... قالت له امرأته: كلّ الذي في أيدي العرب من الجمال هي لنا قد أخذوها منّا غصبا"<sup>1</sup>.

هذا النصّ يبرز مكانة المرأة الوارجلانية ويجلّي دورها محاورة جريئة، ومشاركة في النقاشات والسجلات الفكرية التي كانت تجرى في مجتمعتها، ولم تكن مجرد متلقية للأحداث، أو شاهدة صامتة على النقاش، بل أبدت موقفا قويا ومباشرا، ممّا أسهم في إبراز مكانتها داخل المجتمع الوارجلاني.

أمّا عن واجبات المرأة في مجتمع وارجلان، فقد كانت تقوم بأشغال البيت كالطبخ، وغزل الصوف والنسيج وإعداد الألبسة.<sup>2</sup> وقد أُشير في كتب السير إلى أنّ زوجة الشيخ أبي صالح جنّون بن يمران (ق (4هـ / 10م) كانت تعدّ طعامها بنفسها، إذ روي عنه أنّه "جلس ذات مرّة مع امرأته وهي تعجن عجينا".<sup>3</sup>

وعلى الرغم من أنّ هذا العجين لا يكشف عن طبيعته ومكوّناته الأساسية، إلّا أنّه من المحتمل أن يكون مصنوعا من دقيق القمح أو الشعير أو الحنطة، وربما يكون قد تمّ تحضيره بواسطة النساء أنفسهنّ باستخدام بعض الأرحاء اليدوية، خاصّة وأنّ مثل هذا النشاط غالبا ما يكون مطلوبا لتلبية الاحتياجات اليومية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص688.

<sup>2</sup> حماد، المرجع السابق، ص121.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص344؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص433.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص107.

كما شهدت وارجلان وجود نساء بارعات في فنون الطهي وإعداد المائدة، ممّا يعكس ثقافة غنيّة، ومعيشة متميّزة، وتواصل ثقافي ساهم في نقل العديد من المؤثرات التي شكّلت أعراف مجتمع وارجلان.<sup>1</sup>

وقد رُوي أنّ الشيخ أبا نوح، حينما كان في وارجلان، أخبر أهلها بأنّه نشأ في بلاد النعمة، وتعلّم فنون الطهي من الملوك. فتجمّع أهل وارجلان وطلبوا من امرأة تجيد إعداد طعامه وتحسن في صنعه وتقوم بإعداده له، وكان الشيخ يدعو لها بالبركة.<sup>2</sup>

### ثالثاً- الطبوع والتقاليد الاجتماعية:

#### 1- اللباس:

يعتبر اللباس مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية ونمطاً من أنماطها التي لا يزال يحيط بها الكثير من الغموض، وذلك لقلّة تناول المصادر التاريخية لمثل هذه القضايا من جهة، و إغفال الكثير من الأبحاث والدراسات التي تناولت مثل هذه المواضيع، حيث واجهتنا صعوبات في جمع شتات هذا الموضوع، إذ لم نعثر إلاّ على شذرات متناثرة هنا وهناك، وما سنقوله يعتمد أساساً على الاستنتاج أو الاقتباسات الخفيفة التي لا تكاد تظهر.

كان سگان بلاد المغرب يلبسون البرانس، هذا ما أكّده الجغرافي المقدسي من أنّ البربر ببرانيس سود وبيضاء وهي ألبسة صوفية تستعمل في فصل الشتاء للوقاية من البرد.<sup>3</sup> ومنه قسّم ابن خلدون البربر إلى: "البربر المستقرّون هم الذين لبسوا البرنس وهو

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص107.

<sup>2</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص244-245.

<sup>3</sup> أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط3، 1411هـ/1991م، ص239؛ بوركة، المرجع السابق، ص330.

رداء طويل، حيث قال: ((ولباسهم) وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلّمة ويفرغون عليها البرانس الكحل<sup>1</sup>، والقسم الثاني هم البربر البتر الرّحل، فإنّ تسميتهم مقترنة بلباس الثياب القصيرة.<sup>2</sup>

اندمجت القبائل العربية مع القبائل البربرية في وارجلان، وتأثرت ببعض عوائد البربر، وفي هذا يشير مبارك الملي إلى أنّه "لم يحافظ على حياة الظعن من الهلاليين إلاّ القبائل القويّة وأحلافها. أمّا من ضعف منهم فكانوا ينزلون المدن والقرى البربرية، أو يحدثون لأنفسهم قرى بالزّاب والصحراء. وكانت زناتة وبعض البربر على مثل هذه الحياة البدوية من قبل مجيء الهلاليين، لأنّها حياة ناشئة عن طبيعة الوطن لا دخل للنسب فيها، ولتشابه الحياتين تأثّر الهلاليون بزناتة في بعض عوائدهم."<sup>3</sup>

الإشارات الواردة في بعض المصادر التاريخية، تناولت ما كان مميّزا من المظاهر الغالبة، حيث كانت العمامة السمة الغالبة لتغطية الرأس بالنسبة للرجال.<sup>4</sup> من ذلك ما رُوي عن الشيخ أبي يعقوب يوسف إبراهيم السدراتي (ت 570هـ/1175م)، حيث أشير إلى أنّه "كان إذا جاء إلى موضع الوضوء في مسجد في وارجلان انصرف كلّ من حول المتوضي، فيضع من يده سفرا ومفتاحا، ويضع عمامته وكساءه، ويقعد في ثوب واحد فيدخل المطهرة."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص116؛ بوركبة، المرجع السابق، ص330.

<sup>2</sup> محمّد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس، دط، 1986م، ص20؛ بوركبة، المرجع السابق، ص330.

<sup>3</sup> الملي، المرجع السابق، ج2، ص188.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص105.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص492.

في هذا النص إشارة إلى أنه كان يرتدي عدّة قطع من الملابس فوق الثوب الوحيد الذي يبقى مرتدياً إيّاه قبل دخوله إلى مكان التطهّر. ومن المحتمل أنّ العمامة كانت تمثّل علامة مميّزة على رؤوس الرجال، بالإضافة إلى كونها تقليداً اجتماعياً شائعاً.<sup>1</sup>

أمّا عن لباس القبائل العربية من بني هلال وبني سليم فهو يشبه إلى حدّ بعيد لباس أهل البادية، الذين كانوا يجهلون الملابس المصنوعة، ويقتصرون على ارتداء قطعة قماش تدعى "تليس"، والتي كانت تُتخذ من أوبار وأصواف الأنعام.<sup>2</sup> كما كانوا يتّخذون العمام وهي عادة عربية، لكن تغيّر لُبسها لدى القبائل العربية في المغرب مقارنة بالتي كانت تُلبس في المشرق.

قال ابن خلدون متحدثاً عن العرب: "شعارهم لبس المخيط في الغالب، ولبس العمام تيجانا على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق، وقوم يلقون منها الليث والأخدع قبل لبسها، ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها، وهم عرب المغرب حاكوا بها عمام زناة من أمم البربر قبلهم."<sup>3</sup>

عندما توافرت لدى وارجلان ثروة حيوانية، أصبح بالإمكان الاعتماد عليها كمصدر للمواد الأولية المستخدمة في صناعة الملابس، التي قد يهيمن عليها الصوف، ومن أبرزها البرنس، الذي كان رمزاً مميّراً للثقافة البربرية - كما ذكرنا سابقاً -، فغالب لباس

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص105.

<sup>2</sup> الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ج2، ص209.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص17.

أهل وارجلان حسب الأغواطي كان من الصوف،<sup>1</sup> وقد يكون أيضا من الوبر المستخلص من الإبل على وفرتها، بالإضافة إلى ذلك، فإن الصناعة التقليدية المطلوبة لن تكون بعيدة المنال نظراً لتوفر مستلزماتها، خاصة في عملية النسيج.<sup>2</sup>

ومن جهة أخرى "كان تجار الدولة الرستميّة يحملون المنسوجات الصوفية والقطنية والكتّانية...إلى بلاد السودان"<sup>3</sup>، ولما " كان أهل وارجلان يقودون هذه القوافل التجارية"،<sup>4</sup> فلا بدّ أن يكون للأسواق الوارجلانية ما يسدّ احتياجاتها من هاته المنتجات التي كانت مثيلاتها تصل بلاد السودان.<sup>5</sup>

أمّا لباس المرأة فلم يخرج عن الاطار العام التي فرضه الله عليها، وهو تغطية كامل جسمها مصداقا لقوله تعالى في هذا الشأن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾<sup>6</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م، ص92.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص106.

<sup>3</sup> عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، مصر، دط، 1999م، ص487.

<sup>4</sup> سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، مر، محمد علي الصليبي، لندن، 2005م، ص234.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص106.

<sup>6</sup> سورة الأحزاب: الآية 59.

<sup>7</sup> سورة النور: الآية 31.

وفسر ابن سلام الإباضي هذه الآيات بقوله: يعني بالجلباب الخمار وهو المقنع واللاحاف. وأمرهنّ الله بالخمار وهو المقنعة أن تضعه على الجيب لتستر به العنق، لأنّ الخمار إذا لم يستر الجيب ظهر العنق.<sup>1</sup>

أمّا عن أهل الذمّة خاصّة طائفة اليهود فقد وردت بعض الاشارات عن بعض لباسهم خاصّة ما تعلق منها بتغطية الرأس. جاء في كتاب المعلقات أنّ الشيخ أبا سليمان داود بن أبي يوسف من علماء الطبقة العاشرة (ت462هـ/1069م) سئل في إحدى المسائل عن الرجل يقول لرجل من أهل الولاية: لحيتك كلفية اليهودي، وصفتك صفة اليهودي، وكرزيتك ككرزية اليهودي. فقال له يبرأ منه.<sup>2</sup> والكرزية<sup>3</sup> نوع من العمائم توضع على الرؤوس، شاع استعمالها في بلاد الأندلس والمغرب خاصّة، وكان اليهود والمسلمون يلبسونها على حدّ سواء وفقاً لهذه الرواية التي ساقها صاحب المعلقات. مع أنّه في الغالب نجد أنّ طائفة أهل الذمّة يخالفون المسلمين في مآكلهم ومشربهم وملبسهم.

<sup>1</sup> لواب بن سلام التوزري المزاتي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تح، ر.ق شقارتز و سالم بن يعقوب، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص100.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص68.

<sup>3</sup> الكُرزية: عند دوزي: الكُرزية: كلمة بربرية شاع استعمالها لدى عرب الأندلس والمغرب؛ وأصلها في البربرية: تركرزيت Terkerzit، وهي تعنى في البربرية: العمامة، فإذا بترنا المقطع "تير" تبقى لدينا كلمة كيرزيت Kerzit، وهي مماثلة كل المماثلة لكلمة كرزية العربية، فإذا خلعنا على هذه الكلمة الصبغة العربية، حصلت لدينا كلمة كُرزية؛ وجمعها كرازي. ينظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تق، محمود فهمي حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423 هـ 2002/م، ص420.

## 2-الطعام:

يُعدّ الأكل وأنواع الطعام أحد المظاهر البارزة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، إذ يقم صورة واضحة عن أنماط المعيشة ومستوى الرقي والازدهار في مختلف العصور. ومن العسير الإحاطة بجميع أصناف المأكولات التي عُرفت في تلك الحقبة الغابرة.<sup>1</sup> غير أنّ بعض الروايات تُمكن من استجلاء أهم ملامح النظام الغذائي في حاضرة وارجلان

من خلال بعض الروايات فإنّ الطعام الذي يعتمده سگان وارجلان بشكل رئيس هو ما يُعجن من نساءهم، إذ تفيد رواية الشيخ أبي صالح جنّون بن يمران مع زوجته أنّها كانت تعدّ عجينا<sup>2</sup>؛ ما يعني أنّه قد يكون الغذاء السائد في نمط الحياة، خاصّة في ظلّ توقّر الحنطة بكثرة في وارجلان،<sup>3</sup> أو وجود القمح، وحتّى الشعير، حيث يُفترض أنّ طحنهما يتطلّب توقّر أدوات مناسبة لذلك.<sup>4</sup>

ويعتمد سگان وارجلان كذلك على التمور بكلّ أنواعها، وشرابهم ألبان الجمال والأغنام. كما تعتمد القبائل البربرية البدوية(الرحل) على تربية المواشي وأكل لحومها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستميّة (144 - 296 هـ / 761 - 909م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إيش، محمّد الصالح مرمول، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1981م. ص104؛ بوركبة، المرجع السابق، ص325.

<sup>2</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص433؛ مؤلف مجهول، المعلقات، ص57.

<sup>3</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص111.

<sup>4</sup> غرايسة، المرجع السابق، ص103.

<sup>5</sup> منصور، المرجع السابق، ص105.

## الفصل الثالث:

### حركة الاقتصاد في مجتمع وارجلان ما بين

### القرنين 4/هـ10 و9/هـ15م

المبحث الأول: النشاط الفلاحي والصناعي في وارجلان ما بين 4/هـ10 و9/هـ15م

المبحث الثاني: النشاط الصناعي الحرفي وإمكاناته ما بين 4/هـ10 و9/هـ15م

المبحث الثالث: التفاعل التجاري في مجتمع وارجلان. ما بين 4/هـ10 و9/هـ15م

المبحث الرابع: أثر الاقتصاد على وارجلان

## المبحث الأول: النشاط الفلاحي وحركيته في وارجلان ما بين 4/10م و9/15م

## أولاً- النشاط الفلاحي

## 1- مصادر المياه:

كان الاهتمام بالجانب الحيويّ - وهو الماء- أمر في غاية الأهمية، فقد اشتهرت منطقة وارجلان بوفرة المياه الجوفية<sup>1</sup>، وقد تعجّب الحميري من وفرة المياه الجوفية فيها بقوله: "والعجب أنّ الرجل منهم يحفر فيها بئراً بأزيد من مائة دينار، فإنّ أرضهم صلبة، والماء بعيد يدرك على أزيد مائة قامة فيجد على الماء طبقا من حجر صلد فيستبشر عند وجوده... ويبقى الماء على مرّ الدهور يفور... وبها يسقون جنّاتهم وزرعهم ونخلهم"<sup>2</sup>.

وإذا كانت عملية حفر الآبار مكلفة نوعاً ما لصعوبة الأرض وطول عمق المياه الذي يبلغ مائة قامة، إلّا أنّ المزارعين حفروا آباراً كثيرة لأنّهم كانوا مياسير وأغنياء، فالمصادر تذكر أنّ بمدينة سدراتة وحدها ما يزيد عن ألف وإحدى وخمسين عينا -وهو عدد مبالغ فيه نوعاً ما -<sup>3</sup>، لكن ما هو مؤكّد كثرة العيون والمجاري المائية فيها،<sup>4</sup> فقد اشتهرت منها عين تعرف بـ "وادي الصفا"، وقد سمّيت بـ "الوادي" لغزارة مياهها حتّى إنّ مجاريها كانت كالخنادق لكثرة المياه المناسبة فيها، وفيها ثلاثة مصارف:

- مصرف لأولاد إبراهيم بن إسماعيل.

<sup>1</sup> مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص126.

<sup>2</sup> الحميري، المصدر السابق، ص600.

<sup>3</sup> مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص126.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص27

- مصرف لأولاد عيسى بن أحمد.
  - مصرف لأولاد ابن الشيخ.
- وفي ناحية يفرن (إيفران) عين تسمى بعين القبائل، وفيها ثلاثة مصارف:
- مصرف لأولاد محمد بن موسى.
  - مصرف لأولاد جابر بن إبراهيم.
  - مصرف لأولاد بوين بن الصحب.
- و في ناحية نقوصة ثلاثة مصارف
- مصرف لأولاد عيسى بن نوح.
  - مصرف لأولاد عيسى بن إبراهيم.
  - مصرف لأولاد عيسى بن سليمان.<sup>1</sup>

من خلال هذا يتبين لنا أنه وُضع نظام عادل لتوزيع المياه بين أصحاب الضياع والبساتين، حيث حُدِّت لكلِّ مزارع نوبته الخاصّة. كما يلاحظ أنّ هذه العيون كانت مقسّمة بين الأسر.<sup>2</sup> وخرَّب جلّها على عهد يحيى بن إسحاق الميورقي سنة 624هـ/1227م.<sup>3</sup>

وقد تميّزت مدينة سدراتة أكثر من غيرها من مدن وارجلان، بوفرة مياهها. فقد كشف العديد من الحفريات الأثرية وجود القنوات الكبرى التي كانت تزوّد كلّها بالمياه، ومنها قنوات تصل إلى مدينة وارجلان، أي مسافة اثني عشر كيلومترا تقريبا، وكانت هذه

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص90(مقدمة المحقق)، مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص126.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> أعزام، المرجع السابق، ص131.

القنوات مغطاة حتى لا تزدحمها الرمال-ولا تبخر ماءها حرارة الجوّ-، ووضعت لها فتحات كثيرة حتى يمكن تصفيتها بسهولة ليستمرّ انسياب المياه إلى المزارع.<sup>1</sup>

من الطرق التي اعتمد عليها أهل وارجلان في استخراج المياه من باطن الأرض هي حفر الآبار بتقنيات تبرز براعة أهل وارجلان في استخراج المياه واستغلالها في مختلف جوانب الحياة.

يعتمد على حفر الآبار التي تصل الجوف بالسطح على أعماق مختلفة، لاختلاف أمكنة المياه من حيث القرب أو البعد، يوضّح ابن خلدون ذلك بقوله: "وفي هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في طول المغرب، وذلك أنّ البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتتحت بالمعاول والفؤس إلى أن يرقّ جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء، فينبعث صاعدا فيعمّ البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا، ويزعمون أنّ الماء ربّما أعجل بسرعته عن كلّ شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكرارين وواركلا وريغ."<sup>2</sup>

ويوضّح هذا النصّ مهارة أهل وارجلان في استخراج المياه وتسهيل استغلالها في شؤون الحياة المختلفة، ويعكس إبداعهم الفريد في التكيف مع بيئة الصحراء الصعبة، حيث بدأوا في تسخير تحدياتها، والتكيف مع الطبيعة بايجابية فاعلة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص126. Largeau, op,cit, p188.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص77-78.

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص26.

وسجّل العياشي في رحلته مشاهداته حول طرق استخراج المياه ومناطقها في واحات توات وتيكورارين. وقد لاحظ استخدام تقنية الفجاجير<sup>1</sup>، وتحدّث عن مظهر طبيعي لتخزين المياه في المناطق السهبية والصحراوية، يدعى "القلّت" وهي عبارة عن مستنقعات صغيرة تحتفظ بالمياه لفترة من الزمن بعد جفاف الوديان<sup>2</sup>.

وفي وصفه لحالة المياه في وارجلان، قال: "ومن غرائب هذه البلدة، استخراج عيون الماء غزيرة بحفر الآبار، فيحفرون بئرا نحو من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفّح على وجه الأرض، فينقرونه فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويًا، ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا، فإن لم يتدارك الحافر بالجذف أغرقه الماء"<sup>3</sup>.

يختلف عمق الآبار في محيط وارجلان من منطقة لأخرى، حيث قدر العياشي<sup>4</sup> معدّل بعض الآبار بخمسين قامة<sup>5</sup>. وفي جبل كريمة بئر يقدر بثمانين مترا<sup>6</sup> أمّا عن

<sup>1</sup> الفجاجير: تعرف بالفقارة والتي تتشكل من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة حيث تتحدّر ببطء عن طريق الانحدار التدريجي لهذا المجرى وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى (ماجن) ومنه تخرج القنوات تحمل المياه إلى بساتين أصحاب الفقارة كل على حسب نصيبه. وكان على أصحاب هذه الفقائر التزامات مالية ومادية بصفتهم الطبقة الميسرة منها دفع الضرائب السنوية والمساهمة في تكاليف بناء سور البلدة. ينظر: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1977م، ص 55

<sup>2</sup> إلياس حاج عيسى: "مصادر المياه والنشاط الفلاحي في واحات المغرب الأوسط"، المجلة الخلدونية، العدد 10، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ديسمبر 2016م، ص 101.

<sup>3</sup> أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، تح، سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006م، ص 118.

<sup>4</sup> نفسه.

<sup>5</sup> القامة: القامة وحدة للطول يراد بها الأصل طول الانسان، كان العرب والمسلمون قديما وما زالوا يتعاملون بها، ولا سيما في قياس الأعماق، وهي بالتقدير 1.60 مترا تقريبا. ينظر: محمود فاخري وصلاح الدين خوام: موسوعة القياس وحدات الإسلامية والعربية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2002م، ص 147.

<sup>6</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 166.

طريقة القياس، فهي تتم بطريقة بسيطة وتقليدية، وذلك بقياس مسافة الطريق التي يسيرها الحيوان (جمل أو بغل أو حمار) على اليابسة، وهو يقوم بجرّ الحبل الذي يربط في آخره دلو لملئ الماء من البئر.<sup>1</sup>

ومع كثرة الفتن التي عرفتھا وارجلان التي أثرت سلبا على الثروة المائية، وانعكست على بعض مظاهرها، على غرار دفن الآبار، لذلك كان الأهالي يلزمون أيّ عرش من أعراش قصر وارجلان، أنه متى عثر على عين مدفونة تحت الأرض، فإذا كانت بأرض الشيوع فإنّ العرش يلتزم بترميمها، ثمّ يستفيد منها بالتساوي، أمّا إذا اكتشفها أحد داخل جنانه فإنّه يخبر العرش الذي ينتمي إليه، فإن وجدوا لها مالكا فإنّه هو الذي يتولّاها، ويتفق مع العرش في خدمتها على نفقتهم، فإن لم يجدوا لها مالكا، فهي لصاحب الجنان.<sup>2</sup>

إنّ وارجلان من خلال هذا، يمكن اعتبارها خزّانا من الموارد المائية الجوفية، ومع وفرة المخزون ازداد الاهتمام بالنشاط الزراعي والقيام بالإعداد له من حيث شقّ الترع والسواقي لتصل العيون بالبساتين. ولمّا كان الماء على درجة من الأهمية والحساسية، وكانت النزاعات والخلافات تقوم بسبب حقّ استغلال المياه، أصدرت أحكام وضوابط، كانت محلّ التزام جماعي لتنظيم عملية استغلال الماء بما يحقّق مصالح مختلف المجموعات البشرية المرتبطة بهذه العين أو تلك.<sup>3</sup>

من بين هذه الأحكام والضوابط ما نشير إلى شبكة الري من المساقى التي يجري فيها الماء إلى العمارة والزرع، وتنوّع هذه الشبكات بين مساقى رئيسية تنتهي بمقاسم

<sup>1</sup> حاج عيسى، مصادر المياه، ص102

<sup>2</sup> أعزام، المرجع السابق، ص200، حاج عيسى، مصادر المياه، ص102

<sup>3</sup> غرايسة، المدينة، ص28.

للمياه، ومنها مباشرة إلى أحواض الزراعة، أو مساقى فرعية تأخذ من المسقى الرئيس، وتوصل الماء إلى الأحواض. وتشير الأحكام إلى اعتماد أهالي وارجلان على النظام الزمني في تقسيم الماء الجاري،<sup>1</sup> ولم يجز العلماء تقسيمه بالقواديس أو الأحواض وغير ذلك من الأواني، وفي هذا يقول صاحب كتاب القسمة وأصول الأرضين: "وإذا أراد الشركاء أن يقسموا الماء الجاري، إنّما يقسمونه على الساعات والأوقات والليالي والأيام، ولا تجوز قسمته بالقواديس ولا بالأحواض لأنّ ذلك مجهول ولا يصل إلى معرفته."<sup>2</sup>

هذا وقد أشار الفرسطائي في كتابه سالف الذكر حول الطريقة المستخدمة لفكّ النزاعات بين أصحاب الماء المشترك، حيث يتمّ تجميع الماء في مكان محدّد وتفرّغه في مساقى مستوية غير منحدرية ولا مرتفعة ليتمّ توزيع الماء بطريقة عادلة بقوله: "الماء الجاري إذا كان كثيرا ولا تجمع الساقية فأراد قسمة بالمساقى على هذا الحال، وإنّما يجعلون مقاسمهم على مستوى الأرض،<sup>3</sup> ولا يجعلونها على منحدر أرض بعضهم دون بعض لئلا يكون الغبن بينهم."<sup>4</sup>

أمّا عن طريقة الاستفادة من العيون يكون بالتناوب وعلى الشكل الآتي:

- إمّا لكلّ قوم يوم معين من أيام الأسبوع.
- وإمّا بالتناوب الليل لقوم والنهار لقوم آخرين.

<sup>1</sup> عاشور، المرجع السابق، ص385.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر: القسمة وأصول الأرضين، تح، تحقيق بكر بن محمد الشيخ بلحاج و محمد ناصر، المطبعة العربية، القرارة (غرداية)، ط2، 1418هـ/1997م، ص112.

<sup>3</sup> يريد به ما استوى من الأرض ولم يكن فيه انحدار.

<sup>4</sup> الفرسطائي، المصدر السابق، ص112.

- وإمّا يقسّم النهار من الفجر إلى الزوال، ومن الزوال إلى العصر، ومن العصر إلى المغرب.<sup>1</sup>

ولم يقتصر حفر الآبار للزراعة فحسب، بل امتدّ أيضًا إلى المجال التجاري بسبب حاجة القوافل التجارية إلى الماء، وهذا يفسّر وجود آبار على الطرقات تكون صالحة للاستخدام. فحسب البكري "بين وارجلان وقلعة بني طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما، ومن تادمكت إلى غدامس أربعون مرحلة في الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين"<sup>2</sup>. فموقع وارجلان الواقع في طريق القوافل، وتوفّر الماء بها، جعلها نقطة عبور للقوافل التجارية والتوقّف في ربوعها.<sup>3</sup>

## 2- النشاط الزراعي:

تتميّز الفترة الوسيطة بدمج الزراعة مع التجارة، بدءا من القرن 3هـ/9م وحتى نهاية القرن 9هـ/15م، فقد أظهرت العديد من الكتابات الدور الحيوي الذي أدّته الزراعة في المناطق الصحراوية، حيث استطاع سكّانها استغلال الموارد المائية والتحكّم فيها لتلبية احتياجاتهم من جهة، واحتياجات التجّار القادمين إليها من جهة أخرى، باعتبار هذه المناطق نقطة عبور للقوافل التجارية، حيث كانت تتدفّق إليها الثروات مثل الذهب والعبيد والملح،<sup>4</sup> ثمّ استثمار هذه العائدات المالية والبشرية في مجال الزراعة، حيث تمّ توفير اليد العاملة الأساسية من العبيد الذين كانوا يقومون بخدمة المنازل والأراضي، ويعملون في

<sup>1</sup> نفسه، ص111؛ عاشور، المرجع السابق، ص385؛ أعزام، المرجع السابق، ص204 وما بعدها.

<sup>2</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص371

<sup>3</sup> زاجية هرياش: "وارجلان دراسة اقتصادية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد02، جامعة ابن خلدون تيارت، سبتمبر 2021م، مجلد04، ص459-460.

<sup>4</sup> هرياش، المرجع السابق، ص453.

زراعة المحاصيل وجني ثمار البساتين المنتشرة. وكانوا يحصلون على حصّة من المحصول،<sup>1</sup> تُعرف بالخمس،<sup>2</sup> كما هو الحال في واحات أخرى مثل توات وتقرت وغيرها.<sup>3</sup>

إنّ قيام الزراعة في المناطق الصحراوية لم يكن بالأمر السهل، فقسوة الطبيعة مع فقر وملوحة التربة وندرة المياه؛ كلّها عوامل لا تساعد على قيام زراعة نشيطة، ورغم ذلك فإنّ سكّان وارجلان تمكّنوا من تذليل الكثير من هذه الصعوبات، وأوجدوا وسط بيئتهم الصحراوية حياة زراعية ناجحة،<sup>4</sup> فحوّلوا المنطقة إلى جنّات وغابات متواصلة من النخيل<sup>5</sup>، والكثير منهم اهتمّ بغرسها، لأنّها المورد الأساسي لرزقهم،<sup>6</sup> ولرؤوس الأموال التي تدرّها عليهم.

اشتهرت وارجلان بنخيلها الكثير، فقد وصفها الكتابات التاريخية والجغرافية بالكثرة، من ذلك نجد أنّ الحموي يصف ذلك بقوله: "ورجلان...ضاربة في البرّ كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> Daumas, op,cit, p94-96.

<sup>2</sup> نظام الخماسة: هو عبارة عن عقد يقيد العلاقة بين مالك الأرض و الشخص المستعد لخدمتها وفق شروط معينة، ومجمل هذه الأعمال تكون وفق التالي: مثل تسميد الارض والاهتمام بأمور السقاية، وتأبير النخيل وقطع التمر ونقله إلى المدينة وغيرها من الاعمال التي تكون محل للتفاهم بينهما ينظر: أعزام، المرجع السابق، ص206-207؛ حاج عيسى، مصادر المياه، ص111-112.

<sup>3</sup> هرياش، المرجع السابق، ص454.

<sup>4</sup> محمود فرج، المرجع السابق، ص54.

<sup>5</sup> بحاز ابراهيم بكير: الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الإقتصادية، ص152.

<sup>6</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص88، (مقدمة المحقق).

<sup>7</sup> الحموي: المصدر السابق، ج5، ص371.

وقال صاحب الاستبصار: "بلد خصيب كثير النخيل والبساتين...وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه"<sup>1</sup>. وقال ابن سعيد المغربي: "وهي بلاد نخل"<sup>2</sup>. أما الحسن الوزان قد قال عنها: "وحولها نخل كثير"<sup>3</sup>، لكن دون تحديد كمّي دقيق لها، والذي قدرته إحدى الدراسات الحديثة بـ 350,878 نخلة.<sup>4</sup>

### 3-أهم المحاصيل الزراعية:

#### أ- التمور:

وعلى الرغم من وجود إشارات لوجود زراعات أخرى-كما أشرنا- إلا أنّ الغالب هو زراعة النخيل، باعتبار أنّ التمور مادة أساسية يعتمد عليها السكان في غذائهم اليومي، تكاد تكون بمنزلة الحبوب لغيرهم، وذلك لأهميتها الكبيرة في حياة سكان المناطق الصحراوية.<sup>5</sup> وقد أشار ابن خلدون إلى منطقة وارجلان كأحد الأماكن المناسبة لزراعة النخيل،<sup>6</sup> وأكد الأغواطي في رحلته أنّ وارجلان (ورقلة) مليئة بأشجار النخيل.<sup>7</sup>

لذا نجد في كتب السير أقوالاً عديدة تحضّ على زراعة النخيل وترغب في امتلاك الأجنّة وعدم بيعها، من ذلك ما أورده الوسياني: "قال أبو عبد الله: بائع النخل محقّ،

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: الاستبصار، ص224؛ الحميري: المصدر السابق، ص600.

<sup>2</sup> أبو سعيد، المصدر السابق، ص126.

<sup>3</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>4</sup> وهذا حسب ماذهب إليه الرحالة الفرنسي لارجو، في حين أشارت الباحثة بلانشي أن عددها سنة 1881م وصل إلى 436252 نخلة. ينظر:

Largeau, op,cit, p109 ; Blanchet Paul, « L'oasis et le Pays de Ouargla », **Annales de Géographie**, T9, N°44, 1900, p155.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص139.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص64.

<sup>7</sup> سعد الله: المصدر السابق، ص92.

ومشتريها مُعان"، وعنه: "من باع ترابا ولم يجعل عنه مثله في التراب جعل على رأسه التراب" وعنه أيضا: "حبّ النخيل من الإيمان وبغضها من النفاق"<sup>1</sup>. ولا يزال غرس النخيل والاعتقاد ببركته وأجره متوارثا إلى يومنا هذا في مناطق وارجلان، وأريغ، وبلاد الزيبان، ووادي ميزاب.<sup>2</sup>

ومما ساهم في انتشار زراعة النخيل في منطقة وارجلان، عاملان اثنان جعلها واحدة من أكثر واحات بلاد المغرب كثافة، هذان العاملان هما:

- وجود طبقة غنيّة من المياه الجوفية في المنطقة.

- المعرفة العميقة للسكان بتقنيات زراعة النخيل.<sup>3</sup>

جاء في كتب السير أنّ أبا صالح جنّون بن يمران كتب له ابن عمّه من المغرب<sup>4</sup> فقال له: "يا ابن عمّ دع عنك أرض الفقر-يقصد وارجلان- وايتنا فإنّ قبلنا أرضا مفرش كساءة تُعبّي الجمل وسقه حبا". وقرأ فرّد إليه كتابه وقال: "ابن أخي أو قال: يا ابن عمّي - بادرني بمن معك فإنّ قبلنا أرضا قعدة رجل تعبّي الجمل وسقه عسلا - أراد بذلك

<sup>1</sup> الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص483.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص169.

<sup>3</sup> Alain romey, **histoire toponymie et tradition orale d'une oasis arabo-berbere n'goussa**, centre d'etudes maghrebines 1973-1974, p21.

<sup>4</sup> جاء في كتاب المعلقات "وكان بأندرار" وهي قرية ومرعى من قرى ومراعي وارجلان والظاهر أنها غير صحيحة والاقرب إلى الصواب ما ثبتناه أعلاه أنها "من المغرب" - أي المغرب الأقصى- وهي رواية عند الدرجيني قال محقق المعلقات من المغرب ذكرت عند الدرجيني وهي الأصح ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، دط، 1974م؛ مجهول، المعلقات، ص55. تعليق رقم01.

النخلة-<sup>1</sup>. وفي هذا اشارة لكثرة ما ينتج من التمر حتى إنه يصبح أحمالاً، كناية عن وفرة المنتج، ممّا يؤكّد على ضخامة الانتاج.<sup>2</sup>

يتّضح من خلال هذا النصّ أنّ أهل وارجلان يعتبرون التمر بمثابة الحنطة بالنسبة لغيرهم، وهو قوتهم ومادّتهم، لهذا نجد أنّهم يفضلون منابت النخيل على منابت القمح، لأنّه قوتهم وغذائهم، وأنّه لا يحتاج إلى إعداد في الأكل ولا كلفة فيه، كما يرتجى فيه نيل بركة حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي روته عائشة -رضي الله عنها- أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «يا عائشة، بيئت لا تمرّ فيه جياعٌ أهله، يا عائشة، بيئت لا تمرّ فيه جياعٌ أهله -أو جاع أهله- قالها مرّتين أو ثلاثاً.»<sup>3</sup>. وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن لما فيه من الجوهر الحارّ الرطب، كما أنّه فاكهة وغذاء ودواء.<sup>4</sup>

واشتهر الشيخ أبو صالح جنّون بن يمران الذي كان يتولّى شؤون وارجلان بكثرة جنّاته، فكان يجمع التمر بعد الجني عرمة كبيرة لدرجة أنّ الواقف لا يستطيع رؤية الآخر من الناحية الثانية،<sup>5</sup> وقد تعجّب أبو نوح سعيد بن زنجيل من ذلك، قال الوسياني: "فعبج أبو نوح لكثرة ذلك مع كثرة جنّاته"<sup>6</sup>.

وفي كتاب السير لأبي زكريا يقول أثناء حديثه عن أبي نوح سعيد بن زنجيل: "إنّ أبا نوح لما انتهى به الأمر إلى وارجلان أكرمه أهله وحفظوه وعظّموا درجته وأحسنوا القيام

<sup>1</sup> مجهول، المعلقات، ص55، الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص435.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص140.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، رقم الحديث 2046.

<sup>4</sup> محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تح، شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ/1998م، ج4، ص268.

<sup>5</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص555.

<sup>6</sup> نفسه.

به، فملاً له الشيخ صالح جنون بيتا إلى السقف بالتمر، وأجرى عليه مائدة بُكرة وأخرى عشية.<sup>1</sup>

ونظرا لاهتمامه بالزراعة، أوصى أبناءه بهذا النشاط فقال: "يا بنيّ إن كنتم ممّن له مزرعة فعليكم بالقيام بها والتحقّظ عليها حتّى تُحصّل، وإن كنتم ممّن يشتريها فلتبادروا إلى ذلك ما لم تصل إلى الخازن، وإن كنتم ممّن يطلبها فلتطلبوها مادامت على الأشجار قبل أن يتحقّظ عليها"<sup>2</sup>.

### ب- مزروعات أخرى:

بالإضافة إلى زراعة النخيل وُجدت في وارجلان زراعات أخرى، وهو ما أشار إليه صاحب الاستبصار بقوله "وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين"<sup>3</sup>، ممّا يوحي بوجود أشجار مثمرة كالعنب، والتين، والرمان،<sup>4</sup> بالإضافة إلى وجود الزرع، ممّا قد يدلّ على إمكانية زراعة الحبوب، التي قد تكون هي المقصودة بعبارة "كثيرة الزرع"، لتفريقها عن الأنواع الأخرى.<sup>5</sup>

فإمكانية زراعة القمح والشعير وارد، لكن بقلّة، فقد وردت بعض الاشارات بوجود هذه المنتوجات في وارجلان، من ذلك ما أثار عن عبد الله بن توتيس الذي ذكر أنّه "وقعت إليه يمامة... فدخل فحمل لها قمحا، فجعله في كفه ولزمه لها حتّى لقطته"<sup>6</sup>، وكذلك ما روي في كتب السير من أنّ زوجة الشيخ أبي صالح جنّون بن يمریان

<sup>1</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص235.

<sup>2</sup> مجهول، المعلقات، ص53.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، 1985م، ص224؛ الحميري: المصدر السابق، ص600.

<sup>4</sup> Largeau, Op , cit, p101 ; Blanchet, Op, cit, p144.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة، ص139.

<sup>6</sup> الوسياني: المصدر السابق، ج2، ص612.

(ق4/هـ/10م) كانت تعدّ طعامها بنفسها، إذ روي عنه أنّه "جلس ذات مرّة مع امرأته وهي تعجن عجينا".<sup>1</sup> وعلى الرغم من أنّ هذا العجين لا يكشف عن طبيعته ومكوّناته الأساسية، إلّا أنّه من المحتمل أن يكون مصنوعاً من دقيق القمح أو الشعير أو الحنطة.

لكن لا يُعلم مصدر توقّر هذا المزروعات، أهو من ضمن الزروع التي كانت تزرع في وارجلان، أم أنّه مجلوب من الجهات الخارجية،<sup>2</sup> والذي نميل إليه، أنّ القمح من المنتوجات التي تجلب من خارج وارجلان، فالحسن الوزّان يشير إلى أنّ القمح كان يأتيهم عن طريق الغرباء الذين كانوا يأتون إلي وارجلان،<sup>3</sup> وهو ما أكّده العياشي في رحلته، إذ أثناء دخوله هو ومرافقيه إلى وارجلان، صادف دخوله دخول قافلة من أعراب الأرباع وهم يحملون معهم السمن والاعنام والزروع، فاشترى منهم ما احتاجوه.<sup>4</sup> والحال قد يكون نفسه مع الشعير الذي وردت إشارته في ما اتّخذه علي بن خلف مع أبي محمّد عبد الله بن مانوج، حيث جاءه "بمن اشترى منه قطعة غنم وعبداء، أو مطمورة شعير".<sup>5</sup>

كما كان سكّان وارجلان يعتنون بزراعة الزيتون، حيث اشتهرت المنطقة بكثرة أشجار الزيتون فيها.<sup>6</sup> ومن الأدلّة على ذلك، استخدام المحاصرين للزيت في جبل كريمة، حيث وضعوه في قصاع لإيهام العدو بوجود الماء،<sup>7</sup> ممّا دفعهم إلى فكّ الحصار.

<sup>1</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص344؛ الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص433.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص141.

<sup>3</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>4</sup> العياشي، المصدر السابق، ص114.

<sup>5</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص402.

<sup>6</sup> سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص490.

<sup>7</sup> عندما حاصر أبو عبيد الله الشيعي جبل كريمة بعد هروب أهل وارجلان إليه، انتظر استسلامهم نتيجة العطش ونفاد الماء، لكن هؤلاء لجأوا إلى حيلة ذكية، حيث وضعوا أواني مملوءة بالزيت، وعندما كانت الجمال تقترب لتشرب، كانت

وبالتالي، كان سگان مدينة وارجلان يتقنون صناعة زيت الزيتون، وبفضل وفرة هذه المادّة وجودتها في المنطقة، قام أهلها بتصديرها إلى المناطق المجاورة وإلى السودان.<sup>1</sup>

#### 4-النشاط الرعوي:

يعدّ الرعي من بين أقدم أنماط الحياة الاقتصادية التي مارسها البشر، ليس في المجتمعات الإسلامية فحسب، بل حتّى عند المجتمعات البشرية القديمة، وهو من بين الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سگان المغرب الإسلامي بحكم بدواتهم خلال العصر الوسيط،<sup>2</sup> وهو نوعان:

- الرعي المختلط بمناطق الزراعة، وعادة ما يكون صاحب الماشية هو المزارع.
- والنوع الثاني هو الرعي شبه الصحراوي أو الصحراوي، وفيه يكون صاحب الماشية لا يمتن غير مهنة الرعي،<sup>3</sup> وهو من أصعب الحرف خاصّة في الصحراء، حيث يقلّ الكلاً وتجفّ أحواض المياه، فتجد الراعي يسيح في الصحراء باحثاً عن أماكن الخصب لماشيته.<sup>4</sup>

المصادر التاريخية التي اهتمت بالتأريخ للحاضرة لم تشر إلى هذا النشاط إلّا عرضاً، لذا يجد الباحث صعوبة للإلمام بهذا النشاط، فتراه يعمد إلى هذه المصادر

=ترفع رؤوسها عن الأواني، ممّا يؤدي إلى تطاير قطرات الزيت. وعندما رأى العدو ذلك، قرر فك الحصار والعودة. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95-96.

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص164.

<sup>2</sup> نور الدين أمعيط: "الرعي والرعاة في بادية المغرب الإسلامي"، مجلة كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، العدد 55، الكويت، مارس2022م، ص39.

<sup>3</sup> عز الدين أحمد موسى:، المرجع السابق، ص198.

<sup>4</sup> بوعصبانة: المرجع السابق، ص170.

يستخلص منها ما يراه ذا فائدة وله علاقة بهذا النشاط، لكن المؤكّد أنّ وارجلان من خلال وصف صاحب الاستبصار أنّها "بلاد كثيرة الزرع والضرع"<sup>1</sup>.

كانت رعاية الماشية تتمّ في العديد من المراعي التي يُعتقد أنّها كانت تقع خارج مدينة وارجلان، في بعض البوادي أو الحواضر الأخرى. ومن أبرز هذه المراعي منطقة تُعرف بالركبة الضالّة، الواقعة بين وارجلان واندرار.

ذكر صاحب المعلّقات أنّ أبا يوسف يعقوب الطرقي قد أشار إلى أحد القادمين من نواحي طرابلس إلى وارجلان أن يأخذ جماله الهزيلة إلى موضع يقال له الركبة الضالّة "افود انصطون"<sup>2</sup> بين وارجلان واندرار مدّة معيّنة، من أجل تحسين وضعها، ثمّ أمره أن يبيع واحدا منها بأربعة وعشرين دينارا.<sup>3</sup> ويبدو أنّ هذه المنطقة كانت غنيّة بالكلاء، ممّا ساهم في تحسين حالة الجمال التي ترعى فيها.<sup>4</sup> كما كانت منطقة تالا عيسى<sup>5</sup> مكانا خصيبا يستقطب أصحاب الماشية لما تتوفّر عليه من الكلاء، حتّى وصفها الوسياني بأنّها "لا تخلو من ذي حافر"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص224؛ الحميري: المصدر السابق، ص600.

<sup>2</sup> الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص431.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول، المعلّقات، ص83-84.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص142.

<sup>5</sup> تالا عيسى: تعني بالبربرية عين الماء، اشتهرت بتالا عيسى نسبة إلى الشيخ عيسى بن يرصوكن، وهي موضع قريب من وارجلان ينظر: الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص428(تعليق رقم 10).

<sup>6</sup> نفسه، ج1، ص429.

يتطلب الاهتمام بالجمال<sup>1</sup> تلبية احتياجات الناس في رحلاتهم الطويلة، سواء كانت إلى السودان لأغراض تجارية أو إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، أو حتى في الأعمال الشاقة مثل استخراج المياه من الآبار العميقة، وهي من أكثر الحيوانات صبرا وقدرة على تحمّل العطش.<sup>2</sup>

والى جانب تربية الجمال اهتم أهل وارجلان بتربية الماشية "الغنم"، فقد ذكرت كتب السير عددا من علماء وارجلان كانوا يمتنون تربية المواشي، وليس ذاك عيبا، فقد مارس هذه المهنة معظم الأنبياء، من ذلك ما ذكره الدرجيني ما نُقل عن أبي عمّار عبد الكافي ابن أبي يعقوب التناوتي الذي عاش في النصف الأول من القرن 6هـ/12م، كان يتتبع مواطن الكلاً والماء إلى أن يصل بادية بني مصعب فقال: "خرج أبو عمّار في سنة من السنين في فصل الربيع إلى بادية بنى مصعب بغنمه فتوغّلوا في البرية تتبعا لطلب المرعى...<sup>3</sup>".

والشيخ أبو محمّد بن مانوج الذي عاش خلال القرن الخامس الهجري، الذي كان له راع وقدم عليه فسأله عن حال الغنم، فقال الراعي: "هي سالحة الحال، وإن وهب الله لها العافية إلى قابل فستكمل مائة، فقال أبو محمّد: لا أحب أن تكون مائة، كما لا أحب أن أكون يهوديا...<sup>4</sup> وهذا إخبار عن قناعة العلماء وقلة تعلّقهم بعلائق الدنيا.

<sup>1</sup> يعتبر أصل الإبل (الجمال) وانتشارها في شمال إفريقيا موضوعا تاريخيا وثقافيا مهما، حيث تشير العديد من الدراسات والأبحاث إلى أنّ الإبل قد نشأت في المشرق وانتشرت تدريجيا نحو المغرب. حيث وصلت إلى مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم انتقلت إلى ليبيا، ومن ثم إلى شمال إفريقيا فالصحراء الإفريقية. وقد وصلت إلى المغرب في بداية القرن الثالث الميلادي بعد أن تم جلبها من الشام. ينظر: محمّد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار مؤسسة الخليج للطباعة، دط، د ت ط، ص 28؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص 172.

<sup>2</sup> بوعصبانة: المرجع السابق، ص 172.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج 2، ص 487.

<sup>4</sup> نفسه، ج 2، ص 401.

كان النشاط الرعوي هو السمة الرئيسية للحياة البدوية في وارجلان، لكنّه في الوقت نفسه يعكس صورة التكامل الاقتصادي من خلال مساهمته في تأمين الاكتفاء الذاتي، من خلال توفير احتياجات الناس للحليب والألبان واللحوم، والاستفادة من أصوافها وأوبارها وجلودها في مختلف الصناعات.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص 143؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 172

## المبحث الثاني: النشاط الصناعي الحرفي وإمكاناته ما بين 4/10م و9/15م

## أولاً- المقومات الصناعية:

إنّ الصناعة في وارجلان والمغرب الأوسط عموماً لم تكن مجرد نشاط اقتصادي عابر، بل مثلت ركيزة أساسية في حياة المجتمع، إذ انطلقت في بداياتها لتلبية حاجات الإنسان الضرورية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، غير أنّها ما لبثت أن تطورت مع مرور الزمن إلى نشاط تجاري منظم، يُسوّق إنتاجه في الأسواق المحلية، ويُصدّر فائضه إلى المحيط الخارجي، كما شملت هذه الصناعات مختلف مجالات الحياة اليومية، من الأدوات الفلاحية البسيطة إلى الصناعات الجلدية والطينية، ثم المعدنية الأكثر متانة وفعالية، ولم يقتصر دورها على تلبية الحاجات المعيشية، بل حملت في طياتها أبعاداً اجتماعية وثقافية وفنية، حيث ارتبطت بمكانة الحرفيين في المجتمع، وعكست في زخارفها ونقوشها الهوية الثقافية والحضارية للمنطقة.<sup>1</sup>

كما هو متعارف عليه، فإنّ كلّ صناعة - سواء كانت تقليدية أو عصرية - تقوم أساساً على مواد أولية تُستخرج من البيئة المحلية، أو تُجلب من خارجها ليتم تحويلها إلى منتجات نافعة. وفي حالة وارجلان، فقد وفّرت البيئة الصحراوية مواد طبيعية متنوّعة استُغلت في الصناعات التقليدية، من أبرزها منتجات النخيل،<sup>2</sup> كجذوع النخل والجريد التي استُعملت غي صناعة الأبواب وأعمدة وعوارض لتسقيف البيوت،<sup>3</sup> أمّا سعفه فقد استُعمل

<sup>1</sup> نكار أحمد: الروابط الاجتماعية و الاقتصادية في واجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 960-1270هـ/ 1552-1854م، رسالة دكتوراه علوم، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشر، مختار حساني، جامعة الجزائر2، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م، ص171.

<sup>2</sup> Jean Lethielleux,op,cit, P93.

<sup>3</sup> نكار، الروابط الاجتماعية، ص172-173.

في صناعة الأدوات المنزلية والسلال والحبال، فكان مادة أولية أساسية اعتمد عليها السكان في تلبية حاجاتهم اليومية.

كما شكّلت الجلود مصدراً أساسياً لصناعة الأفرشة والأحذية وأوعية الحفظ، بينما استُخدمت الطين والأحجار في صناعة الأدوات الفخارية ومواد البناء، وإلى جانب ذلك، مكّنت تربية المواشي من توفير الصوف والوبر، اللذين استُغلا في صناعة الألبسة والأغطية.<sup>1</sup>

هذه المواد الأولية لم تكن فقط تلبي حاجات السكان اليومية، بل أسهمت أيضاً في بروز أنشطة تجارية محلية، خاصة عند تصريف الفائض إلى المناطق المجاورة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ منطقة وارجلان تكاد تكون خالية من المعادن التي يحتاجها الصناع التقليديون، وهو ما جعل الحرفيين يعتمدون بشكل كبير على ما تجلبه القوافل التجارية من مواد معدنية قادمة من خارج المنطقة، فقد كان الحديد والنحاس وغيرهما من المعادن الأساسية يرد إليها عبر طرق القوافل،<sup>2</sup> في حين شكّل الذهب القادم من إفريقيا جنوب الصحراء أحد أهم الموارد النفيسة التي بلغت المنطقة، وقد استُخدم هذا المعدن الثمين بوجه خاص في صناعة الحلّي، إضافة إلى سكّ العملة المتداولة في وارجلان، والتي عُرفت بالدينار.<sup>3</sup> ويعكس هذا الواقع الترابط الوثيق بين الحرف المحلية والحركة التجارية العابرة للصحراء، بما جعل من وارجلان مركزاً نشطاً لتبادل المواد الأولية وتحويلها.

<sup>1</sup> نكار، الروابط الاجتماعية، ص174.

<sup>2</sup> نفسه، ص173.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص224.

## ثانيا- الانتاجي الصناعي:

لا توفر المصادر المتاحة معلومات دقيقة أو كافية حول الجانب الصناعي ولا المهن المتاحة في وارجلان، حيث تقتصر الإشارات على ملاحظات عابرة وغير مباشرة تتعلق بالأنشطة الحرفية والصناعية. لذا، يتطلب الحديث في هذا المجال استنباطا وتحليلا لتلك الإشارات المحدودة، مما قد يؤدي إلى استنتاجات عامة قد تظل قريبة من التخمين.<sup>1</sup> ومع ذلك يمكن من خلال هذه الإشارات القليلة أن نستنتج أنّ الصناعة في وارجلان كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرف اليدوية والموارد الطبيعية المتاحة، مثل النخيل والجلود والألياف، التي استُخدمت في صناعات بسيطة لكنّها أساسية لحياة السكّان اليومية. يعكس هذا النهج قدرة المجتمع على التكيف مع بيئته واستغلال موارده بشكل فعّال.

كان الاهتمام بالصناعة أمرا ضروريا، حيث أصبحت المنطقة تؤدّي دورا تجاريا كبيرا، نظراً لكونها امتدادا تاريخيا للحضارة الرستميّة التي ازدهرت في مجالات الزراعة والصناعة، مع ظهور صناعات يدوية تلبي احتياجات الحياة اليومية لمجتمع وارجلان.<sup>2</sup> وقد أشار الحسن الوزّان إلى أنّ عدد الصنّاع في وارجلان كثير<sup>3</sup>، لكنّه لم يحدّد أصنافهم أو المجالات التي تميّزوا فيها، ومن المحتمل أن تكون هذه الصناعات هي نفسها التي برع فيها الرستميون، حيث فرّت بعض الفئات منهم إلى وارجلان، ممّا ساهم في تطوير صناعة يدوية محلّية استفادت من الثروات المتاحة في المنطقة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص204.

<sup>2</sup> هرياش، المرجع السابق، ص460.

<sup>3</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>4</sup> هرياش، المرجع السابق، ص460.

إنَّ أهمَّ ما يتعلَّق بالصناعة في وارجلان بالأساس هو تأمين الاحتياجات الغذائية كأولوية قصوى، ولم يكن بالإمكان تحقيق ذلك دون المرور بآلية تتعلَّق بواقع ومستوى التصنيع،<sup>1</sup> فعلى سبيل المثال، يتطلَّب إعداد قوت من الحنطة عمليات الطحين والعجن والطهي، "وكلَّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمَّ إلَّا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ".<sup>2</sup>

تعتبر ظاهرة حفر الآبار في وارجلان، وما يرتبط بها من عملية شقّ الصخور التحتية باستخدام المعاول والفؤوس حتّى تصبح أكثر رِقَّة، ثمَّ يقوم العمّال برمي قطعة من الحديد عليها لتكسيروها في الماء، وكذا استعمال هذه الأدوات في الزراعة، ممّا يشير إلى وجود الحديد في وارجلان أو بالقرب منها، بالإضافة إلى انتشار استخداماته، ولا يبدو هذا الأمر مستبعدا، خاصّة في ظلّ استخدام سگان وارجلان للتبر الذي يقومون بمعالجته في بلادهم، ممّا يمنحهم خبرة في التعامل مع المعادن، التي رغم اختلاف خصائصها، تتشارك في الحاجة الملحة إليها.<sup>3</sup>

تعتبر صناعة الجلود أو الدباغة من الصناعات المرتبطة بالماشية وتوافرها، وقد مارسها البربر منذ العصور القديمة.<sup>4</sup> ونظرا لأنّ وارجلان تُعدّ من المناطق التي تُربى فيها الماشية أو تُستجلب إليها من مناطق أخرى، فلا يُستبعد أن تكون هذه الصناعة موجودة في تلك المنطقة وضواحيها.

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص144.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص54.

<sup>3</sup> نفسه، ج7، ص77؛ غرايسة، المدينة، ص144.

<sup>4</sup> صفر أحمد، المرجع السابق، ص152.

فالدباغة صناعة تحويلية ضرورية، حيث تعتمد على جلود الماشية، ويستخدم الحرفيون طرقاً خاصّة لتحويل الجلد إلى قطع قابلة للاستخدام في صناعة مختلف الاحتياجات، مثل النعال والسروج والأغطية، بالإضافة إلى أدوات لحفظ السوائل مثل الحليب والماء والسمن،<sup>1</sup> وكذا استغلال صوف ووبر هذه الماشية في صناعة مختلف الألبسة فالأغواطي<sup>2</sup> يشير إلى أنّ غالب لباس أهل وارجلان من الصوف.

وبما أنّ وارجلان تشتهر بوفرة أشجار النخيل، فمن الطبيعي أن يستغل حرفيوها الموارد التي توفرها هذه الأشجار، مثل سعف النخيل وأليافه، في صناعة منتجات متنوّعة، مثل استخدام سعف النخيل في صناعة السلال والأطباق. بالإضافة إلى ذلك، يُستغل ليف النخيل في صناعة الحبال المتينة، التي تُستخدم عادة في استخراج المياه من الآبار عن طريق ربطها بالدلاء المصنوعة من جلود الماشية.

كما لا يستبعد أنّ لبثائي وارجلان براعة فائقة في تحويل جذوع النخيل إلى أعمدة وعوارض تُستخدم في تشييد البيوت. هذه الممارسة لا تعكس فقط مهارتهم في استغلال الموارد الطبيعية المتاحة، بل تُبرز أيضاً قدرتهم على التكيف مع البيئة الصحراوية بذكاء وإبداع.

ومن الصناعات المنتشرة في وارجلان وتمت الإشارة إليها في المصادر ضرب العملة من التبر، فقد نقل الإدريسي أنّ ما حصل بين أيديهم من التبر من بلاد السودان "وتاجر بعضهم بعض واشترى منهم أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم"<sup>3</sup>. كما تؤكد رواية الاستبصار على وجود عملة محلية تُضرب في

<sup>1</sup> حجاز، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص 207.

<sup>2</sup> سعد الله، المصدر السابق، ص 92.

<sup>3</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 24.

وارجلان، وهي دنانير من نوع المرابطية.<sup>1</sup> وكلّ هذه الدلائل تؤكّد على وجود مسبكة في وارجلان.

وفي هذا السياق، أشار ليتيليو (Lethielleux) إلى أنّ بعض المخطوطات المزبانية ذكرت أنّ العملة المضروبة في سدراتة تعود إلى سنة 666-667 هـ/1267-1268م، وهي أوّل عملة تشبه العملة المضروبة في مگّة، وتحمل رمز "المجد لله" أو "الشكر لله" على الفضة، بالإضافة إلى عملة ذهبية تحمل رمز "محمّد رسول الله". ومع ذلك، تشير كتابات أخرى إلى أنّ تاريخ ضربها تأخّر إلى 700 هـ/1300م، حيث تحمل رموزًا لاتينية.<sup>2</sup>

وأشار العياشي في رحلته إلى وجود دراهم غلب عليها طابع النحاس، حيث استخدمها الناس في بدايات القرن 10 هـ/16م، حيث قال: "لأهل هذه البلدة -يعني وارجلان- دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس، حيث تحتوي على أربعة وعشرين في ربع ريال..."<sup>3</sup>، ممّا يدلّ على أنّ النحاس كان يشكّل نسبة كبيرة من هذه الدراهم في تلك الفترة،<sup>4</sup> وأنّ قيمتها كانت أقلّ من العملات النقيّة مثل الدينار الذهبي أو الدرهم الفضي.

تمكّنت وارجلان في فترة زمنية قصيرة من السيطرة على عملية سكّ العملة، التي أصبحت معروفة في مجال المبادلات التجارية، كما ذُكر وصفها في بعض المصادر الجغرافية "... والدنانير الورجلانية مشهورة".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص 224.

<sup>2</sup> Jean Lethielleux (Jean), op.cit, P25

هرباش، المرجع السابق، ص 461.

<sup>3</sup> العياشي، المصدر السابق، ص 118.

<sup>4</sup> هرباش، المرجع السابق، ص 461.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص 224.

بغض النظر عن نوع المادّة التي صنّعت منها تلك النقود، سواء كانت ذهبية أو فضّية أو نحاسية، فقد ساهمت بشكل كبير في تعزيز عملية التبادل التجاري وسهّلت المعاملات مع الدول المجاورة. وذلك سواء في بيع المنتجات الصناعية والزراعية أو في استيراد السلع من المناطق البعيدة عبر الصحاري.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> هرياش، المرجع السابق، ص 461.

## المبحث الثالث: التفاعل التجاري في مجتمع وارجلان ما بين 4/10م و9/15م

تتميز وارجلان بموقعها الاستراتيجي الذي أثر بشكل إيجابي كبير على نشاطها الاقتصادي عبر العصور، فهي تقع على طريق حيوي يربط بين مدن بلاد المغرب ومناطق السودان، وهذا ما جعلها نقطة محورية للتجارة الداخلية والخارجية.<sup>1</sup>

وبفضل هذا الموقع الفريد، أصبحت التجارة النشاط الاقتصادي الرئيسي لسكان وارجلان،<sup>2</sup> الذين استفادوا من خبراتهم الواسعة ومهاراتهم المتقنة في هذا المجال،<sup>3</sup> وقد ساهمت مكانتها التجارية المتميزة في تعزيز دورها كمركز اقتصادي وثقافي مؤثر في المنطقة، مما جعلها واحدة من أبرز المدن الصحراوية في شمال إفريقيا.

## أولا- الطرق التجارية:

تشكّلت الطرق التجارية في بلاد المغرب الإسلامي من الشمال إلى الجنوب، إذ قسّم المغرب الإسلامي إلى أدنى وأوسط وأقصى. وقد ربطت هذه الطرق بين شمال المغرب الإسلامي ومدن وأقاليم السودان الواقعة جنوب الصحراء. كما قسّمت بلاد السودان إلى شرقي وأوسط وغربي، والملاحظ على هذه الطرق التجارية وجود شبكة واسعة من الطرق التي نشأت نتيجة لهذا التقسيم. وتكوّنت علاقات تاريخية وطيدة خاصة في المجالين الاقتصادي والفكري بين المغرب والسودان.<sup>4</sup>

وقد أدّت بعض المدن والحواضر الواقعة على أطراف الصحراء، مثل ورجلان وسجلماسة، دورا مهماً في تعزيز هذا التواصل، حيث شكّلت حلقة وصل بين الشمال

<sup>1</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 156-157

<sup>2</sup> Jean Lethielleux, Op , cit,p168.

<sup>3</sup> غرايسة، المرجع السابق، ص 148

<sup>4</sup> حاج عيسى: مدينة وارجلان، ص 77.

والجنوب، ومراكز لعبور السلع والبضائع، وبذلك أصبحت هذه المدن مركزا لتقاطع تلك الشبكة الكبيرة من الطرق والمسالك التجارية، مما منحها مكانة بارزة خلال الفترة الوسيطة.

ومن بين المسالك الرئيسية التي تربط مجالات خارج المغرب الأوسط عبر ورجلان<sup>1</sup>، نذكر:

### 1- طريق وارجلان - تادمكت - كوكو:

يعتبر هذا الطريق من أنشط الطرق التجارية لتجارة الذهب، ومختلف السلع مع بلاد السودان،<sup>2</sup> وهو من أقدم الطرق التجارية التي تربط مدينة وارجلان ببقية مدن المغرب الأوسط وبلاد السودان هو طريق وارجلان - كوكو<sup>3</sup>، الذي يمرّ عبر تادمكت، فقد أشار البكري إلى الجزء الشمالي من هذا الطريق الذي يربط وارجلان بتادمكت<sup>4</sup>، حيث ذكر أنّه

<sup>1</sup> حاج عيسى: مدينة وارجلان ، ص 78؛ حمزة العشي: " الحواضر الواحية بالمغرب الأوسط بين الدور التجاري والتأثير الحضاري واحة وارجلان أنموذجا"، مجلة عصور، العدد 03، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 01، ديسمبر 2023م، المجلد 22، ص 85

<sup>2</sup> محمد قرقش: المدخل إلى تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار بسمة للطباعة والنشر، عمان، دط، دت ط، ص 227.

<sup>3</sup> كوكو: مملكة كوكو بحسب اليعقوبي تُعد من أعظم ممالك السودان. لذا فإنّ جميع الممالك الأخرى تعترف بسلطة ملكها وتخضع له بالطاعة. يُطلق اسم كوكو على المدينة نفسها، تقع شرق نيل غانة، وهي منسوبة إلى مدينة صاحب البلاد، وكوكو جبل يضرب به المثل فهو يقابل من الغرب مسلمي غانة، ومن الشرق مسلمي الكانم. ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص 168؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 9.

<sup>4</sup> تادمكت: تادمكت أو تادمكت أشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تاد عندهم هيئة إذ أنّها على هيئة مكة، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب، وهي أحسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو. وأهل تادمكت بربر مسلمون وهم يتنقّبون كما يتنقّب بربر الصحراء، وهي مدينة وسوق تجاري مشهور في السودان الأوسط في سفح أدرار إيفوغاس، موغلة في الصحراء تبعد عن وارجلان بمسيرة 50 يوما، ترتبط بعدة طرق تجارية نشطة منها طريق القيروان عبر وارجلان ومنها 14 يوم إلى قسطنطينية ومنها 7 أيام إلى القيروان. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 881؛ عبد القادر مباركية: التجار و التجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب

إذا أراد شخص السفر من تادمكة إلى القيروان، فإنه يحتاج إلى السير في الصحراء لمدة خمسين يوماً للوصول إلى مدينة وارجلان، ومن ثمّ يستغرق سبعة أيام للوصول إلى القيروان عبر قسطلية<sup>1</sup>.

لم يذكر الجغرافيون القدماء الجزء الجنوبي من الطريق، ويتّضح من خلال نصّ البكري أنّ طريق وارجلان - كوكو كان مستخدماً خلال القرن 5-6هـ/11-12م،<sup>2</sup> حيث كانت القوافل تنطلق من وارجلان متّجهة إلى عمق الصحراء نحو مدينة تادمكة، ومن ثمّ تستمرّ في رحلتها لمدة تسعة أيام حتّى تصل إلى مدينة كوكو.<sup>3</sup>

تحدّث كتب السير الإباضية عن سفر التجار الإباضية من وارجلان إلى تادمكة؛ منها ما نقله الدرجيني، بأنّ أبا صالح الياجراني كانت له تجارة في تادمكة خلال القرن الرابع للهجري وذكر "أنّه جلب من إبله أبعرة إلى وارجلان للبيع فاشتري وارجلاني منها بعيراً... وكان له جمل أراد المسير عليه فقال له رجل من أهل وارجلان: أتحمل لي على جملك هذا حمل متاع إلى تدمكت فتبيعه لي هناك".<sup>4</sup>

كما تحدّث المصادر عن استقرار شخصية أخرى في تادمكة ببلاد السودان يدعى مكّي الوسياني، وهو من تجار وارجلان، حيث كان يبعث زكاته لفقراء وارجلان بلده الأصلي. ويبدو أنّ العلاقة بين وارجلان ومدينة كوكو قديمة بحيث تمتدّ إلى عهد الدولة

الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، إيش، علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011-2012م، ص36.

<sup>1</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص881.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص144.

<sup>3</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص263.

<sup>4</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ص374-375.

الرستمية<sup>1</sup>، إذ نجد إشارة في إحدى المصادر أنّ عهد الإمام أفلح امتاز بتوثيق علاقات تيهرت بعدد من ممالك بلاد السودان، وفي مقدمتها مملكة كوكو التي تبعد عن تيهرت مسافة ثلاثة أشهر، وكانت القوافل التجارية تأتي وتذهب إليها، خصوصا من وارجلان<sup>2</sup>.

## 2- طريق: وارجلان - غانة:

إلى جانب طريق وارجلان كوكو، يوجد طريق تجاري آخر يربط مدينة وارجلان بأسواق السودان الغربي، وهو طريق وارجلان-غانة، وكان مستخدما في نفس الفترة التي كان يستخدم فيها طريق وارجلان-أجلو، الذي يربط وارجلان بغانة عاصمة المملكة، وقد كان لهذا الطريق أهمية كبيرة، حيث كانت غانة تمثل المدخل الرئيسي للتجارة المغاربية إلى منطقة "ونقارة"<sup>3</sup> والتي تبعد بمسيرة ثمانية أيام عن غانة<sup>4</sup>.

والمسافة بين وارجلان وغانة ثلاثون مرحلة<sup>5</sup>، ولا يقتصر هذا الطريق على تجارة وارجلان فحسب، بل يشمل أيضا تجارة إفريقيا ووحدات البريد التونسية، حيث كان بإمكانهم الوصول إلى السودان الغربي عبر توزر أو غدامس<sup>6</sup>.

ومن إشارات المصادر التي تؤكد وجود هذا المسلك ما أورده الوسياني بأن تاجرا من أهل الحامة - من مدن البريد - هو أبو موسى هارون بن أبي عمران، وهو من شيوخ الإباضية من أسرة زناتية نشأت بوارجلان<sup>7</sup>، سافر إلى مدينة غانة عن طريق وارجلان

<sup>1</sup> حاج عيسى، مدينة وارجلان، ص 80.

<sup>2</sup> أبو زكريا، المصدر السابق، ص 80.

<sup>3</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 149.

<sup>4</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 24.

<sup>5</sup> نفسه، ج 1، ص 296.

<sup>6</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص 80.

<sup>7</sup> قرقرش، المرجع السابق، ص 322.

خلال القرن (4/10م)<sup>1</sup>، وصف هذا الطريق بطريق الذهب، حيث يتم جمع الذهب في شهر غشت؛ أي أوت، بعد جفاف ماء الفيضان، ويشتري أغلبه أهل وارجلان.

وقد قال أبو يعقوب يوسف الوارجلاني (ق6/12م): من أراد الغنى فعليه بغانة.<sup>2</sup> وقد ظلّ هذا الطريق مستعملاً بعد سقوط الدولة الغانية على يد الإمبراطورية المالية سنة 638 هـ/1240م، وكذلك في عهد إمبراطورية سنغاي، وامتدّ نشاطه إلى العصر الحديث. ويتّجه هذا الطريق في مساره من وارجلان إلى المنيعه، ومنها إلى تجورارين ثمّ تمنطيط، ومنها إلى تغازة ثمّ ولاتة، ومنها إلى أودغشت<sup>3</sup>، حيث يلتقي بقوافل سجلماسة المغربية.<sup>4</sup>

تتمتع أودغشت بمكانة مشابهة لتادمكة من حيث الدور الذي تؤدّيه، إذ تُعتبر تادمكة محطة استراحة قبل الوصول إلى غاو، وهو نفس الحال بالنسبة لأودغشت، فهي "مدينة صغيرة في صحراء، مأوها قليل وهي في ذاتها بين جبلين شبه مكة في الصفة وعامرها قليل، وليس بها كبير تجارة ولأهلها جمال ومنها يتعيشون".<sup>5</sup> ورغم ذلك، فإنّ النشاط التجاري يسيطر على المدينة.

تشبه أودغشت أي مدينة إسلامية أخرى شهدت تطوّراً وازدهاراً عمرانياً بفضل موقعها على مسار تجاري حيوي. فالمسافر الذي يتوقّف في أودغشت يستعدّ للانتقال إلى

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص566. الشماحي، المصدر السابق، ج2، ص127

<sup>2</sup> بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص222.

<sup>3</sup> أودغشت: مدينة تقع على حافة الصحراء الكبرى من الجنوب، وتقع بين جبلين، ولذلك شبها معظم الجغرافيين بمكة، إلى الجنوب من سجلماسة، وتمكن سكانها من استغلال الأمطار التي تسقط على جبالها، وتنظيم أمور الري في الوادي الذي امتدت على ضفاف المدينة ولذلك فقد انتشرت فيها مزارع النخيل. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص92، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص277؛ قرقرش، المرجع السابق، ص222 (تعليق رقم 03).

<sup>4</sup> نكار، حاضرة وارجلان، ص69.

<sup>5</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص108.

غانة.<sup>1</sup> وبينها وبين وارجلان إحدى وثلاثون مرحلة، وبين أودغشت وغانة مسافة تقدر باثني عشر مرحلة.<sup>2</sup>

كانت مدينة غانة نقطة التقاء للطرق التجارية الصحراوية، وقد وصفها ياقوت بأنها مدينة كبيرة تقع في جنوب بلاد المغرب، بالقرب من بلاد السودان، حيث يجتمع التجار وينطلقون منها إلى بلاد التبر، وبدون المرور عبر هذه المدينة، يصبح السفر مستحيلاً، لأنها تتمتع بموقع منعزل بالنسبة لبلاد المغرب وبلاد السودان. فمنها يتزودون بالمؤن.<sup>3</sup>

### 3 - طريق وارجلان - غيارو:

لم يكتفِ إباضية وارجلان بالوصول إلى مدينة غانة، بل تجاوزها ودخلوا إلى السودان الغربي إلى "غيارو" بحثاً عن الربح الوفير، متجنبين بذلك منافسة الآلاف من التجار المغاربة.<sup>4</sup> وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ أبا موسى سافر إلى غانة، ووصل إلى "غيارو"<sup>5</sup>، حيث يذكر البكري أنّ "أفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غيارو. وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً في بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متصلة."<sup>6</sup>

ويذكر ابن سعيد أنّ في شرق مدينة سامقندى توجد جزيرة التبر. وفيها يعثر التجار على الذهب الكثير حتى أنه يلمع بالليل إذا انحسرت المياه عن رملها.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص 81.

<sup>2</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 108.

<sup>3</sup> الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 184؛ مزهودي، المرجع السابق، ص 153-154.

<sup>4</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 155.

<sup>5</sup> الشماحي، المصدر السابق، ج 2، ص 127.

<sup>6</sup> البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 875.

<sup>7</sup> ابن سعيد، المصدر السابق، ص 8.

## 4- طريق وارجلان سجماسة تاغزة أودغشت

تعتبر سجماسة من المراكز القليلة في بلاد المغرب التي تتقاطع فيها شبكة ضخمة من الطرق التجارية،<sup>1</sup> إذ تعتبر أهم الأسواق المغربية، والتي تنطلق منها القوافل صوب الجنوب، ولها اتصال وثيق بوارجلان، خاصة الجانب الاقتصادي.<sup>2</sup>

وللذهاب إلى سجماسة من وارجلان، تبدأ القوافل بالتوجه أولاً نحو الجنوب الغربي إلى مدينة القليعة، التي تُعتبر محطة مهمة، بعد ذلك، تتجه غرباً، مروراً بواحة قورارة وقصور توات، ثم تستمر في الاتجاه نحو الشمال الغربي، حتى تصل إلى مدينة سجماسة،<sup>3</sup> وتتجه صوب الجنوب في الصحراء الكبرى لمسافات طويلة حتى تصل إلى أودغشت في مدة تقرب من الشهرين تقريباً،<sup>4</sup>

ويتفرع طريق سلجماسة إلى أودغشت إلى فرعين:

أ - يعتبر طريق سجماسة تغازي-تيشيت من الطرق المهمة في الجهة الجنوبية الشرقية نحو أودغشت. وتكمن أهميته في التقاءه عند تغازي بالطرق الصحراوية القادمة من وارجلان وبلاد الجريد من الشمال. وقد شهد هذا الطريق نشاطاً ملحوظاً خلال فترة الدولة الرستمية، حيث كانت تغازي واحدة من أهم محطاته.

ب - يمتد طريق سجماسة-الوير نحو أودغشت في الجهة الجنوبية الغربية، ويقرب من بلاد التكرور والطريق الساحلي الذي يربط المغرب الأقصى.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص 82.

<sup>2</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 145.

<sup>3</sup> نفسه؛ محمود فرج، المرجع السابق، ص 78.

<sup>4</sup> ابن حوقل، المصدر السابق، ج 1، ص 92.

<sup>5</sup> قرقرش، المرجع السابق، ص 222.

من الدلائل التي تؤكد وجود هذا المسلك ما أشارت إليها المصادر، فقد أورده الشماخي في سيره عن الشيخ أبي يحيى زكرياء بن صالح اليراسني رواية عن أحد المشايخ "قال وصل أبو يحيى زكرياء ذات مرة من سجلماسة إلى وارجلان وخرج يريد جربة مع أصحابه ومعهم قرب مائتي ألف وخمسين ألفا ذهباً تبرأ أعني مثقالاً"<sup>1</sup>.

### ثانياً- أسواق وارجلان وتعاملاتها:

كان للموقع الجغرافي المتميز لمدينة وارجلان تأثير إيجابي على نشاطها الاقتصادي، حيث تقع على الطريق المؤدي إلى بلاد السودان، وكان من الضروري على تجار المغرب الأوسط التوقف في وارجلان كمرحلة أساسية في رحلتهم بين المغرب الأوسط وبلاد السودان.

نتيجة لذلك، كانت أسواقها متنوّعة، وتحتوي على مختلف السلع الصادرة من بلاد المغرب، والواردة من السودان. ورغم أنّ المصادر الجغرافية لا تذكر تفاصيل عن أسواقها، إذ لم يرد في الروايات أيّ تفاصيل يمكن الوقوف من خلالها على ما يتّصل بأسواق وارجلان من حيث طبيعتها وكيفية سيرها، وأهمّ تقاسيمها، بل تكتفي بالإشارة إلى أنّ سكّانها أغنياء بسبب تجارتهم، إلّا أنّه من المؤكّد أنّ أسواقها كانت نشطة ومزدهرة مثل غيرها من الأسواق المجاورة.<sup>2</sup>

ولكونها نقطة وصل بين بلاد السودان ومناطق متعدّدة، تعتبر وارجلان وجهة رئيسية للقوافل القادمة من مختلف الاتجاهات، كما أشار إلى ذلك كلّ من الوزان

<sup>1</sup> الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص109.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص156. غرايسة، المدينة، ص148.

وكربخال<sup>1</sup>. وهذا ما يؤكّد ضرورة وجود مخازن لتخزين السلع قبل تسويقها، حيث من المؤكّد أنّ جزءًا كبيرًا منها قد تمّ تسويقه في وارجلان.<sup>2</sup>

إنّ وارجلان بما امتازت به من وجود "قبائل أغنياء وتجار يتجولون في بلاد السودان"<sup>3</sup> جعلها مركزًا تجاريًا حيويًا في المنطقة. هؤلاء التجار لم يكونوا مجرد وسطاء في نقل البضائع، بل كانوا محرّكا رئيسيا للنشاط التجاري، حيث قاموا بتسهيل تدفق السلع بين شمال إفريقيا ومناطق السودان الغربي.

كان لتجار وارجلان المتجولين في بلاد السودان دور كبير في تعزيز القوّة الاقتصادية والاستقلال المالي لوارجلان.<sup>4</sup> فقد كانوا "يحبون التبر ويضربونهم في بلادهم"<sup>5</sup>، ممّا يبرز أنّ ما يضرب "ببلد واركلان دنانير على نوع المرابطية".<sup>6</sup>

كما يؤكّد صاحب الاستبصار بأنّ ما يضرب "ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية لکنّها نازلة في تحميل كثير، والدنانير الوارجلانية مشهورة".<sup>7</sup> كما أشار موريس لومبارد إلى أنّ الذهب في السودان كان مُخزّنًا في كبرى الحواضر، بما في ذلك وارجلان، حيث كانت تُصكّ النقود الذهبية والفضية والنحاسية.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 136؛ مارمول كربخال: إفريقيا، تر، محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، ط1، 1989م، ج3، ص166.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص149.

<sup>3</sup> المقريري، المصدر السابق، ص73.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص149.

<sup>5</sup> المقريري، المصدر السابق، ص73.

<sup>6</sup> الحميري، المصدر السابق، ص600.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص224.

<sup>8</sup> لومبارد موريس: الإسلام في مجده الأول، تح، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1975م، ص156. أشار العياشي في رحلته إلى وجود دراهم غلب عليها طابع النحاس، حيث استخدمها الناس في بدايات القرن

ويفسّر بعض الباحثين أنّ سبب ضرب العملة في وارجلان إنّما هي ردّة فعل وتعويض عن الخسارة التي مُني بها الإباضية بعد سقوط تيهرت، واضمحلال عملة الرستميين.<sup>1</sup>

وفي كتب السير إشارات كثيرة عن حركة الأموال التي تدلّ على وجود عملة نقدية متداولة.<sup>2</sup> فالشيخ أبو صالح جنون بن يمران ق4/هـ10م الذي قال لأبي نوح اجعل يدك في جيبتي... فإن أصبت شيئاً فخذ... فجعل أبو نوح يده في جيبه، فوجد فيه صرّة، وفكّها فوجد فيها سبعين ديناراً<sup>3</sup>، وذكر الدرجيني أنّها "سبعون ديناراً ذهبياً"<sup>4</sup>. والشيخ أبو صالح نفسه قد استدان زمن كان بأدرج<sup>5</sup> "عشرة دنانير صرفها فيما لا بدّ له منه".<sup>6</sup>

كما أشار صاحب المعلقات إلى رجل اشترى من سوق وارجلان ثلاثة من الجمال بأربعة وعشرين ديناراً... وأدخل واحدة منها السوق فباعه بأربعة وعشرين ديناراً.<sup>7</sup> والشيخ أبو عمّار عبد الكافي (ت قبل 570هـ/1174م)، "كانت تأتيه من بلده في كلّ عام ألف دينار"<sup>8</sup>، حين كان يستكمل تحصيله العلمي بتونس.

=10هـ/16م،. حيث قال: "لأهل هذه البلدة -يعني وارجلان- دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس، حيث تحتوي على

أربعة وعشرين في ربع ريال... ينظر: العياشي: المصدر السابق، ص118.

<sup>1</sup> بحاز، الدولة الرستميّة دراسة في الأوضاع الإقتصادية، ص227.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص150.

<sup>3</sup> أبو زكريا، المصدر السابق، ص236.

<sup>4</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص144.

<sup>5</sup> أدرج: منطقة خارج وارجلان. ينظر الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص373.

<sup>6</sup> نفسه، ص374.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص83-84؛ غرايسة، المدينة، ص150.

<sup>8</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص486.

يذكر صاحب المعلقات بعض المعاملات التجارية التي كانت تُجرى في سوق وارجلان، ممّا يعكس تنوّع النشاط الاقتصادي في تلك الفترة. من بين هذه المعاملات، كان بيع "نوبة الماء"<sup>1</sup> إحدى الصفقات الشائعة، حيث كان الأفراد يبيعون حقوقهم في استخدام المياه لفترات محدّدة، ممّا يدلّ على أهميّة المياه كسلعة ثمينة في البيئة الصحراوية.

كما كانت تجارة الزيت واحدة من الأنشطة التجارية البارزة في السوق،<sup>2</sup> حيث كان يُباع بكمّيات كبيرة نظرا لاستخداماته المتعدّدة في الحياة اليومية، سواء في الطهي أو الإضاءة، أو حتّى في الصناعات التقليدية.

غير أنّ سوق وارجلان لم تخلُ من بعض الممارسات السلبية، مثل الغشّ في البيع. فقد كان بعض التجّار يلجؤون إلى أساليب غير شريفة لتحقيق أرباح سريعة، من ذلك ما روي عن رجل من بني مصعب أنّه باع تمرا وكان مزيجا من تمر قديم وتمر جديد، دون إخبار المشتري بذلك.<sup>3</sup>

على الرغم من قلّة التفاصيل التاريخية المتاحة عن طبيعة أسواق وارجلان وتنظيمها، فإنّ الإشارات المتفرّقة تُبرز أهميّة وارجلان كمركز تجاري حيوي، حيث كانت تُباع سلع متنوّعة مثل التمور والإبل ونوبات الماء والزيت و سلع أخرى، ومع ذلك، لم تخلُ هذه الأسواق من بعض الممارسات السلبية مثل الغشّ.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص 81.

<sup>2</sup> نفسه، ص 82.

<sup>3</sup> نفسه، ص 87.

## 1- المكايل والموازين في وارجلان:

## أ- المكايل:

كان سكان المغرب الأوسط يستخدمون مجموعة من المكايل في حياتهم اليومية ومعاملاتهم التجارية، وقد أشار إليها المؤرخون والرحالة في مؤلفاتهم، مثل "المدّ" و"القفيز" و"الصاع" و"الويبة" و"القلبة" و"الوسق" و"الصحيفة" و"القادوس"<sup>1</sup>. وكان لكل إقليم مكايل خاصة به، تختلف من قطر إلى آخر، وتتفاضل في الزيادة والنقصان.<sup>2</sup>

ومن المؤكّد أنّ لوارجلان مثل غيرها من الأقاليم مكايل خاصة يستخدمها سكانها في تجارتهم وأسواقهم، نذكر منها:

1- المدّ: المدمّ بضم الميم وتشديد الدال، سمّي المدّ مدّا، لأنّه - في الأصل - ملء كفيّ الإنسان، المعتدل الكفّ، بالحبوب، إذا هو مدّهما،<sup>3</sup> ومقداره بأن يمدّ الرجل المعتدل يديه فيملاً كفيّيه طعاما. وكان مدّ النبي صلى الله عليه وسلم رطلين، وقيل: المدّ النبوي أربع حفنات بحفنة الرجل الأوسط، لا بالطويل جدّا، ولا بالقصير جدّا، ليست بمبسوطة الأصابع، ولا بمقبوضتها، وقيل: المدّ مكيال، وهو رطلان، أو رطل وثلاث، أو ملء كفيّ الإنسان المعتدلة إذا ملأهما، وهو ربع الصاع، والجمع أمداد، ومداد، ومددة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص184-189.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن نصر الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نش، السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1365هـ-1946م، ص15.

<sup>3</sup> محمّد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، ص522.

<sup>4</sup> أحمد الشرباصي: المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، دم ط، دط، 1401هـ-1981م، ص413.

ذكر الوسياني في سيره أنّ أبا عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني<sup>1</sup> جاءه عزّابيّ وأخبره بأنّه باع لباسه لرجل بثلاثة عشر مدًّا شعيرًا، فأخبره بأن يأخذها وقت الحصاد.<sup>2</sup>

2-**الثمّنة**: نوع من المكاييل قدره ستّة أمداد يقول البكري: "والثمّنة ستّة أمداد بمدّ أوفى من مدّ النبي صلّى الله عليه وسلّم"<sup>3</sup>.

3-**الصاع**: مكيال أهل المدينة، وهو أربعة أمداد، يذكر فيجمع على أصواع، ويؤنّث فيجمع على أضوع، وكذلك يجمع على صيعان، قدره جمهور العلماء ب: 02.04 كغ.<sup>4</sup>

وجاء ذكر هذين المكيالين عند صاحب المعلّقات في معرض سرده لوصايا جنّون بن يمران لأبنائه التي جاء فيها: "يا بنيّ إن كنتم ممّن له غلّة فعليكم بالقيام بها والتحقّظ عليها حتّى تُحصّل، وإن كنتم ممّن يشتريها فلتبادروا إلى ذلك ما لم تصل في المخازن، وإن كنتم ممّن يطلبها فلتطلبوها ما دامت على الأشجار قبل أن يتحقّظ عليها، فإنّه قد قيل: من يطلب مزرعة خير ممّن يطلب منقلة<sup>5</sup> ومن يطلب منقلة خير ممّن يطلب ثمّنة" ومن يطلب ثمّنة خير ممّن يطلب صاعاً".

<sup>1</sup> أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني: هو مزين بن عبد الله الوسياني (أبو عبد الله) من علماء الطبقة العاشرة (450-500 هـ/1058-1106 م) أحد العلماء الأعلام من بني وسين بوارجلان، عاصر أبا الربيع سليمان بن خلف، وأبا عبد الله محمّد بن بكر (ت: 440 هـ / 1049 م)، واضع نظام العزّابة، كان علماً عالماً، وفاضلاً صالحاً، إليه ترفع المسائل، ويستشفى برأيه متى نزلت النوازل ينظر: بحاز وآخرون، معجم أعلام الاباضية، ص 414.

<sup>2</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 377.

<sup>3</sup> البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 199.

<sup>4</sup> الشرباصي، المرجع السابق، ص 259؛ علي جمعة محمّد: المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط 2، 1421 هـ/2001 م، ص 37.

<sup>5</sup> المنقلة: كلّ ما تحمله الدابّة وتنتقل به. ينظر مجهول، المعلّقات، ص 53، تعليق رقم 04.

الثمنة والصاع من المكايل المشهورة عند أهل وارجلان، حتّى إنهم أصبحوا يطلقونها كأمثال، وهو ما حكاه شيخ وارجلان جنّون بن يمریان في معرض وصيته لأبنائه، وذلك لشهرتهما عندهم.

**4-الوسق:** بفتح الواو أو كسرهما ستّون صاعا، والصاع أربعة أمداد، ومقداره 2.04 كغ<sup>1</sup> كما مرّ معنا سابقا، ما يعني أنّ الوسق مقداره ما يعادل 122.4 كغ.<sup>2</sup>

الوسق من المكايل المعروفة والمستعملة في مجتمع وارجلان إذ جاء ذكره في رواية جنّون بن يمریان، إذ كتب إليه ابن عمّ له فقال: "يا ابن عمّي، دع عنك أرض الفقر وإيتنا، فإنّ قبلنا أرضا مفرش كساءة، تعبّئ الجمل وسقه حبّا"، فردّ إليه وقال: "يا ابن عمّي - بادرنی بمن معك فإن قبلنا أرضا قعدة رجل تعبّئ الجمل وسقه عسلا"<sup>3</sup>.

ونظراً لعدم توفّر معلومات من المصادر حول بقيّة المكايل المستخدمة في المدينة، نعتقد أنّها اعتمدت على المكايل الشائعة في بلاد المغرب الأوسط، ومن بينها:

**5-الوَيْبَة:** بفتح الواو وسكون الياء وفتح الباء، وجمعها الويبيات<sup>4</sup>، وقدّرت باثنين وعشرين أو أربع وعشرين مدّا بالمدّ النبوي.<sup>5</sup>

**6-القفيز:** بفتح القاف وكسر الفاء ممدودة، جمعها أقفزة، ومقداره اثنا عشر صاعا، أي 48 مدّا.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص 37.

<sup>2</sup> نفسه، ص 41.

<sup>3</sup> مجهول، المعلقات، ص 55.

<sup>4</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص 630.

<sup>5</sup> الشرياصي، المرجع السابق، ص 487.

<sup>6</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص 463-464.

## ب-الموازين:

بلا شكّ استخدم سكّان مدينة وارجلان موازين لوزن سلعهم المتنوّعة، ورغم أنّ هذه الموازين كانت تختلف من منطقة لأخرى، نتيجة لتفاوت أسعار السلع، ومع ذلك، لم تقدّم المصادر معلومات كافية عن موازين وارجلان، لكن لا يمكننا استبعاد احتمال أنّهم استخدموا نفس الموازين الشائعة في المغرب الأوسط، واعتمدوا على نفس الموازين المتداولة مثل "القنطار" و"الأوقية" و"الرطل" و"الدرهم"،<sup>1</sup>

**1-القنطار:** بكسر القاف وسكون النون وفتح الطاء ممدودة وجمعه القناطير،<sup>2</sup> والقنطار مائة رطل، والقنطار 1200 أوقية، وقيل: إنّ القنطار 4000 دينار،<sup>3</sup> ومقداره عند جمهور العلماء هو 142.8 كيلو غرام.<sup>4</sup>

**2-الأوقية:** بضم الهمزة وكسر القاف وتشديد الياء، جمعها الأواقي،<sup>5</sup> وقد أجمع العلماء أنّ مقدارها 40 درهما.<sup>6</sup>

**3- الرّطل:** بفتح الراء وكسرهما، والكسر أفصح، وسكون الطاء، وجمعه أرطال، واختلفت مقداره،<sup>7</sup> وقيل اثنا عشرة أوقية،<sup>8</sup> ومقداره عند الجمهور 352.5 غ.<sup>9</sup>

<sup>1</sup> مزهودي، المرجع السابق، 186.

<sup>2</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص468.

<sup>3</sup> الشرباصي، المرجع السابق، ص370.

<sup>4</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص14.

<sup>5</sup> الشرباصي، المرجع السابق، ص40؛ محمّد عمارة، المرجع السابق، ص75.

<sup>6</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص10.

<sup>7</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص250.

<sup>8</sup> الشرباصي، المرجع السابق، ص195.

<sup>9</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص18.

- 4-الدِّرهم: بكسر الدال مشددة وسكون الراء وفتح الهاء وكسرهما، والجمع: دراهم، ودرهيم، عملة فضية، كان وزنها على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الأصح - سبعة أعشار المثقال،<sup>1</sup> ومقداره عند الجمهور 2.975 غ.<sup>2</sup>
- 5-الدينار: الدينار شرعا اسم لمثقال من ذلك الذهب المضروب،<sup>3</sup> الدينار بالاتفاق 4.25 غ.<sup>4</sup>

من الموازين التي اعتمدها الاباضية الخروبة، فالوسيانى في سيره يذكر أن تاجراً يدعى "أبا معروف ويدرن بن جواد" كان دأبه إذا وزن للناس أوفى ممّا له خروبة، وإن اشترى سلعة أنقص خروبة. ولمّا حضرته الوفاة أوصى بعشرين ديناراً لغلطة الميزان.<sup>5</sup>

والخروبة جمعها الخرايب، وهي القطعة النقدية الصغيرة، قيمتها جزء من عشرين من الدينار، كانت تضرب بمصر في العصر الفاطمي، ولقد تفاوتت قيمتها واختلف معدنها زماناً ومكاناً.<sup>6</sup>

### ثالثاً-صادرات وواردات وارجلان:

#### 1 - الصادرات:

اشتغل سگان وارجلان بشكل رئيسي بالوساطة التجارية، حيث لم تكن مدينتهم تشتهر بالزراعة المتنوعة كما هو الحال في المدن الشمالية. وبدلاً من ذلك اقتصر

<sup>1</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص214.

<sup>2</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص09.

<sup>3</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص225.

<sup>4</sup> محمّد جمعة، المرجع السابق، ص09.

<sup>5</sup> الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص243.

<sup>6</sup> محمّد عمارة، المرجع السابق، ص191.

نشاطهم الزراعي على إنتاج التمور، التي تُعتبر من أجود أنواع التمور في المنطقة، بالإضافة إلى تربية الأغنام والإبل. هذه المنتجات كانت تشكّل العمود الفقري لصادرات وارجلان إلى مدن بلاد المغرب وبلاد السودان، حيث كانت تُقدّم كسلع أساسية في التبادل التجاري.

ومع ذلك، لم يقتصر نشاط التجار الإباضية في وارجلان على هذه المنتجات المحليّة فقط، بل كانوا يقومون بدور الوسيط التجاري النشط، حيث كانوا يجوبون بلاد المغرب طولا وعرضا لشراء أنواع مختلفة من السلع التي كانت نادرة أو غير متوفّرة في بلاد السودان، مثل المنسوجات والأدوات المعدنية والأسلحة، ثمّ يقومون بنقل هذه البضائع إلى أسواق السودان، حيث يتمّ تبادلها مقابل سلع ثمينة مثل الذهب والعاج والعبيد.<sup>1</sup>

وكانت الأسواق الموسمية في بلاد المغرب تؤدّي دورًا محوريًا في هذه العملية التجارية، حيث كانت تتركّز في المدن الكبرى، وتجذب أنواعًا متعدّدة من البضائع، بالإضافة إلى وفود التجار والصنّاع والمزارعين من مختلف المناطق.

إلى جانب هذه الأسواق الموسمية، كانت هناك الأسواق الأسبوعية التي كان يزورها الفلاحون لعرض منتجاتهم الزراعية، وكذلك الصنّاع لعرض مصنوعاتهم اليدوية. ومن خلال دراسة الطرق التجارية التي كانت تربط وارجلان بمدن المغرب الكبرى، يتّضح أنّ التجار الإباضية كانوا يمتلكون شبكة تجارية واسعة ومتنوّعة، وكانوا يصلون إلى مناطق بعيدة، ممّا سمح لهم بتوسيع نطاق تجارتهم وجعل وارجلان مركزا تجاريا مهمّا يربط بين الشمال والجنوب.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 157.

<sup>2</sup> نفسه.

لقد شكّلت وارجلان المنفذ الرئيسي والجسر الحيوي بين منطقة التّل في المغرب الأوسط وبلاد السودان، ممّا منحها مكانة استراتيجية واقتصادية فريدة، هذا الموقع المتميّز جعلها نقطة عبور أساسية للقوافل التجارية<sup>1</sup> التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب، ممّا ساهم في زيادة أهميتها كمركز تجاري وثقافي.<sup>2</sup>

بفضل هذا الدور المحوري، استقطبت وارجلان العديد من التجّار المتقلّين الذين كانوا يتوقّفون فيها للراحة وإعادة تجهيز قوافلهم قبل مواصلة رحلتهم. وقد أشار الحسن الوزّان إلى أنّ من بين سكّانها عدد كبير من التجّار الأجانب الغرباء لاسيما من قسنطينة وتونس.<sup>3</sup> وقد أدّى هذا الاستقرار النسبي للتجّار إلى ازدهار المدينة اقتصاديا واجتماعيا، حيث أصبحت سوقاً نشطاً لتبادل السلع والبضائع بين المناطق المختلفة.

ذكر ابن خلدون "أنّ هذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسكنها التجّار الداخلون لها بالبضائع"،<sup>4</sup> وهو ما

<sup>1</sup> القوافل التجارية: كانت القوافل التجارية تخضع لنظام دقيق ومنظم في سيرها، ممّا يعكس الخبرة الكبيرة والتنظيم العالي الذي تمتع به تجار تلك الفترة، وكانت إدارة هذه القوافل تُسلم إلى شخصية محورية تُعرف باسم "الخبير" أو "الدليل"، وهو شخص يتمتع بمعرفة عميقة بطرق الصحراء ومسالكها، كان الدليل مسؤولاً عن تحديد موعد انطلاق القوافل، والذي كان يُختار بعناية فائقة ليتناسب مع الظروف المناخية ومواسم هبوب الرياح أو العواصف الرملية، كما كان عليه اختيار المسار الأمثل الذي يضمن سلامة القافلة ويقلل من المخاطر، مع مراعاة توافر مصادر المياه ونقاط الاستراحة على طول الطريق.

وكانت القوافل تعتمد أيضاً على نظام اتصال متطور نسبياً لتلك الفترة، حيث كانت تُستخدم الإشارات والدلائل الطبيعية لتحديد الاتجاهات وتجنب المخاطر، كما كان التجار يعتمدون على شبكة من العلاقات مع القبائل المحلية لتأمين الحماية والدعم أثناء الرحلة. ينظر: جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص211-213؛ قرقرش، المرجع السابق، ص231؛ حاج عيسى، المرجع السابق، ص84-89.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص152.

<sup>3</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص70.

جعلها مركزا لشبكة طرق عنكبوتية، فمنها تنطلق قوافل نحو الصحراء الكبرى.<sup>1</sup> ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الحركة على الوضع العام، لاسيما في جوانبه الاجتماعية والحضارية، فقد ساهمت في تحويل المنطقة من الطابع القروي إلى الطابع المدني، مما أدى إلى انتقال السكان من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضارة والاستقرار.<sup>2</sup>

تشير المصادر الإباضية إلى قصة تاجر من وارجلان يُدعى "تاملي الوسياني"<sup>3</sup> الذي دخل مدينة القيروان ومعه غرارة من التمر. وقد لاحظ أن الناس كانوا متشوقين لهذا المنتج الصحراوي، فقام ببيعه بالعدد، وحقّق ربحا كبيرا. بعد ذلك، غادر القيروان متّجها إلى تادمكة، فكان ماله على النماء والزيادة.<sup>4</sup>

من خلال هذه القصة، يمكن استنتاج أن تجار وارجلان كانوا يتمتّعون بحنكة تجارية عالية، حيث استطاعوا استغلال الفرص لتحقيق أرباح كبيرة من تجارة التمور، التي كانت سلعة مرغوبة في المناطق الحضرية مثل القيروان.

كما تُظهر القصة أن تجار وارجلان لم يكونوا يعتمدون بشكل كلي على تجارة التمور، بل كانوا ينوعون نشاطهم التجاري ويتحرّكون بين المدن والأسواق المختلفة لتعزيز أرباحهم وتوسيع نطاق تجارتهم،<sup>5</sup> فكانوا يجلبون معهم في رحلة العودة منتجات مثل التين والعنب والزبيب والجلود، والثياب التي كانت تُحمّل من مدن إفريقية والمغرب الأوسط،

<sup>1</sup> Jean Lethielleux, Op , cit,p168.

<sup>2</sup> محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص289؛ غرايسة، المدينة، ص152.

<sup>3</sup> تاملي الوسياني: ورد في المصادر الإباضية بأبي تملي و تملي عالم سخي من علماء القرن 04 هـ/10م، من بني ويسين من أهل القصور في 6 بلاد الجريد بتونس، عاصر أبا نوح سعيد بن زنگيل وأخذ العلم عن أبي خزر يغلا بن زلتاف، كان فقيرا في أول عمره، ثم بسط الله عليه الرزق لما سافر الى تادمكة. ينظر بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص105.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص101-103، الشماخي، المصدر السابق، ص81.

<sup>5</sup> يحيوي، المرجع السابق، ص102.

لتباع من جديد في أسواق بلاد السودان<sup>1</sup>، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "...فواكه بلاد السودان كلّها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"<sup>2</sup>.

ومما كان يجلبه التجار كذلك الحنطة، إذ تعتبر وارجلان واحدة من المناطق الرئيسية التي كانت تُصدّر الحنطة إلى السودان الغربي، وخاصّة إلى بلاد زغاوة.<sup>3</sup> يشير الإدريسي إلى أنّ سگان زغاوة كانوا يعتمدون بشكل كبير على زراعة الذرة، إلا أنّهم كانوا يستوردون الحنطة من وارجلان، لتلبية احتياجاتهم الغذائية، ويقول في هذا ما نصّه: "وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة، وربّما جلبت الحنطة إليهم من بلاد وارقلان وغيرها."<sup>4</sup>

كما كان تجار وارجلان يتاجرون بالإبل، التي كانت أسعارها رخيصة،<sup>5</sup> ويذكر صاحب المعلقات أنّ سعر الجمل بلغ ثمانية دنانير، وبيع في بعض الأوقات بأربعة وعشرين ديناراً.<sup>6</sup>

وكانت تادمكة واحدة من أشهر الأسواق لبيع الجمال، حيث كانت تُعرف بأنّها سوق رائجة لهذه السلعة، فقد ذكر الدرجيني أنّ الإبل كانت تُباع بكثرة في تادمكة، لدرجة أنّه لم يُسمع أبداً عن جمل عاد من تادمكة إلى وارجلان<sup>7</sup>، ممّا يدلّ على الطلب الكبير على الإبل في تلك السوق، ونجاح التجار في بيعها بسرعة.

<sup>1</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 157

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 70.

<sup>3</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 159.

<sup>4</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 111.

<sup>5</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 162.

<sup>6</sup> مؤلف مجهول، المعلقات، ص 83-84.

<sup>7</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ص 375.

وعليه، فإنّ تجارة الإبل تعتبر من الركائز الاقتصادية المهمة لتجّار وارجلان، الذين استفادوا من الطلب المتزايد على هذه السلعة في الأسواق مثل تادمكة. هذا النشاط التجاري يعكس مرّة أخرى براعة تجّار وارجلان في استغلال الفرص وتنويع مصادر دخلهم، ممّا ساهم في تعزيز مكانة وارجلان، التي اعتبرت واحدة من أهمّ المراكز التجارية في الصحراء الكبرى.

ومن المواد المهمة التي كانت تصدّر إلى بلاد السودان بكمّيات كبيرة هي مادّة الملح. فقد كان الملح ذا أهمّية كبيرة في بلاد السودان، وأوضح ذلك القزويني بقوله: "والمح بأرض السودان عزيز جداً، والتجّار يجلبونه من تغازة إلى سائر بلادهم كلّ وقر بمائة دينار"<sup>1</sup>.

وكانت قيمته تعادل قيمة الذهب، حيث كان يُستخدم في بعض الأحيان كوسيلة للتبادل التجاري بدلاً من العملات النقدية، فقد أشار ابن حوقل إلى ذلك بقوله: "وبالمح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضّة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به."<sup>2</sup> وأمّا أسعاره، فقد أشار ابن حوقل إلى أنّ سعر الحمل من الملح في داوخل السودان وأطرافه يتراوح بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكرياء بن محمّد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، دط، 1380هـ/1960م، ص26.

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دط، 1417هـ، ج4، ص241.

<sup>3</sup> ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص101.

كلّ هذا يدلّ على أنّ الملح كان أهمّ بضاعة في بلاد السودان، فالسودانيون يستعملون هذه المادّة بكثرة، حيث يُستخدم في تمليح الأسماك التي تُصطاد من نهر النيجر والمحيط، ويشكّل جزءاً أساسياً من حياتهم اليومية على مدار السنة.<sup>1</sup>

من المحتمل أنّ وارجلان كان بها أماكن لتجميع الملح وبيعه أو تصديره إلى بلاد السودان، يستفاد ذلك من خلال فتوى الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني التي صدرت فيمن سرق الملح من وارجلان وهو في السودان أنّ عليه بردّ قيمته، أو إرجاعه إلى المكان الذي أخذه منه.<sup>2</sup>

## 2- الواردات:

تختلف المواد التي كان تجار وارجلان يستوردونها من مدن المغرب الإسلامي ومن السودان، حيث اشتملت هذه الواردات على مجموعة متنوّعة من السلع مثل الجلود، وبيض النعام، والأصواف، والنعال، والخناجر، وغيرها من المواد، إلّا أنّ هناك مادتين كانتا تحتلان مكانة خاصّة، ولا تكاد تخلو منهما أيّ قافلة قادمة من بلاد السودان، وهما الذهب والعبيد.<sup>3</sup>

### أ- الذهب:

منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، مثلت بلاد السودان مصدراً مهماً للذهب، فقد أسفرت الحملات الأولى التي توجّهت إلى بلاد السودان عن اكتشاف كمّيات كبيرة من

<sup>1</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص 93

<sup>2</sup> أبو يعقوب، الدليل والبرهان، ج 3، ص 103؛ بوعصبانة، المرجع السابق، ص 155.

<sup>3</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص 93

الذهب.<sup>1</sup> ومن ناحية أخرى، ارتبط اقتصاد مدينة وارجلان بشكل كبير بنشاط تجارة الذهب، مما ساهم في خلق حالة من الرفاه الاجتماعي وجعلها مدينة مزدهرة،<sup>2</sup> "فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان.. فيُخرجون منها التبر"<sup>3</sup>.

شكّل ذهب السودان المورد الرئيسي الذي كان يمدّ شواطئ البحر المتوسط بهذه السلعة الثمينة، حيث كان يتمّ استخراجها من مناجم السودان الغربي بواسطة السكّان المحليين (السود)، ثم يُنقل عبر طرق التجارة الصحراوية الطويلة والمحفوفة بالمخاطر حتّى يصل إلى محطات القوافل الكبرى على أطراف الصحراء، مثل وارجلان وسجلماسة.<sup>4</sup>

أظهرت الدراسات الحديثة،<sup>5</sup> وخاصة الجيولوجية منها مواطن الذهب في منطقة السودان الغربي، وبيّنت الدراسات أنّ التكوين الجيولوجي للمنطقة يحتوي أنهاراً قديمة، لا سيما في أجزاء كبيرة من السودان وغينيا الغربية. وتحديداً في المناطق الواقعة في أعالي السنغال، التي كانت تشكّل مجاريها المائية في العصور الوسطى ما كان يعرف بجزيرة الذهب.

<sup>1</sup> أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دط، 1415هـ، ص245.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص169.

<sup>3</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص222.

<sup>4</sup> لومبارد، المرجع السابق، ص164.

<sup>5</sup> للنظر في هذه الدراسات يرجى الرجوع إلى: بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر، الهادي أبو لقمة و محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988م، ص209-226.

وكانت هذه الجزيرة تضمّ المناطق المعروفة حالياً بيمبوك أو الونقارة، وهي التي تقع بين "Le Bafing" و "Falémé" وهما من أهمّ روافد نهر السنغال، أمّا المنطقة الثانية وهي التي تدعى بوري، فتقع في أعالي نهر النيجر.<sup>1</sup>

سعى الرحّالة العرب إلى تحديد أماكن وجود الذهب، لكنّهم انجروا وراء الروايات التي كان يرويها لهم الأفارقة، والتي كانت تمثّل لغزاً آخر أضفى على معدن الذهب طابع السرية التامة، ووفقاً لآراء الباحثين في هذا الموضوع، فإنّ الأماكن التي تمّت الإشارة إليها على أنّها مصادر للذهب لم تكن سوى قصص وأساطير من خيال تلك القبائل، التي أرادت إبعاد العرب والبربر عن المواقع الحقيقية للذهب، خوفاً من أن يتمكنوا من الاستحواذ عليه. لذا، كان الأفارقة حريصين على عدم اقتراب أيّ أجنبي من مصادر ثروتهم.<sup>2</sup>

من بين الرحّالة والجغرافيين العرب الذين ذكروا بعض مواقع الذهب، وأبرزهم البكري الذي أشار بدقّة إلى تلك المواقع. ومع ذلك، تعرّضت كتاباته للانتقاد من قبل العديد من الدراسات الغربية الحديثة، التي اكتشفت أنّ البكري وغيرهم كانوا بعيدين عن مواقع الذهب الحقيقية، ولم يكن لديهم معرفة كافية بطرق استغلاله، ربّما كان هذا هو السبب وراء اكتفائه بذكر تلك المناطق دون تقديم تفاصيل دقيقة حول ما إذا كانت مناجم

<sup>1</sup> GIRI Jaques: **Histoire économique du Sahel**, Paris, Karthala, 1994, p87-89.

بوفيل، المرجع السابق، ص 211.

<sup>2</sup>.GIRI (J) , Op , cit, p87

جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين الشرب الإسلامي و السودان العربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري 9-11م، مذكرة شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إش، فخار ابراهيم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000م، ص 99.

للذهب أو مستودعات تُعاد تسويقه منها.<sup>1</sup> وأهم ما ذكره البكري قوله: "إنَّ أفضل الذهب ما كان بمدينة غياروا"<sup>2</sup> ويضيف قائلاً: "من مدينة أنبارة مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة... وحواليها من معادن التبر كثير، وهي أكثر بلاد السودان ذهباً".<sup>3</sup>

وعلى الرغم من أنَّ فترة الإدريسي تختلف عن فترة البكري، إلاَّ أنَّه يشير إلى منطقة تُعتبر أكثر أهمّية من غيرها، والتي كانت موضوعاً للعديد من الدراسات الغربية والإفريقية، وهي منطقة و"نقارة"، وفي هذا السياق يقول: "وأرض ونقارة فيها بلاد معمورة ومعامل مشهورة وأهلها أغنياء والتبر عندهم وبأيديهم كثير".<sup>4</sup>

كما يشير الإدريسي إلى أنَّ تجّار وارجلان يتوغّلون في بلاد السودان حتّى يصلوا "ونقارة" وهي بلاد الذهب<sup>5</sup>، وذلك حين يصف وارجلان بقوله: "مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلادهم"<sup>6</sup>. وفي هذا إشارة إلى وفرة الذهب في وارجلان، تجلّى ذلك بصكّ النقود باسم مدينهم، وفي هذا يقول صاحب الاستبصار: "ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية... والدنانير الوارجلانية مشهورة".<sup>7</sup>

وبفضل القبائل المياسير والتجار الأغنياء برزت الأهمّية التجارية لوارجلان، حيث أصبحت محطة رئيسية استراتيجية تتحكّم بشكل قوي وفعال في البوابة الشرقية لتجارة

<sup>1</sup> بن موسى، المرجع السابق، ص 99.

<sup>2</sup> البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 874.

<sup>3</sup> نفسه، ج 1، ص 877.

<sup>4</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 25.

<sup>5</sup> نفسه، ج 1، ص 24.

<sup>6</sup> نفسه، ج 1، ص 222.

<sup>7</sup> مؤلف مجهول: الإستبصار، ص 224.

ذهب السودان، فقد كانت وارجلان مثلها مثل سلجاسة في الغرب، نقطة تجميع رئيسية لجزء كبير من ذهب السودان قبل أن يتم تداوله سواء لاستخدامه كأساس لضرب العملة المحليّة، ممّا يعكس قوّة اقتصادها واستقلالها المالي، في حين كانت تُوجّه الأجزاء الأخرى من الذهب إلى الأسواق الخارجية.<sup>1</sup>

كان السكّان المحليّون هم من يقومون باستخراج هذا المعدن وتحضيره<sup>2</sup>، ثمّ يقايضونه مع القوافل مقابل البضائع التي يحتاجونها، وقد تصل القافلة إلى بلاد السودان محمّلة بعشرات الجمال المليئة بالبضائع، لكنّها لا تعود إلّا بعدد قليل منها، محمّلة بما هو أغلى وأثمن، مثل الذهب والمعادن الثمينة. وعندما يفيض نهر النيجر، يتوجّه السود إلى جزيرة "ونقارة" لجمع الذهب، حيث تكون معظم المبيعات لتجار وارجلان وتجار المغرب الأقصى.<sup>3</sup>

كانت مدينة كوكو "غاو"، التي تقع على بعد تسعة أيّام من تادمكة إلى الجنوب، مدينة مزدهرة بأسواقها ومتاجرها، وكانت مركزا مهماً للتجار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كما كانت تُعتبر واحدة من أبرز مراكز تجارة الذهب الإفريقي خلال العصور

<sup>1</sup> غرايسة، المدينة، ص169.

<sup>2</sup> يتم استخراج الذهب بطريقتين رئيسيتين. الأولى تتعلق بالحصول عليه من ضفاف الأنهار، حيث اعتاد الأفارقة على ذلك، وتعلموا من خلال التجربة أن الذهب الأكثر سهولة في الاستخراج هو الذي يكون ممزوجاً ببعض الصخور والترسبات القديمة، والمغطاة بالترسبات الحديثة التي تجري في الأنهار. أما الطريقة الثانية فتتمثل في الشكل الطبيعي للذهب، والذي يوجد في العروق المعدنية، حيث تكثر هذه العروق في منطقتي جالام وبامبوك. وتعتبر هذه التقنية قديمة لدى الأفارقة، وتستخدم وسائل بسيطة على مدار العام. ينظر:

LACOURT (Jacques Gayet), *L'histoire du commerce*, éditions Spid, Paris, T3, 1903.p56.

بن موسى، المرجع السابق، ص106.

<sup>3</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص168.94, cit, Op, Brigol

الإسلامية المزدهرة، وقد كان طريق وارجلان، تادمكة، كوكو من أكثر الطرق التجارية نشاطاً في تجارة الذهب والسلع القادمة من بلاد السودان لفترة طويلة.<sup>1</sup>

تشير بعض المصادر الإباضية، مثل كتب السير والطبقات، إلى أسماء العديد من التجار من وارجلان وغيرها من مدن الجريد وأريغ وجبل نفوسة، الذين كان لهم دور فعال في الوساطة التجارية بين بلاد السودان والعالم الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك، كان لهم نشاط دعوي ملحوظ في نشر الإسلام في تلك المناطق،<sup>2</sup> من ذلك ما رواه الوسياني في سيره أنّ أبا محمد عبد الله بن محمد السدراتي<sup>3</sup> خال أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي<sup>4</sup> قال: سافر خالي إلى القبلة، فجعل تجارته صامتا واشترى جملاً لركوبه".<sup>5</sup>

والمقصود بالقبلة هو بلاد السودان، لكن لم يتمّ تحديدها بدقة، وبما أنّ التاجر أبو محمد عبد الله محمد السدراتي عاش في سدراتة، فمن المحتمل أن تكون تادمكت هي المقصودة بالقبلة في هذه الرواية،<sup>6</sup> والصامت في هذه الرواية هو الذهب.

<sup>1</sup> قرقرش، المرجع السابق، ص 227

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي: أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي (ق: 5 هـ / 11م) كان عالماً متكلماً، وكان يسافر إلى بلاد السودان للدعوة والتجارة. عرف عنه الحزم في دينه ودنياه. ينظر بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 271.

<sup>4</sup> أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي: هو أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي من علماء القرن 6 هـ / 12م عالم جليل من المشايخ الأخيار ببلاد أريغ، حافظ للأخبار، عليه العمدة في رواية تاريخ الإباضية، له كلام كثير في المواعظ والأمثال والوصايا ومراسلات للعلماء في الفتاوى والأحكام تنتقل بين مواطن الإباضية الزاب، وورجلان وغيرها (ت 528هـ / 1133م). ينظر بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 272.

<sup>5</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص 446-447.

<sup>6</sup> مباركية، المرجع السابق، ص 54.

جاء في لسان العرب: "الصامِتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْجَوْهَرُ، وَالنَّاطِقُ الْحَيَوَانُ مِنَ الرَّقِيقِ وَغَيْرِهِ."<sup>1</sup>

تتضمّن الرواية أنّ تجّار وارجلان في النصف الأول من القرن الخامس للهجري الحادي عشر ميلادي، كانوا يقومون بجلب الذهب من السودان الأوسط عبر قوافل تجارية ضخمة، وهي سلع استراتيجية كان لها دور كبير في تنمية اقتصاديات دول المغرب.<sup>2</sup> إنّ الأرباح الكبيرة التي كانت تحقّقها القوافل المتاجرة بالذهب تفسّر لنا اهتمام عدد كبير من التجّار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بهذا النوع من التجارة والمشاركة فيه، وهذا يعدّ سببا موضوعيا يدفع تجّار القوافل إلى المخاطرة برحلات طويلة عبر الصحاري، تستغرق ما لا يقلّ عن ستّة أشهر للذهاب والعودة.<sup>3</sup>

#### ب- العبيد:

على الرغم من الأهميّة الكبيرة لذهب السودان الغربي، فإنّه لا يمكن اعتباره الوسيلة الوحيدة التي ربطت العلاقات التجارية بين وارجلان وأقاليم السودان الغربي، فقد صاحب الذهب العديد من السلع الأخرى من أهمّها العبيد. والتي عزّزت من قيمة هذا التبادل وجعلته يتوسّع ليصبح جزءا من شبكة التجارة العالمية التي سادت خلال العصور الوسطى.

الرقّ معروف منذ عصور التاريخ القديمة، حيث كانت شعوب العالم، بما في ذلك الحضارات القديمة مثل المصريين والبابليين والفرس والهنود واليونانيين والرومان والعرب،

<sup>1</sup> محمّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، تع، لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج10، ص354.

<sup>2</sup> مباركية، المرجع السابق، ص54.

<sup>3</sup> حاج عيسى، المرجع السابق، ص94.

تعتمد على الرقيق وتستخدمه في الأعمال الشاقّة. وقد عُوْمِل الرقيق بقسوة وظلم. كما أنّ جميع الديانات القديمة قد أقرّت هذه الممارسة.<sup>1</sup>

لم تكن وضعية عبيد إفريقيا تختلف عن تلك التي عاشتها الشعوب القديمة، حيث كانت تُعتبر جزءًا من الحياة البشرية الناتجة عن الحروب والغزوات، أو نتيجة لسلطة الأقوياء على الضعفاء، أو بدافع اقتصادي وسياسي واجتماعي، لقد كان الفقر المدقع يدفع بعض العائلات إلى بيع أبنائها وبناتها للقبائل القريبة والبعيدة، كما كانت بعض الحروب تؤدّي إلى أسر جماعات كبيرة تُباع بعد ذلك.<sup>2</sup>

مثّلت بلاد السودان أهمّ مصدر لهذه التجارة، وأهمّ فئاته "هم التكرور السنغاليون، والصونكي الغانيون والصونغي من جوا، والساو من الكانم"<sup>3</sup>. وقد تتوّعت مصطلحات التسميات التي أطلقت عليهم، فقد سمّاهم بن حاقان "الزنج"، وأطلق عليهم أبو حامد الغرناطي الأندلسي اسم "بني قوقو"، ولقّبهم ابن القطان باسم "جناوة"، وهو نفس الاسم

<sup>1</sup> أبوزيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ط3، 1964م، ص242.

منذ بدايته سعى الإسلام إلى تحرير الرقيق والقضاء على هذه الممارسة بشكل تدريجي. فقد جاءت تعاليمه لتحقيق العدل والمساواة بين جميع البشر، بغض النظر عن أعراقهم أو أوضاعهم الاجتماعية، وقد حتّت على معاملة الرقيق بإنسانية، ودعى إلى تحريرهم كعمل من أعمال البر والتقوى، كما جعل تحرير الرقيق كفارة للعديد من الذنوب والخطايا، مثل الإفطار عمدًا في رمضان أو الحنث في اليمين، ممّا شجع المسلمين على الإكثار من عتق الرقيق. يتضح من ذلك أن الإسلام قدّر الإنسان ورفع من مكانته وكرامته، مصداقًا لقوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» (الإسراء 70)، وقد أولى الحرية اهتمامًا لم تحظّ به أية أمة أو دين من الأديان السماوية. ينظر: علي عبد الواحد واني: الأسرة المجتمع، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دط، 1945م، ص92 وما بعدها؛ شلبي، المرجع السابق، ص245-247.

<sup>2</sup> بن موسى، المرجع السابق، ص173.

<sup>3</sup> لومبارد، المرجع السابق، ص299.

الذي استعمله ياقوت الحموي. كما أطلقت عليهم بعض المصادر اسم "المماليك"، لكن معظم المصادر الأخرى تطلق عليهم اسم العبيد أو الرقيق.<sup>1</sup>

كان معظم العبيد المستخدم في منطقة المغرب بما ذلك وارجلان من أصل سوداني (من السود)، يشير إلى ذلك الإصطخري قائلاً: "والذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان"<sup>2</sup>. وبما أنّ قوافل التجار قد وصلت بلاد السودان، فقد عادت محمّلة بالعبيد السود.

ورغم ما كان يلاقيه التجار من عناء في جلبهم، إلا أنّ ذلك لم يثبهم عن المضي في تجارتهم. ومما يروى في هذا الشأن أنّ أبا محمّد عبد الله بن محمّد السدراتي خال أبي محمّد عبد الله بن محمّد اللواتي العاصمي قال: سافر خالي إلى القبلة، فجعل تجارته صامتا، واشترى جملا لركوبه، ومعه رجل حضري، ف جاء الحضري إلى خالي فقال له: أيّ شيء أجعل تجارتي؟ فقال له: لا أدري، فجعل الحضري تجارته رقيقا، ففقلوا إلى أهلهم، فكان أبو محمّد لا تعب عليه ولا نصب، إذا ارتحل الناس ركب جملة، وإذا نزل ضرب خيمته ويستريح، وكان الحضري يتعب وينصب في الخدم والرقيق هزلت هذه، وجاعت هذه ومرضت هذه، وهربت هذه، وضرب العرق المدمر هذه، فإذا نزلوا اشتغلوا في حوائجهم والحضري متعب مغتمّ وينظر في خلال ذلك إلى أبي محمّد قاعدا في الظل وما له صرّة في سرّه لا تعب معه، فيقول الحضري: سبحان الذي أراح عبد الله من هذا

<sup>1</sup> قرقرش، المرجع السابق، ص 233.

<sup>2</sup> أبو اسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي الاصطخري: المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، ص 37.

البلاء"،<sup>1</sup> وما كان هذا الحضري ليتحمّل كلّ هذا العناء لولا ما تدرّه عليه هذه التجارة من أرباح.<sup>2</sup>

ومن الإشارات التي تشير إلى وجود العبيد في وارجلان ما نقله الدرجيني في طبقاته: "وغارت غارة لبعض العرب على وارجلان فساقوا عدّة من الإماماء فلحقهم الشيخ ماكسن... فسألهم بالله أن يردّوا عليه ما أخذوا من أموال المسلمين، فردّوا ما أخذوه."<sup>3</sup>

وفي هذا النصّ إشارة على أنّ تجارة العبيد في وارجلان لم تكن مقصورة على الذكور، بل تعدّت إلى الإناث، فقد ذكر البكري أنّ في أودغشت "سودانيات طبّاخات محسنات تباع الواحدة منهنّ بمائة مثقال وأكثر، تحسن عمل الأطعمة الطيبة... وأصناف الحلوات، وغير ذلك".<sup>4</sup>

كانت وارجلان من أبرز المراكز التي تورد العبيد، حيث كانت أسعارهم منخفضة في بلاد السودان،<sup>5</sup> خصوصا عبيد قبائل "لملم"، ممّا حفّز التجّار على استيراد أعداد كبيرة منهم،<sup>6</sup> يقول الحميري: "وأهل بريسي وسلى وتكرور وغانة يغيرون في بلاد "لملم" ويسبون أهلها ويسوقونهم إلى بلادهم، فيبيعونهم إلى التجّار الواصلين إليهم، فيخرجهم التجّار إلى سائر الأمصار".<sup>7</sup>

<sup>1</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص446-447.

<sup>2</sup> جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص227.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص434.

<sup>4</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص849.

<sup>5</sup> أشار جودت عبد الكريم نقلا عن لويز R. Lopez بأنّ قيمة العبد لم تصل إلى قيمة حصان، وأنّ التجار لم يكونوا يدفعون ثمنه نقدًا، بل كانوا يقومون بمبادلتته بالسلع التي جلبوها إلى بلاد السودان. ينظر جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص227.

<sup>6</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص164.

<sup>7</sup> الحميري، المصدر السابق، ص427.

ولم يكن هدف التجار إغراق أسواق النخاسة بالعبيد من أجل الاستعمال المحلي، بل كانوا يقومون بتصديرهم إلى مناطق مختلفة من المغرب. فلو أمعنا النظر إلى الخريطة التي توضّح مسار العبيد من السودان، سنلاحظ أنّها لا تتوقّف عند وارجلان أو تنتهي عندها، بل تستمرّ القوافل في رحلتها بعيداً عن جنوب المغرب الإسلامي،<sup>1</sup> حيث كانت أعداد منهم تباع في أسواق نفوسة والقيروان وتلمسان، وحتى المشرق العربي،<sup>2</sup> كما يُحتمل أنّهم قاموا بتصدير العبيد إلى بلاد الأندلس،<sup>3</sup>

لهذا مثّلت وارجلان محطة رئيسية لاستقبال وفود الخدم المستقدمة جنوباً من بلاد السودان، لكننا لا نملك معلومات وتفاصيل عن أعداد الرقيق المارين عبر مدينة وارجلان أو حتى تجارته، غير أنّ المصادر لاسيما الجغرافية منها أشارت إلى سوق حاضرة وارجلان ومكانتها في تجارة الرقيق وقيامها مركزاً لتصديره.<sup>4</sup>

ومن بين القرائن الدالة على ذلك شهادة الجغرافي ابن سعيد المغربي الذي أشار فيها بأنّ مدينة وارجلان "بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وأفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"<sup>5</sup>. وفي السياق نفسه ذكر الجغرافي الزهري أنّها "يدخل... ويخرج منها جلب الصحراء من العبيد والخدم"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> بوعصبانة، المرجع السابق، ص 156.

<sup>2</sup> بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية، ص 276.

<sup>3</sup> جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 227

<sup>4</sup> محمد بن عربة وأحلام بوسالم: "دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 4: العدد، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2021م، مج 04، ص 88

<sup>5</sup> أبو سعيد، المصدر السابق، ص 126.

<sup>6</sup> الزهري، المصدر السابق، ص 119.

لقد أصبحت هذه التجارة مصدراً مهماً لجمع الضرائب التي كانت تفرضها القبائل والمدن التي تمرّ بها حتّى تصل إلى مركز المدينة، وقد ذكر Jean Lethielleux أنّ مدينة سدراتة كانت تجني الضرائب على العبيد الذي كان يمرّ عليها.<sup>1</sup>

من العوامل التي ساهمت في رواج هذه التجارة هي الأحكام التي أقرت بجوازها، حيث أكدت على أنّ بيع العبيد وشراءهم جائز، ولم يحفظ عن المشايخ إنكار ذلك، بل كان العديد منهم يمتلكون الخدم،<sup>2</sup> على سبيل المثال، الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر (ت440هـ/1049م) قام بإرسال شخص لشراء خادم له.<sup>3</sup>

تعددت مهن العبيد والإماء في مجتمعات المغرب، حيث كانت الجوّاري تُستخدم كإماء للخدمة أو للمتعة. وكان العبيد يقومون بأغلب الأعمال في المجتمع، إذ كانت الطبقات القادرة على امتلاك العبيد ترفض القيام بأعمالها بنفسها.<sup>4</sup>

أمّا في وارجلان فقد تنوّعت أدوار العبيد عبر مجالات مختلفة، ممّا جعلهم عنصراً أساسياً في تطوير المدينة وازدهار حضارتها. ففي مجال الخدمات المنزلية؛ كان العبيد يقومون بأعمال المنزل وتلبية احتياجات الأسر، ممّا أتاح لأفراد المجتمع الفرصة للتركيز على أنشطة أكثر إنتاجية.

أمّا في المجال الزراعي؛ فقد ساهم العبيد في زراعة الواحات والعناية بأشجار النخيل والمحاصيل الأخرى، ممّا عزز الإنتاج الزراعي وساهم في توفير الغذاء للسكان.

<sup>1</sup> Jean Lethielleux, op, cit, P168..172، غرايسة، المدينة، ص

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة، ص172.

<sup>3</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص280؛ لدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص189.

<sup>4</sup> عزالدين موسى، المرجع السابق، ص118.

وفي مجال التجارة؛ كان العبيد يُستخدمون في نقل البضائع وحماية القوافل التجارية، ممّا ساعد في تعزيز شبكة التجارة الصحراوية التي كانت وارجلان جزءًا حيويًا منها.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> قرقرش، المرجع السابق، ص234-235؛ الخروصي، المرجع السابق، ص50.

المبحث الرابع: أثر الاقتصاد على وارجلان

أولاً- التجارة والتحول العمراني في وارجلان:

### 1- دور التجارة في نشأة المدن وتطورها:

شهد العالم الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري تطوراً عمرانياً ملحوظاً، حيث تمّ إنشاء العديد من المدن التي أصبحت من أبرز الحواضر في العالم الإسلامي، وبناء على ذلك، يمكن القول إنّ المجتمع الإسلامي كان مجتمعاً مدنياً في المقام الأول.

وقد ارتبط هذا النهوض العمراني بشكل أساسي بالازدهار الاقتصادي، الذي يمكن القول إنّّه كان محصوراً في النشاط التجاري،<sup>1</sup> خاصة مع وجود شبكة من الطرق التجارية، التي كانت نواة لتأسيس تجمّعات عمرانية جديدة.<sup>2</sup>

أشار عبد الرحمن بن خلدون إلى أنّ ثروة الدولة تعتمد على حالة المجتمع، حيث قال: "على نسبة يسار الدولة يكون يسار الرعايا، وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة، وأصله كلّهُ العمران وكثرتهُ"<sup>3</sup>. وقد أوضح قبل ذلك العلاقة بين التطور العمراني وتأثيره المباشر على حياة السكّان والازدهار الاقتصادي<sup>4</sup> بقوله: "ومتى عظم الدخل والخرج اتّسعت أحوال الساكن ووسع المصر".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مطابع السياسة، الكويت، دط، ستمبر 2005م، ص75.

<sup>2</sup> عزالدين بويحيوي: "تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط"، مجلة الخلدونية، العدد 06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013م، ص 23.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص464.

<sup>4</sup> الجنحاني، المرجع السابق، ص75.

<sup>5</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص452.

تشير هذه الفقرة بوضوح إلى أهمية التجارة في نموّ وتطوّر العمران، حيث تُعتبر التجارة من أبرز مصادر الدخل والنفقات، كما يُبرز ابن خلدون أنّ وجود المدينة كمركز اجتماعي يعدّ ضرورة ملحة لتلبية احتياجات الإنسان، إذ لا يمكنه تأمين قوته وحاجاته إلّا من خلال تكامل المهن والصناعات. ومن المؤكّد أنّ التجارة ومبادلاتها تُعدّ من الضروريات الأساسية التي تضمن للإنسان الحصول على غذائه وملبسه.<sup>1</sup>

إنّ بناء مدن جديدة، وتطوّر مدن أخرى ببلاد المغرب الأوسط له علاقة جدلية مع الازدهار التجاري الحاصل، فحصول فئات المجتمع على الثراء، الناتج عن امتلاك أعداد هائلة من المواشي والمواد الزراعية، والمتاجرة، واتّصال هذه الفئات بفئات ثرية أخرى، جعلها تتحوّل من حياة الظعن إلى حياة الاستقرار، ورافق هذا العامل، الموقع الجغرافي، فوجودهم في مناطق تعتبر معابر تجارية عامرة، إلى جانب توقّر الأمن والاستقرار، وعوامل أخرى تختلف من منطقة لأخرى، يجعل المنطقة ملائمة لشروط تأسيس المدن وتوسّعها.<sup>2</sup>

إنّ تدفّق معدن الذهب إلى بلاد المغرب الأوسط نتيجة لتغلغل تجّارها في السودان الغربي منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ساهم في بناء وإنعاش العديد من المدن الجديدة والقديمة، من بين هذه المدن تبرز تاهرت وتنس والمسيلة وبجاية، التي كانت تعتبر نقاط توقّف رئيسية للقوافل التجارية التي تحمل الذهب.<sup>3</sup> كما تحوّلت المدن:

<sup>1</sup> جهاد رحمة العقاب و هشام حجار: "دور التجارة في تأسيس وتطوّر المدن الجزائرية في العصر الوسيط المدن الساحلية أنموذجاً"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد 02، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، نوفمبر 2022م، مج8، ص106.

<sup>2</sup> جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص342-343.

<sup>3</sup> مصطفى شاكور: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مكتبة لسان العرب، الكويت، ط1، 1988م، ج2، ص418.

غدامس ووارجلان وودان وزويلة من مجرد قرى صغيرة ومغمورة على أطراف الصحراء إلى مدن نابضة بالحياة والنشاط، وأصبحت مراكز حضارية تزخر بالعلم والثقافة والسياسة والفن.<sup>1</sup>

تعتبر المدينة في العالم الإسلامي ما بين القرن الثاني والخامس الهجريين ظاهرة بارزة وأساسية، من سمرقند إلى قرطبة. كانت الحضارة الإسلامية حضارة مدنية تتميز بوحدها وحركة تنقل واسعة ومفتوحة للأشخاص والبضائع، وكان العالم الإسلامي يمثل شبكة من المدن المتصلة ببعضها البعض عبر طرق تجارية،<sup>2</sup> وهذا ما ينطبق على بلاد المغرب الأوسط، فالاهتمام بالتبادل التجاري كمورد اقتصادي، كان محفزاً ومنشطاً للحركة الاجتماعية بمدنه بصفة عامة. ويلاحظ أنّ توزيع شبكة المدن في المغرب الإسلامي، يدلّ على ارتباطها بالطرق التجارية الرئيسية.<sup>3</sup>

كما تُعدّ الأسواق من أبرز محاور النهضة العمرانية في المدينة، حيث تشكّل عنصراً تجارياً أساسياً يلبي احتياجات سكانها.<sup>4</sup> وكانت التجمّعات السكانية تُقام في مواقع مخصصة للتبادل التجاري، حيث كان لكلّ قبيلة أو مجموعة من القبائل سوق محليّ خاصّ بها. وغالباً ما كانت هذه الأسواق تقع في مناطق قريبة من مصادر المياه أو على الطرق التجارية التي تربط بين الأقاليم الكبرى، ممّا يجعلها نواة لمدن تجارية ناشئة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سوادى عبد محمّد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 2004م، ص190؛ العقاب وحجار، المرجع السابق، ص107.

<sup>2</sup> شاكور، المرجع السابق، ج2، ص426.

<sup>3</sup> العقاب وحجار، المرجع السابق، ص107.

<sup>4</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994 م، ص135.

<sup>5</sup> جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص134.

كان اختيار موقع المدينة غالبًا ما يرتبط بالإقليم وما يقدمه من إمكانيات اقتصادية، بالإضافة إلى الطرق التجارية المهمة التي تتيح للمدينة تلبية احتياجاتها وتصدير منتجاتها. إذ لا يمكن للمدينة الاعتماد فقط على وظائفها المحلية، بل يجب عليها إقامة علاقات مع مدن أخرى، ومن بين المدن التي أدت دورًا تجاريًا مهمًا، نظرًا لموقعها في خريطة التجارة الدولية ووقوعها على الطرق التجارية الرئيسية، نجد مدن سدراتة، القيروان، ورجلان، المسيلة، أشير، قلعة بني حماد، أغمات، وسجلماسة، بالإضافة إلى مدينة فاس.<sup>1</sup>

## 2- أثر حركة الاقتصاد على وارجلان:

### أ- على مجتمع وارجلان:

كان للمدن المغربية دور كبير في التبادلات التجارية مع بلاد السودان، وذلك بفضل ارتباطها بشبكة من الطرق التجارية. كانت القيروان نقطة الانطلاق، بينما كانت سجلماسة تُعتبر بوابة لدخول بلاد السودان.<sup>2</sup>

وفي المغرب، كانت وارجلان تمثل المحطة الأهم على هذا الطريق، إذ تُعدُّ نقطة التقاء رئيسية لتجارة الذهب، فقد كانت تربط بين أبرز أسواق المغرب التي كانت تستقبل ذهب السودان، مثل القيروان وتيهرت، ومن خلال التجارة الصحراوية، تجمعت ثروات هائلة من الذهب في مدن المغرب، مما ساهم في تطورها العمراني.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1988م، ص88-90؛ العقاب وحجار، المرجع السابق، ص109.

<sup>2</sup> ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص99.

<sup>3</sup> رشيد عبد العزيز: "الإزدهار الإقتصادي ودوره في التطور العمراني والتركز السكاني في مدن المغرب الأوسط تيهرت أنموذجاً"، مجلة قضايا تاريخية، العدد16، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ديسمبر 2021م، ص49.

لقد كان لهذا الرخاء الاقتصادي تأثير واضح على الحياة اليومية في مجتمع وارجلان، حيث كان المزارع قادراً على حفر بئر بتكلفة تتجاوز المائة دينار، وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت، وقد أبدى الحميري دهشته من ذلك قائلاً: "والعجب أنّ الرجل منهم يحفر بئراً بأكثر من مائة دينار"<sup>1</sup>، وهذا يعكس الثروة التي كان يتمتع بها أهل وارجلان، خاصة الإباضية منهم، نتيجة للتجارة أو قيادتهم للقوافل إلى بلاد السودان، بالإضافة إلى ازدهار أسواقهم بالتجارة من مختلف المناطق، مما أسهم في زيادة وفرة المال.<sup>2</sup>

ولا شك أنّ تجار وارجلان الذين خاطروا بقطع آلاف الأميال وتحدي قسوة الصحراء، ومواجهة خطر الموت، كان هدفهم الحصول على الثروة الكبيرة التي يمكن جنيها من وراء هذه المشاق، وكان عصب هذه الثروة كما أسلفنا تجارة الذهب والرقيق.<sup>3</sup>

ويكفي التاجر أن يقوم برحلة واحدة أو اثنتين ليصبح من الأثرياء،<sup>4</sup> ويفضل هذا النشاط الذي انتشر بين مختلف فئات المجتمع، نالت من الثراء ما لفت أنظار الرحالة.<sup>5</sup>

فوصفهم الادريسي بأنهم "قبائل مياسير، وتجار أغنياء، يتجولون في بلاد السودان، فيخرجون التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم."<sup>6</sup> وظاهرة الغنى في وارجلان حاضرة في

<sup>1</sup> الحميري، المصدر السابق، ص 600.

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 192.

<sup>3</sup> باجو، المرجع السابق، ص 58.

<sup>4</sup> عزالدين موسى، المرجع السابق، ص 288.

<sup>5</sup> باجو، المرجع السابق، ص 58.

<sup>6</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 222.

مشاهدات الوزان حيث "الصنّاع فيها كثيرون وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتّصال مع مملكة أكذز"<sup>1</sup>

لقد أدّى هذا الرخاء الذي شمل وارجلان إلى ظهور تأثيرات واضحة في نمط الحياة اليومية لمجتمعها، حيث كان لتجارة الصحراء تأثيرا واضحا في حياة الوارجلانيين، وقد أشار إليها أبو يعقوب الوارجلاني في قصيدته عند عودته من رحلة الحجّ، حيث جاء فيها:<sup>2</sup>

جزى الله وارجلان خير ما جزى	بها بلدا عن طالب الخير سائر
هو جنة الدنيا وأبواب مگّة	ومعدن تبر غانة والدنانر
فمن كان يبغى الحجّ فليأت وارجلان	يجد سبلها رحبا وخفرة خافر
فلا وجود للدنيا لمن قلّ ماله	ولا مال إلا ما أتى بالمتاجر
ويفتخر الرجال بالمال والندا	وقد سرقوها من جميع المخاطر
ولن يكسب المال الحلال سوى أمريء	يجوب الهوامي نحو غانة صابر
وليس يهاب الحرّ والقرّ والشوا	ولا الشمس ولا الظلماء ذات الدياجر
ويستصغر الأهوال من حيث أقبلت	ولو أنّها أمثال وخز الخـنازر

<sup>1</sup> الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136

<sup>2</sup> أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: القصيدة الحجازية، تح، حاج احمد يحيى بن بهون، جمعية التراث، الجزائر، دط، 1428هـ/2007م، ص15.

إنّ الرفاه الاقتصادي الذي عاشته وارجلان مكنها من تحقيق استقلالها المالي عن بلاد المغرب، بالإضافة إلى الاستقلال السياسي في ظلّ نظام العزّابة في بعض فترات تاريخها،<sup>1</sup> فُضرب الدينار الذهبي، كما ذكر الادريسي أنّ أهل وارجلان "يخرجون التبر من بلاد السودان، ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"<sup>2</sup>، وأصبح الدينار الوارجلاني ذا شهرة واسعة بفضل ذهب السودان.<sup>3</sup>

كما ساهمت التجارة في تعزيز حركة الهجرة إلى وارجلان، ممّا أدّى إلى استقرار عدد كبير من التجّار الأجانب فيها، خاصّة من قسنطينة وتونس، وقد شجّعهم على البقاء هناك كرم أهلها، وحسن استقبالهم للغرباء.<sup>4</sup>

ومن نتائج تجارة العبيد وتأثيرها على التركيبة الاجتماعية في وارجلان، انتشار أصحاب البشرة السوداء بين سكّان المدينة، وقد علّل الوزّان هذا الأمر بأنّه لم يكن بسبب المناخ، بل لأنّ سكّان وارجلان كانوا يتزوّجون من الجوّاري السوداوات اللواتي جلبن من بلاد السودان، ممّا أدّى إلى ولادة أولاد ذوي بشرة سوداء.<sup>5</sup>

هذا الواقع يعكس مدى تأثير تجارة العبيد على التركيبة الديمغرافية والاجتماعية لوارجلان، حيث أدّى اختلاط الأعراق إلى تنوّع كبير في ملامح السكّان، كما يُظهر كيف أنّ هذه الممارسات التجارية كانت تؤثر بشكل مباشر على الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية في المدينة.

<sup>1</sup> باجو، المرجع السابق، ص59.

<sup>2</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص222.

<sup>3</sup> عزالدين موسى، المرجع السابق، ص288.

<sup>4</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136؛ باجو، المرجع السابق، ص59.

<sup>5</sup> نفس المصدر والمرجع

كما كان للرفاه الاقتصادي الذي شهدته وارجلان نتائج سلبية، حيث جعلها وضعها الاقتصادي وموقعها الممتاز هدفا للطامعين وعرضة للهجمات المتكررة، وقد عانت المدينة كثيرا من هذه الاعتداءات، خاصة بعد قدوم قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب،<sup>1</sup> حيث أصبحت محط أنظار القبائل الطامعة، مما عرضها لموجات متتالية من النهب والتخريب، منها الأعمال التخريبية التي قام بها ابن غانية سنة 626هـ/1229م<sup>2</sup>، وما نتج عنها من هدم للقصور وقطع للنخيل وإفساد العيون وتشتيت لسكانها.<sup>3</sup>

### ب- على العمران في وارجلان:

أدى الازدهار الاقتصادي لوارجلان إلى تحوّل اجتماعي وعمراني الذي استبشرت فيه حتى غدت مِصرا كبيرا،<sup>4</sup> حيث توسّعت لتشمل مجموعة من القصور. كما ساهم هذا النشاط في انتقال المجتمع الوارجلاني من حالة البداوة إلى حالة التحضر، متجاوزين ما هو ضروري لتحقيق الكمال خاصة التجار الذين أصبح لهم نفوذ وسلطة كبيرة داخل المجتمع.<sup>5</sup>

لقد كان للحالة الاقتصادية في وارجلان تأثير كبير على نموّها وتطوّرها، ممّا ساهم في تحوّلها من مدينة عادية إلى مركز تجاري بارز. وفي هذا السياق، يتّضح أنّ ازدهار التجارة والصناعة، بالإضافة إلى التبادل التجاري، إلى جانب السيطرة على مقومات الحياة مثل الزراعة والريّ، وتنظيم حركة السلع، قد أدّى إلى جذب التجار إلى أسواقها، فشهدت

<sup>1</sup> باجو، المرجع السابق، ص59.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص64، يحيى معمر، المرجع السابق، ج2، ص280.

<sup>4</sup> نفس المصدر، ج7، ص69.

<sup>5</sup> صيد عاشور، المرجع السابق، ص317.

المدينة تدقق مجموعات بشرية من مدن أخرى أقل أهمية أو تلك التي تفتقر إلى مثل هذه الظروف، كل هذا ساهم في توسع المدينة داخل وخارج أسوارها.<sup>1</sup>

يستعرض ابن خلدون تطوّر عمران وارجلان فيقول: "وكانت فئتهم قليلة، - أي بني واركلا- وكانت مواطنهم قبلة الزّاب، واختطّوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة... بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطّة، ثمّ استبحر عمرانها فأتلّفت وصارت مصرا واحدا.<sup>2</sup>"

يصف ابن خلدون من خلال هذا النص كيف أنّ سگان وارجلان بنوا قصورا متقابلة ومتقاربة في تخطيطها، ممّا يعكس تنظيما عمرانيا دقيقا، ومع مرور الوقت ازدهرت المدينة وتوسّعت و"استبحر عمرانها"، حتّى اندمجت هذه القصور والمباني المتفرقة في كتلة عمرانية واحدة، لتصبح مدينة موحّدة ومتكاملة "مصرا واحداً".

وكان للقبائل الثرية والتجار الأغنياء<sup>3</sup> دور كبير في توسع الحركة العمرانية في وارجلان، حيث تحوّلت القصور الصغيرة المتناثرة إلى مدينة متكاملة ومزدهرة، هذا التطوّر العمراني لم يكن منفصلاً عن الزيادة في القوة الديمغرافية، بل كانت بينهما علاقة طردية، إذ شكّل النمو الديمغرافي المحرك الرئيس وراء هذا التوسّع.<sup>4</sup> وقد تكوّنت لدى هؤلاء

<sup>1</sup> عز الدين بويحيوي: تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة، رسالة دكتوراه دولة، تخصص الآثار الاسلامية، قسم الآثار، إيش، ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000-2001م، ص54-55.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص69.

<sup>3</sup> الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص222.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة، ص33.

التجّار ثروات طائلة، حيث ذكر ابن حوقل أنّ "قوافلهم غير منقطعة إلى أرياح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة، قلّما يدانيها التجّار في بلاد الإسلام سعة حال".<sup>1</sup>

وقد تجلّى هذا التطوّر في تشييد القصور والمتاجر والمخازن التي كانت تُستخدم لتخزين البضائع الواردة من مختلف المناطق، بالإضافة إلى بناء الدور الفخمة القادرة على استقبال الضيوف، كما تمّ تشييد الفنادق التي كانت تستقبل التجّار الأجانب الذين كانوا يقدّمون إلى المدينة من أجل ممارسة نشاطهم التجاري،<sup>2</sup> حيث أشار الوزّان إلى أنّ من بين سكانها عدد كبير من التجّار الأجانب الغريباء لاسيما من قسنطينة وتونس،<sup>3</sup> إذ كانت نقطة جذب للتجّار والزوّار، ممّا استدعى توفير عدد من المرافق تلبي احتياجاتهم، وتعكس مكانة وارجلان التي أصبحت مركزا تجاريا مهمّا في المنطقة.

اعتبرت وارجلان منطقة تجارية بامتياز، ممّا يستدعي وجود فنادق قادرة على استيعاب التجّار القادمين من مختلف الجهات،<sup>4</sup> وهذا ما يتّضح من الإشارة التي وردت عند الوسياني على لسان أحد الأشخاص المعروفين بابن فاطمة، حيث خاطب زوّار فندقه قائلاً: "على كثرة فنادق واجلان ما قصدتم إلاّ فندي"،<sup>5</sup> وهو ما يفيد بوجود عدّة فنادق تلبي احتياجات القاصدين من كلّ مكان.

وممّا يؤكّد أنّ وارجلان كانت على قدر كبير من التطوّر العمراني، وصف ابن خلدون وارجلان حينما قام ابن غانية بتلك الأعمال التخريبية فيها سنة 626هـ/1229م،<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص61.

<sup>2</sup> غرايسة، المدينة ص102

<sup>3</sup> الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص136.

<sup>4</sup> غرايسة، المدينة ص102.

<sup>5</sup> الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص670.

<sup>6</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

وما نتج عنها من سلب ونهب وتخريب للعمران، حينما قال: "خرب عمرانها، واجتث شجرها، وغور مياهها، ويشهد لذلك آثار العمران بها في أطلال الديار، ورسوم البناء، وأعجاز النخل المنقعر".<sup>1</sup>

### ثانيا-مظاهر التطور العمراني في وارجلان:

تتميز بلاد المغرب الأوسط بظاهرة القصور<sup>2</sup> نوعا من العمارة التي تعكس التحضر واستقرار الإنسان في المناطق الجنوبية الصحراوية. فرغم اتساع الصحراء وصعوبة مناخها، استطاع الإنسان أن يطور نمط حياة خاص في تلك المناطق النائية. ويظهر ذلك بوضوح في المناطق الجنوبية للمغرب الأوسط، حيث تنتشر العديد من القصور التي تعكس نمطا متميزا من الاستقرار والسكن، متأثرة بالمعطيات الطبيعية والاقتصادية وحتى السياسية. هذه القصور تعكس تاريخا عريقا وأشكالا معمارية فريدة، أثارت اهتمام الباحثين في مختلف التخصصات، كما ألهمت المبدعين في مجالات الفن والإبداع.

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص64.

<sup>2</sup> القصر: القصر هو "عبارة عن قرية محصنة أو بالأحرى عبارة عن كتلات سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك تتخلله مزاغل ومدعم بأبراج، وأحيانا تخلوا بتاتا من مثل هذه العناصر الدفاعية، ولكن تعوض بجران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكافة أرجائها" ينظر: علي حملاوي: "القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته"، مجلة حوليات، المتحف الوطني للآثار، العدد10، مطبعة سومر، الجزائر، 1422هـ/2001م، ص32-33.

وفي هذا السياق، تُعتبر منطقة وارجلان نموذجاً بارزاً لهذا التطور العمراني، ووصف عمرانها بأنه من أبرع القصور البربرية الصحراوية.<sup>1</sup> حيث تميّزت بجغرافيتها الواسعة، التي تضمّ حوالي مائة وعشرين قرية<sup>2</sup>، ممّا يدلّ على أنّها ليست مجرد منطقة محدودة بل كانت مركزاً عمرانياً واسعاً.

وقد انتشر العديد من القصور والقرى في ضواحيها، ممّا جعلها منطقة مستبحر عمرانها،<sup>3</sup> ومع ذلك، أشار بعض الجغرافيين إلى أنّها تتكوّن من سبع مدن محصّنة، بعضها قريب من بعض،<sup>4</sup> ممّا يعكس التركيز على الحواضر الرئيسية التي تضمّ المركز وما يحيط به، دون إغفال المناطق الأخرى التي تشمل القرى المرتبطة بها.<sup>5</sup>

### 1- قصور وقرى وارجلان:

من المهمّ التمييز بين وارجلان المدينة المستقلة بذاتها، وارجلان المركز الرئيس الذي يرتبط به عدد من القرى، مشكلةً معاً ما يمكن تسميته في الاصطلاح الجغرافي "إقليم وارجلان"<sup>6</sup>، وسنحاول في هذا السياق التركيز على القرى التي برزت وتميّزت بحضورها في العديد من الروايات والمصادر التاريخية.

<sup>1</sup> المدني، المرجع السابق، ص 244.

<sup>2</sup> محمّد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، دار البعث، قسنطينة، دط، ج 1، ص 108.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 69.

<sup>4</sup> الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 136.

<sup>5</sup> غرايسة، المدينة ص 102.

<sup>6</sup> نفسه، ص 40.

## أ- وارجلان المدينة (جوهة):

إنّ المتأمل في النصوص التي ذكر فيها لفظ "وارجلان" يمكنه أن يستنتج بأنّ هذا اللفظ يقصد به البلد، والإقليم، والناحية، والحوزة؛ أي تجتمع فيه كلّ هذه المعاني، وقد وردت أحاديث وأخبار تشير إلى أنّ هذا البلد يُعتبر إقليمياً يضمّ قرى وقصوراً، وقد استوطنته عدّة قبائل، اختصّت كلّ قبيلة بقرية أو أكثر، وكان لكلّ قبيلة رئيس أو أمير يتولّى إدارة شؤونها في السلم والحرب.<sup>1</sup>

من ذلك ما ذكره أبو زكرياء عن عام الزيارة وهي سنة 449هـ/1057م، وكيف كان استقبال أهل وارجلان للمشايخ قائلاً: "تلقّاهم جموع أهل وارجلان كلّهم بأمرائهم وسلاحهم وهياتهم ومن يليهم من منازل وارجلان بعدة عظيمة"<sup>2</sup>.

لكن وردت بعض الاشارات والعبارات تجعلنا نجزم بوجود مدينة تحمل هذا الاسم، وأنّ القصد من لفظ وارجلان في بعض المواضع هو المدينة، ولعلّ أوضحها ما نقله الدرجيني حين تحدّث عن تخريب يحيى بن إسحاق الميورقي لوارجلان سنة 626هـ/1229م حيث قال: " فهدم كلّ ما دار عليه سورها إلى المسجد وعاد وارجلان كأن لم يغن بالأمس "<sup>3</sup>.

هذا النصّ يُفيد صراحة أنّ وارجلان كانت مدينة محاطة بسور، وفي داخلها مسجد، ممّا يعكس تطوّرها العمراني وطابعها الحضري، كما يُظهر أنّ الميورقي قام بتدمير المدينة بالكامل، لدرجة أنّها عادت كأنّها لم تكن موجودة من قبل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بوراس: المرجع السابق، ص128.

<sup>2</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص286.

<sup>3</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص494.

<sup>4</sup> بوراس: قرى وأسماء مواضع، ص129.

كما أنّ "جوهة" التي ذكرها الحموي في معجم البلدان بقوله: "جوهة بالضمّ ثمّ السكون، وفتح الهاء الأولى بليدة بالمغرب في أقصى إفريقية، وهي قسبة كورة مجاورة لبلاد الجريد تسمّى ورجلان"<sup>1</sup>، ما هي إلاّ اسم آخر لمدينة وارجلان، وهي عاصمة لها، كما أنّ هذه اللفظة "جوهة" قد استعملت في بعض النصوص الإباضية، من ذلك ما وُجد في ثنايا كتاب "البحث الصادق والاستكشاف عن معاني كتاب العدل والانصاف" للشيخ أبي القاسم ابن إبراهيم البرّادي (حي في النصف الثاني من القرن الثامن للهجري) لما تعرّض إلى مسألة تاريخية تتعلّق بما جرى لمصنّفات إباضية المغرب بقوله: " فإنّه في آخر عمره كانت الهزاهر والمحن والبلاء العظيم من بني غانية في جميع بلاد أهل الدعوة؛ جوهة، وريغ، وسوف... وجبل نفوسة وجزيرة جربة، وهناك فانت دواوينهم حرقا وغصبا ونهباً..."<sup>2</sup>.

هذا وقد شُرحت في بعض النصوص الإباضية "جوهة أي وارجلان"، وبالتالي فإنّ اسم "ارجلان" واسم "جوهة" يطلقان على أهمّ مدينة في إقليم وارجلان،<sup>3</sup> وأنّ هذه المدينة كانت تتألّف من "سبعة حصون للبربر أكبرها يسمّى أغرم أن يكامن ، أي حصن العهود"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الحموي، المصدر السابق، ج2، ص191.

<sup>2</sup> نقلا عن يحي بوراس، وارجلان البلد والمدينة، ص191.

<sup>3</sup> نفسه

<sup>4</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص881.

## ب- سدراتة:

إنّ بلاد سدراته منسوبة إلى إحدى القبائل البربرية التي تنحدر من بطون زناته<sup>1</sup>، حيث يعتقد معظم المؤرخين<sup>2</sup> أنّ تأسيسها كان بعد سقوط الدولة الرستميّة (296هـ/908م)، حيث بدأ الإباضيون في البحث عن مركز جديد يستقرون فيه، فنزلوا مدينة وارجلان، ومن ثمّ بدأوا في تخطيط عاصمتهم الجميلة سدراته، التي تُعرف لدى البربر باسم اسدراتن، والتي تقع على بعد أربعة عشر كيلومترا إلى الجنوب منها.<sup>3</sup>

ويرى البعض أنّ تأسيسها كان قبل سقوط الدولة الرستميّة، فمن خلال الحفريات التي أجراها العديد من علماء الآثار<sup>4</sup> في منطقة سدراتة يُعتقد أنّ هذه الزخارف الفنية التي تمّ اكتشافها لا توجد مثيلاتها في تيهرت، وعليه يستبعد أن تكون هذه المدينة الجميلة من

<sup>1</sup> Tadeusz Lewicki: " L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle", **Cahiers d'études africaines**. Vol 2 N°8، 1962، P533.

أعزام، المرجع السابق، ص54.

<sup>2</sup> الجبلاي، المرجع السابق، ص234؛ مزهودي، المرجع السابق، ص35، رشيد بورويبة: "القرن الرستمي بتاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م، ص188.

Lewicki: op,cit, p533.

<sup>3</sup> النوري، المرجع السابق، ج2، ص107؛ غرايسة، المدينة، ص44.

<sup>4</sup> خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، قام عدد من العلماء بإجراء حفريات في موقع سدراته. من بين هؤلاء، كان هارولد طاري (H. Tarry) الذي أجرى حفرياته في عام 1881، حيث اكتشف قصراً كبيراً وجميلاً مزيّناً بزخارف جصية تحمل توقيع الفنان المعماري الذي أبدعها. كما قام بول بلانشي (Paul Blanchet) بحفريات أخرى في سدراته عام 1898، حيث اكتشف أربع وثلاثين غرفة وزخارف على الجدران. وآخر الباحثين الأوروبيين الذين قاموا بحفريات في سدراته كانت الأنسة مارغوريت فان برشم (Maguerite Van Berchem) من عام 1950 إلى 1952، حيث اكتشفت زخارف وكتابات بخط كوفي وآثار لفتحات المياه، بالإضافة إلى النقاط صور جوية للمدينة الأثرية. ينظر: نكار، المرجع السابق، ص27؛ بورويبة، المرجع السابق، ص189.

إنجاز أحفاد الدولة الرستميّة،<sup>1</sup> في حين يعتقد البعض أنّ تأسيس المدينة يعود إلى القرن الأوّل الهجري، وأنّ الإباضية وحدهم كانوا يسكنونها بدءًا من عام (101هـ/720م)، وتؤكد "مارغريت فان برشم" أنّه من الخطأ الاعتقاد بأنّ الإباضية عند فرارهم من تيهرت، توجّهوا إلى منطقة وارجلان لبناء مدينة جديدة، ومن المحتمل جدًا أنّ الإباضية لم يجدوا منطقة سدراتة صحراء، بل اكتشفوا أنّها مدينة ذات تاريخ طويل، وقد ساهم النازحون الجدد في إحيائها بفضل مهاراتهم في مختلف الفنون التي اشتهرت بها الدولة الرسمية.<sup>2</sup>

بغضّ النظر عن الاختلاف الحاصل في تأسيسها، فإنّ سدراتته تتمتع بحضارة بارزة تجلّت في القصور التي شيّدت فيها، والتي كانت رمزًا للإبداع المعماري. كما أنّ المنازل الرفيعة التي احتوتها عكست جانبًا من الوضع الاجتماعي لسكانها، وقد أحاطت بها حدائق غنّاء، ومزارع، ومنشآت ضخمة،<sup>3</sup> ممّا جعلها تُعرف بعروس الصحراء، وقد ازدهرت فيها العلوم، والفنون، والصناعات، والعمران، وأنجبت علماء بارزين.<sup>4</sup>

نظرًا لقلّة المعلومات التاريخية التي تناولها الجغرافيون والباحثون حول مدينة سدراتة، فإنّ هذا الأمر يزيد من غموض الموضوع،<sup>5</sup> فمعظم المصادر لا تتحدّث عن

<sup>1</sup> نكار، حاضرة وارجلان، ص 27

<sup>2</sup> مزهودي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>3</sup> محمّد بلغراد: "الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م، ص 46؛ غرايسة، المدينة، ص 45.

<sup>4</sup> النوري، المرجع السابق، ج 2، ص 108؛ بورويّة، المرجع السابق، ص 189.

<sup>5</sup> وقفنا على دراسة خلص صاحبها أنّ سدراتة التي اشتهرت في ذاكرة المجتمع الإباضي المغربي؛ يراد بها المدينة الأثرية الواقعة جنوب وارجلان هي نفسها مدينة وارجلان التاريخية المذكورة في السّير الإباضية والمذكورة في الكتب الجغرافية، وساق أدلة على صحة هذا الرأي. ينظر: يحيى بن عيسى بوراس، وارجلان البلد والمدينة، ص 193.

سدراتة بشكل مباشر، بل تركّز على مدينة وارجلان وجهة رئيسية، وعندما يتمّ ذكر سدراتة، غالبًا ما يرتبط اسمها بوارجلان.<sup>1</sup>

ونظرا لموقع سدراتة على الطريق التجاري الذي يربط المغرب الأوسط ببلاد السودان، زادت الهجرات إلى هذه المنطقة، ممّا ساهم في توسّعها. ونتيجة لذلك، تزايدت المساكن، وتمّ حفر العديد من آبار المياه.<sup>2</sup>

من الآثار التي وقف عليها صاحب غصن البان في مدينة سدراتة؛ "أحد المساجد، ومقبرة الشيخ أبي صالح جنّون بن يمران، وبقربها قبر الإمام يعقوب... ومحكمتها التي هي في غاية الاتقان".<sup>3</sup>

إنّ التواصل الكبير بين سدراتة ووارجلان، ولقرب المسافة بينهما، جعلهما تكملّان بعضهما، حيث كانت مقابر أهل وارجلان تُقام في سدراتة أو بالقرب منها، كما يتّضح من النصّ السابق.<sup>4</sup>

يرى أعزام أنّ المدينة قد خربت على يد يحيى بن إسحاق الميورقي المعروف بابن غانية سنة 624هـ/1226م،<sup>5</sup> ممّا دفع أهلها إلى الفرار باتجاه ناحية مصاب(سهل واد ميزاب)، وبعد مغادرتهم المدينة اندثرت المباني التي كانوا شيّدوها، وخُفيت تحت الرمال.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> أحمد بن خيرة: "جوانب من تاريخ وحضارة المدن المندثرة بالمغرب الأوسط مدينة سدراتة أنموذجا"، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، العدد 01، جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي، جوان 2024م، مج 08، ص 15.  
<sup>2</sup> Largeau, op,cit, p188

مزهودي، المرجع السابق، ص 37.

<sup>3</sup> أعزام، المرجع السابق، ص 55.

<sup>4</sup> غرايسة، المرجع السابق، ص 46

<sup>5</sup> أعزام، المرجع السابق، ص 54.

<sup>6</sup> بوروبية، المرجع السابق، ص 188.

ويرى أحد الباحثين أنّ الأحداث التي شهدتها مدينة سدراثة لم تكن كفيلة بإزالة المدينة أو هجرها، فالنظر بعناية إلى أنقاضها وما أسفرت عنه نتائج الحفريات السابقة، يتبيّن أن آثار التخريب ليست بالدرجة التي تمّ تداولها في المصادر والمراجع، بل يبدو أنّ هذا الوصف مبالغ فيه، فقد استمرّت الحياة العلمية في سدراثة حتّى بعد التواريخ المذكورة، وهو ما تؤكّده أسماء الشخصيات المعروفة المرتبطة بها، لذلك فهو يرى أنّ من بين الأسباب الرئيسية التي أدّت إلى هجر المدينة هي العوامل الطبيعية، حيث تراجعت الموارد المائية والنباتية، وعملت العواصف الرملية عملها، ممّا جعل العيش هناك أمرا صعبا.<sup>1</sup> وهذا الرأي هو الراجح عندنا، وهو الأقرب إلى الصواب.

### ج- القصور الأخرى:

تمتلك وارجلان العديد من القرى والقصور المحيطة بها، والتي كانت عبارة عن مستقرّات سكنية محصّنة، ومفصولة عن بعضها البعض، ثمّ صارت مركزا عمرانيا واحداً، بعد أن تمّت إحاطتها بسور، كما أضيفت إليها مرافق أخرى مثل السوق وغيره، بالإضافة إلى القسبة التي كانت تستخدم مقرّاً لحاكم القصر،<sup>2</sup> الذي كان يُلقب بالسلطان وفقاً لما ذكره ابن خلدون.<sup>3</sup>

جاء ذكرها في العديد من المصادر والتاريخية والجغرافية نوجزها في الجدول<sup>4</sup>

التالي:

<sup>1</sup> علي حملاوي: "آثار الدولة الرستميّة بالجزائر" مدينة سدراثة الأثرية" مجلة العربي، العدد 517، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 2001م، ص 86.

<sup>2</sup> أبو رحاب محمّد السيد: "سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالصحراء الجزائرية"، مجلة شدة، العدد 03، جامعة الفيوم، مصر، 2016م، ص 127.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 70.

<sup>4</sup> فكرة الجدول مأخوذة من عند كل من: بوشامة، المرجع السابق، ص 225، يحيى بوراس، قرى وأسماء، ص 103،.

القرى والقصور	ملاحظات	المصادر
إفرن (ايفران)	تقع شمال وارجلان	الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص386. الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص441.
انجاز (انجان)	مدينة من مدن وارجلان سكنها آخر الأئمة الرستميين الامام يعقوب بن أفلح <sup>1</sup>	الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص274، 503
اهروان (احروان)	تقع ضمن بلد وارجلان	أبو زكرياء، المصدر السابق، ص247، 285،
اسحوسا (انجاسا) اينجوسا	قرية من بلد وارجلان كانت تسكنها قبيلة بنو زلغين <sup>2</sup>	أبو زكرياء، المصدر السابق، ص279.
أعلان	تقع في نواحي وارجلان، وفيها مصلى مشهور <sup>3</sup>	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص610.

<sup>1</sup> يحيى بوراس، قرى وأسماء، ص103.

<sup>2</sup> نفسه، ص104.

<sup>3</sup> بوشامة، المرجع السابق، ص226.

أغرام أن يكامن	من القصور الكبرى المشكلة لمدين وارجلان	البكري، المصدر السابق، ج2، ص371.
تاغيارت	من قصور وارجلان،	أبو زكرياء، المصدر السابق، ص160.
تماواط	من قصور وارجلان فيه مصلى مشهور يزوره الاباضية	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص610.
تين تمصيوين	تعتبر من القرى القديمة لوارجلان كانت تسكنها ناس من لواتة <sup>1</sup>	الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص428؛ ج2، ص610. الدرجيني، المصدر السابق، ص332.
أوزاغت	من قصور وارجلان يدعى كذلك بالقصر الأحمر	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص610؛ 682

<sup>1</sup> يحيى بوراس، قرى وأسماء، ص113.

تيسر سيرين (تسريرين)	فيها مصلى بناه أبو صالح جنون بن يمران	أبو زكرياء، المصدر السابق، ص192، الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص107.
تونين	من قرى وارجلان	الوساياتي، المصدر السابق، ج1، ص398؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص470.
تين بماطوس	من قرى وارجلان وهذا ما يفهم من خلال السياق عند نص الدرجيني	الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص440-441. 498 الوساياتي، المصدر السابق، ج2، ص728.
تالا عيسى	تالا بالبربرية هي عين الماء تقع بالقرب من وارجلان	الوساياتي، المصدر السابق، ج1، ص428-429؛(هامش المحقق رقم 10)؛ ج2، ص710.
تارمست	من القرى الأولى التي يصادفها القادم من الشمال إلى بلد وارجلان. <sup>1</sup>	الوساياتي، المصدر السابق، ج2، ص614.

<sup>1</sup> يحيى بوراس، قرى وأسماء، ص119.

الدكاكير	من قرى وارجلان كانت على مقربة من تارمست	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص614.
تلا بني ياجرین	من قرى وارجلان سكنتها قبيلة بني ياجرین	الوسيانى، المصدر السابق، ج2، ص735.

## 2-مساجد وارجلان:

تعتبر المساجد من أبرز مظاهر التطور العمراني في وارجلان، والتي لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل كانت أيضا مراكز للعلم والثقافة والاجتماع. فقد كان للمساجد دور محوري في تشكيل نسيج المدينة العمراني، إذ تعددت وظائفها، حيث تُستخدم مصلى لأداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع الأذان والإقامة، كما يُتلى فيها كتاب الله، بالإضافة إلى ذلك، تُقام فيها الشعائر الدينية من الوعظ والارشاد وإقامة الحدود وكلّ ماله علاقة بالإسلام.<sup>1</sup>

فمن خلال كتب السير نعلم أنّ وارجلان مدينة تكثر فيها المساجد، وأماكن العبادة بأنواعها، ويشير الوسيانى إلى أنّ أول مكان سُجد فيه لله تعالى في وارجلان موضع المنبر أمام مدينة أنجان، حيث قام الشيخ أبو صالح جنّون ببناء محرابه هناك،<sup>2</sup> ويبدو أنّه كان يرغب في التبرّك، وهذا لا ينفي أنّه تمّ بناء مساجد بين فترتي دخول الإسلام بوارجلان عام 101 هـ/719 م وبين بدايات القرن الرابع عهد أبي صالح.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أعزام، المرجع السابق، ص234.

<sup>2</sup> الوسيانى، المصدر السابق، ج1، ص274؛ بوغصبانة المرجع السابق، ص58-59.

<sup>3</sup> بوغصبانة المرجع السابق، ص59.

من المساجد التي لها شهرة واسعة في وارجلان "المسجد الكبير" لجنّون بن يمران فقد أشار أبو زكرياء إلى هذا المسجد في معرض حديثه عن حرق العبيديين له بقوله: "فحرقوا المسجد الكبير لجنّون بن يمران ودخلوا ديارهم ففتّشوها."<sup>1</sup>

كما أشارت كتب السير إلى المسجد الكبير بوارجلان (مسجد وارجلان)، فهذا الدرجيني ينقل عن اجتماع للمشايخ من أهل الدعوة، والذي كان بن بينهم عبد الله بن بكر حيث اجتمعوا في حلقة كبيرة في المسجد الكبير الذي في وارجلان.<sup>2</sup>

ومن المساجد المندثرة<sup>3</sup> مسجد أبي زكريا الحفصي الذي بناه أبو زكرياء بن أبي حفص سنة 629هـ/1228م، حينما تتبّعوا أعقاب ابن غانية الميورقي، وقد أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ولمّا استتبّ الأمير أبو زكريا بن أبي حفص بملك إفريقية وجال في نواحيها في اتّباع بن غانية، مرّ بهذا المصر -يعني وارجلان- فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاخترت مسجده العتيق ومُنذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجر."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو زكرياء، المصدر السابق، ص172.

<sup>2</sup> الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص399.

<sup>3</sup> بوعصبانة المرجع السابق، ص59.

<sup>4</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص70.

# الخاتمة

الخاتمة:

من خلال استقراءات النصوص المصدرية وتحليلها، ومن خلال استقراءات الدلائل فيها وتعليقها، خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، نجلها فيما يلي:

1- من الناحية التاريخية والسياسية:

نشأت وارجلان من قصور صغيرة لتصبح "مصرًا واحدًا" بفعل الاستقرار البشري المبكر، وقد مثلت حاضرة إباضية محورية بعد سقوط تيهرت، فكانت ملاذا للفارين، ومركز ذا وزن سياسي واقتصادي في الصراع مع الفاطميين والحماديين والموحدي، كما اندرجت لاحقًا ضمن النطاق الجغرافي للدولة الزيانية.

2- من الناحية الاجتماعية:

تشكل مجتمع وارجلان من مزيج إثني متنوع (بربر، عرب، يهود...)، عززته الحروب والهجرات والتجارة عبر العصور، هذا التنوع أوجد حاجة ملحة إلى تنظيم يضمن التوازن والاستقرار، فبرزت حلقة العزابة التي تجاوزت حدودها الدينية، لتتحول إلى جهاز إداري-سياسي يشرف على القضاء والتعليم والشأن العام، ويحمي استمرار النشاط التجاري.

3- من الناحية الاقتصادية:

أ- الزراعية:

- أحسن سكان وارجلان استغلال مواردهم المائية وتنظيمها، بما مكنهم من تلبية احتياجاتهم المعيشية، وتوفير ما يلزم للقوافل التجارية التي تعبر المنطقة.
- تعتبر زراعة النخيل من الأنشطة الزراعية الرئيسة التي شكّلت عماد الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان، فالنخيل ليس مجرد مصدر للغذاء، بل هو رمز للبقاء والازدهار في البيئة الصحراوية القاسية.

- كان النشاط الرعوي مكملاً للنشاط الزراعي، حيث ساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي من خلال توفير الاحتياجات الأساسية مثل الألبان ومشتقاتها، واللحوم بأنواعها.

#### ب- الصناعية:

- ازدهرت بعض الصناعات نتيجة الحركة التجارية، من أبرزها صكّ النقود الذهبية والفضية والنحاسية، مما يعكس تطورها الاقتصادي وقدرتها على إدارة شؤونها المالية بشكل مستقلّ، وأكّد مكانتها التجارية في المنطقة.

#### ج- التجارية:

- مثّل الموقع الاستراتيجي لوارجلان صلة وصل بين المغرب الأوسط وبلاد السودان، وجعلها محطة رئيسة للقوافل التجارية.

- تحوّلت المدينة إلى سوق نشط للتبادل بين منتجات الصحراء والمواد القادمة من الشمال والجنوب.

- من أبرز صادراتها الملح الذي كان أحياناً وسيلة للتبادل بدل النقد، بينما كانت أهمّ وارداتها الذهب والعبيد من بلاد السودان.

- هذا النشاط التجاري جعل من وارجلان مركز اقتصادي مزدهر، وأسهم في تطورها الاجتماعي والعمراني.

#### 4- من الناحية العمرانية:

- أدى تدفق الذهب إلى وارجلان تحويلها من قرية صحراوية صغيرة إلى مدينة مزدهرة ومركز حضاري نابض بالعلم والثقافة، وقد ساهمت ثروة القبائل والتجار في توسّع عمرانها، حيث تحوّلت القصور المتناثرة إلى نسيج عمراني مترابط، تجلّى في بناء القصور والقرى والمساجد التي شكّلت أساساً لهويّتها الحضارية والاجتماعية.

- لم يكن الازدهار العمراني منفصلاً عن النمو الديمغرافي الكبير، بل هناك تكاملية بينهما، إذ كان النمو الديمغرافي هو المحرك الرئيس وراء هذا التوسّع.

#### 5-الخلاصة الحضارية:

- لم يكن ازدهار وارجلان الحضاري صدفة، بل كان نتاج تفاعل متبادل بين الاقتصاد والمجتمع.

- الاقتصاد كوّن المجتمع، فموقع وارجلان التجاري الاستراتيجي و ثرواتها الناتجة عن تجارة الذهب والعبيد، أسست قاعدة مادية جذبت قبائل متعددة (بربر، عرب ، اليهود...)، ما أفرز تركيبة اجتماعية متنوعة ومعقدة.

- المجتمع نظّم الاقتصاد، فمن خلال التنوع العرقي وما صاحبه من صراعات استوجب نظاماً ضابطاً، حيث برزت حلقة العزّابة كإطار ديني-سياسي إباضي حافظ على الاستقرار، ونظّم القضاء، وأمن الطرق التجارية، ممّا ضمن استمرار مصدر الثروة.

- وارجلان لم تكن مجرد محطة تجارية، بل منظومة متكاملة، فالاقتصاد أنتج ثروة، والثروة خلقت تنوع اجتماعي، والمجتمع ابتكر تنظيم سياسي حافظ على الاقتصاد، هذا التفاعل أفرز تطورا حضاريا عمرانيا وثقافيا لافتا.

#### آفاق الدراسة:

تنتفح الدراسة على إشكالات كثيرة، تحتاج إلى تفسير وتعليل وتحليل، لم تنتسح لها هذه الدراسة، وأرى أنّ بفضلها تتعمق الدراسات في النسيج الاجتماعي وفي حركة الاقتصاد الوارجلاني، لتتبيّن معالم التاريخ فيها، وتُفهم حركة التمدّن فيها، ومنها:

- الوجود اليهودي في وارجلان، وتأثيره على شبكة العلاقات الاجتماعية، ودوره في اقتصاديات المنطقة وعلاقاتها.

- دراسة مقارنة بين دور وتاريخ يهود وارجلان ودور وتاريخ يهود توات.

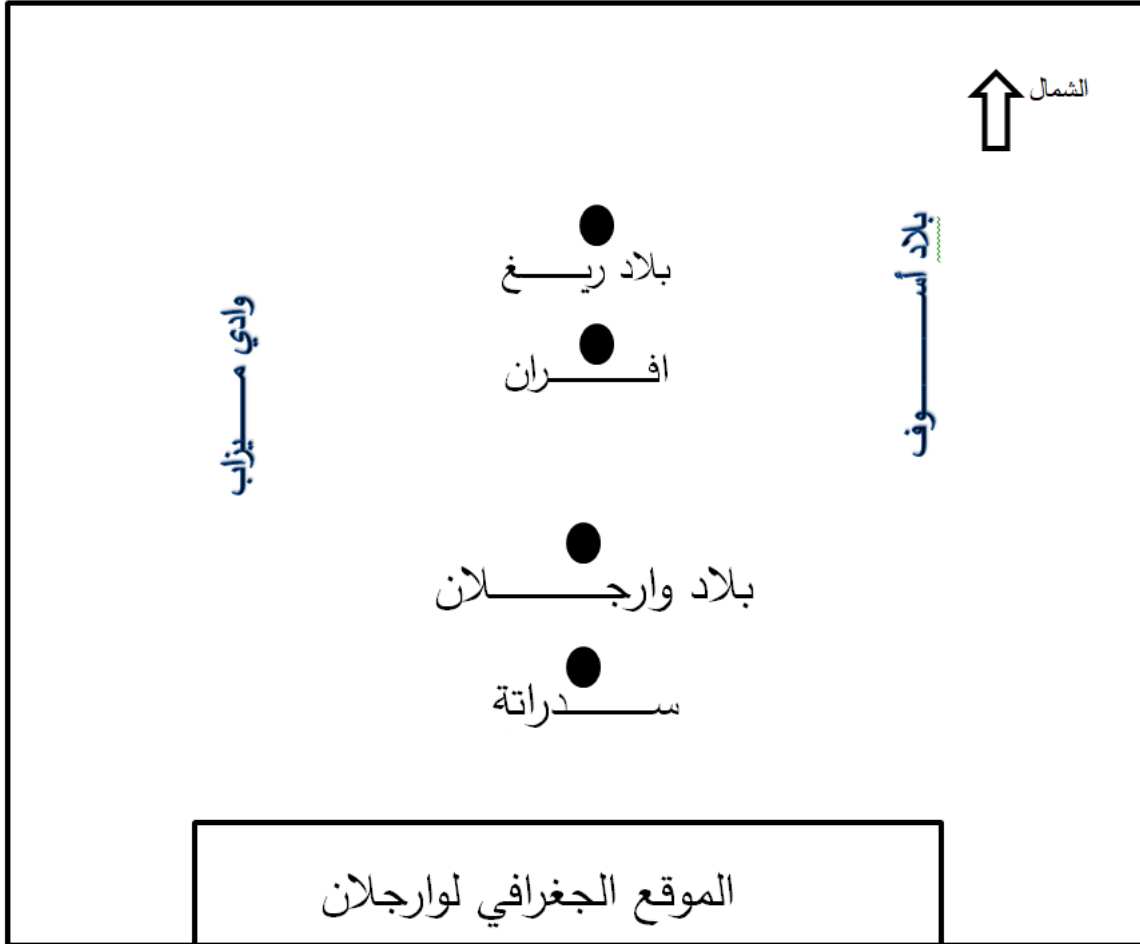
- التطور العمراني وعلاقته بالغنى الاقتصادي.
- تأثير المذهبية على طبائع العمران، ومظاهر الحياة.

# الملاحق



جمعية القصر للثقافة والإصلاح: ما قبل التاريخ في ورقلة، المركز الثقافي للوثائق  
الصحراوية، غرداية، 2011، ص4

ملحق رقم 02 الموقع الجغرافي لوارجلان



من انجاز الطالب



جمعية القصر للثقافة والإصلاح: ما قبل التاريخ في ورقلة، المركز الثقافي للوثائق  
الصحراوية، غرداية، 2011، ص12.

ملحق رقم 04

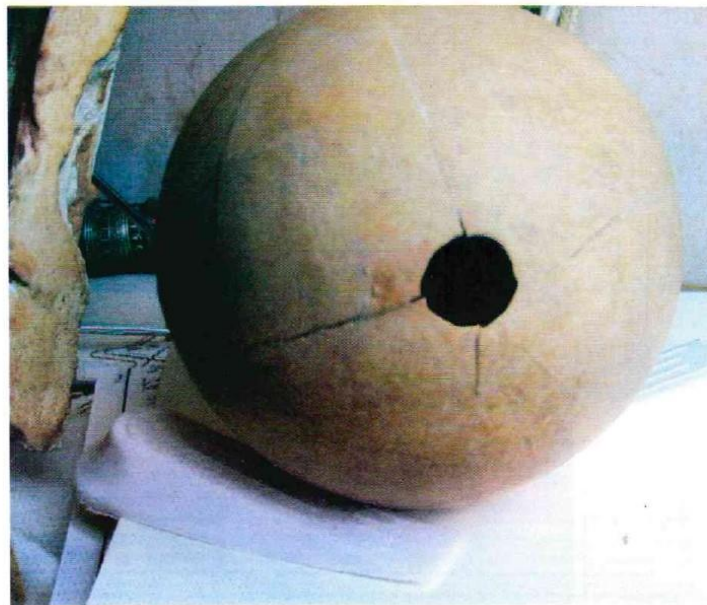
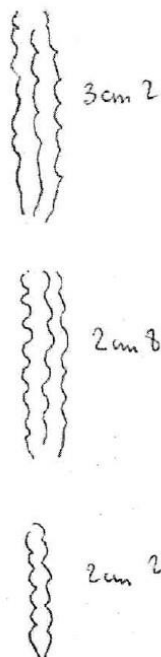


Parmi les restes, on trouve (rarement) un œuf d'autruche ayant servi de bouteille

Celle-ci porte de l'ocre rouge autour de l'orifice et 3 petites décorations à côté de l'embouchure.

Elle a été trouvée à Hassi Mouïlah.

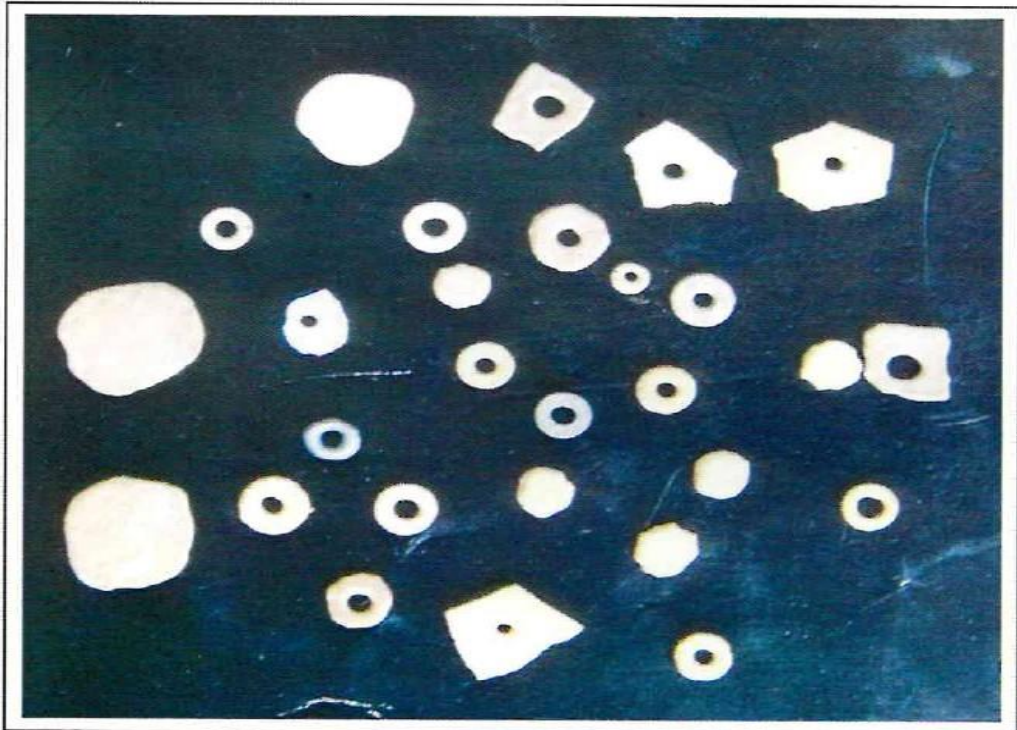
من بين البقايا المتعلقة ببيض النعام ، يمكن اكتشاف— وهو أمر نادر— قارورة ، زينت فوهتها بالطين الأحمر مع ثلاث زخارف صغيرة . وقد عثر عليها في حاسي مويلاح



جمعية القصر للثقافة والإصلاح: ماقبل التاريخ في ورقلة،المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، 2011، ص21.

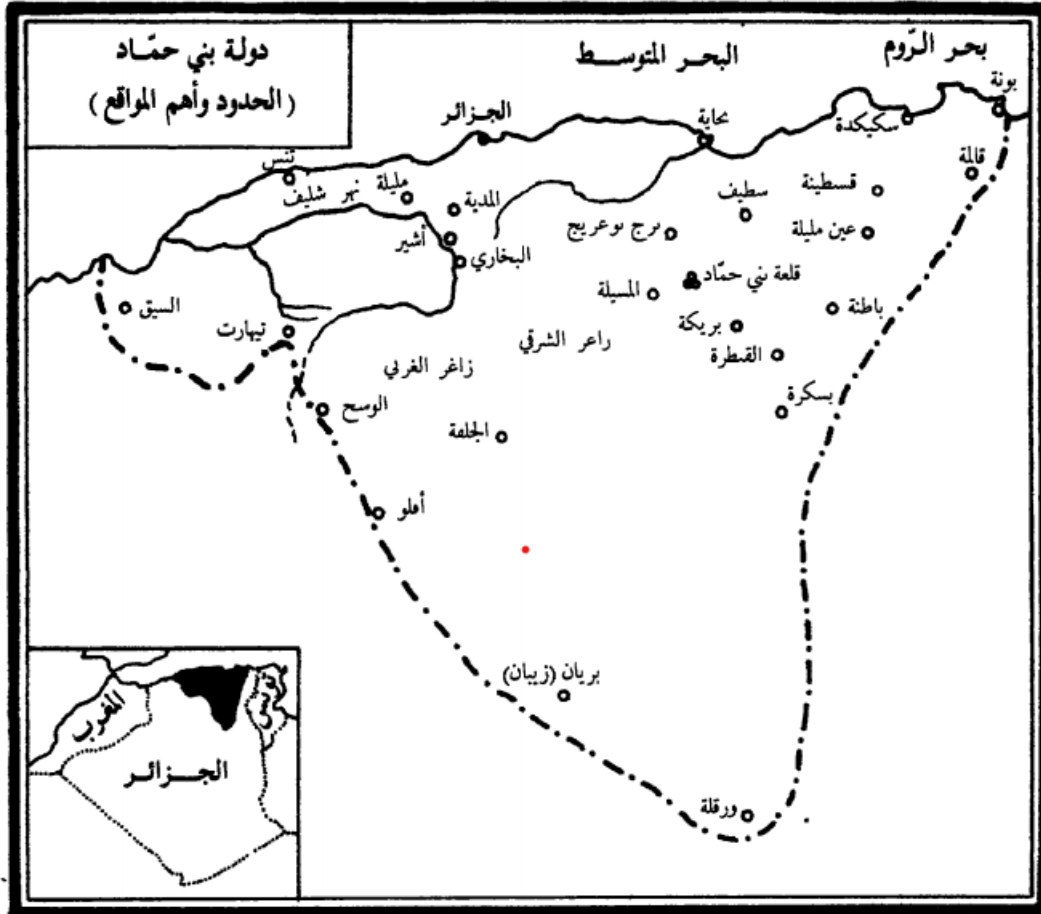


Diverses têtes de flèches. مختلف رؤوس السهام



جمعية القصر للثقافة والإصلاح: ما قبل التاريخ في ورقلة، المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، 2011،

ملحق رقم 06: حدود الدولة الحمادية

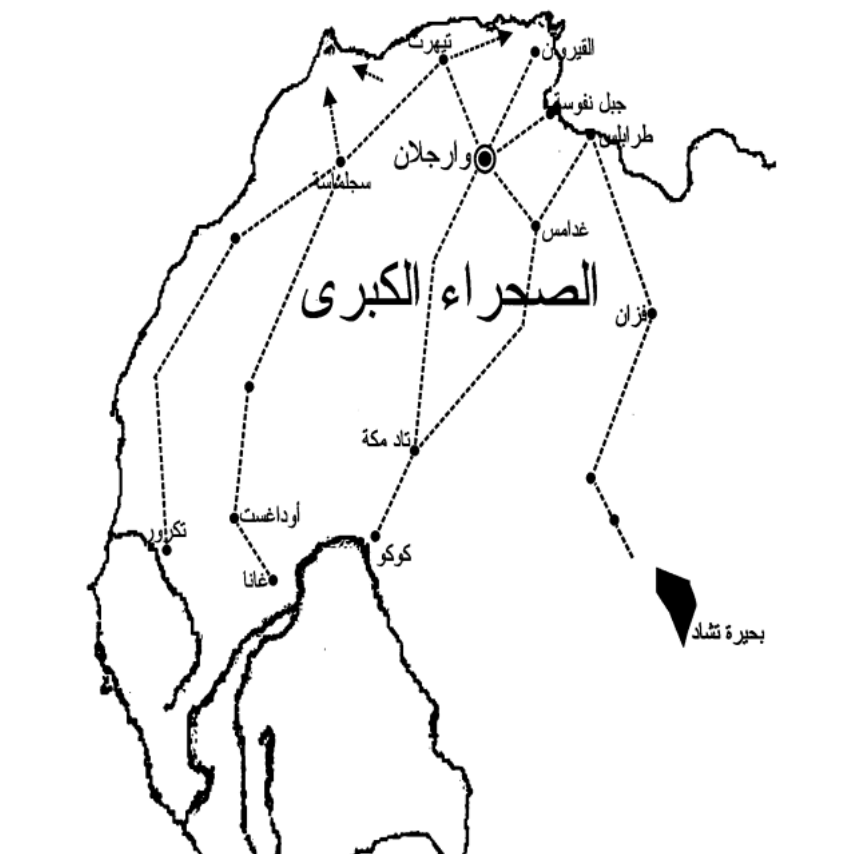


عويس، المرجع السابق، ص 97.

أهم العيون في وارجلان



نقلا بتصريف عن J.Leihelleux: Op.Cit,p71



### المسالك التجارية الرئيسية من وإلى وارجلان

عن: موريس لمبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر، عبد

الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1982م، ص285.

# قائمة المصادر

# والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- 1- صحيح مسلم (ت 261هـ)
- 2- ابن الأحمر (807هـ): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1421هـ/2001م.
- 3- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم (630هـ): الكامل في التاريخ، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- 4- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ.
- 5- ابن عبد البر أبو عمر يوسف القرطبي (463هـ): القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم، مكتبة القدسي، دط، القاهرة، 1350هـ/1931م
- 6- الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت بعد 346هـ): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، دت ط.
- 7- البغدادي أبو القاسم محمد بن حوقل (ت 376هـ): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، دط، 1938م.
- 8- بغطوري مقرين بن محمد (حي 599هـ): روايات الأشياخ أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تح، عمر سليمان بوعصبانة، دار خزائن الآثار، عُمان، ط1، 1438هـ/2017م.

- 9- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ): المسالك والممالك،  
تح، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م/1424هـ.
- 10- البَلَّاذُري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ): فتوح البلدان، دار ومكتبة  
الهلال، بيروت، دط، 1988م
- 11- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت779هـ): تحفة النظار في غرائب  
الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دط، 1417هـ.
- 12- ابن خَلَّكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ):  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط،  
1398هـ/1978م.
- 13- ابن حزم أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ): جمهرة أنساب  
العرب، تح، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م.
- 14- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي (ت628هـ): أخبار ملوك بني عبيد  
وسيرتهم، تح، التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، دط، دت ط
- 15- الحموي شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر،  
بيروت، دط، 1977م.
- 16- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت بعد900هـ): الروض المعطار في خبر  
الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- 17- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت بعد300هـ): المسالك والممالك،  
دار صادر، بيروت، دط، 1889م.
- 18- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى (ت788هـ): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني  
الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، علم المعرفة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2011م.

- 19- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، دط، 1421 هـ / 2000م.
- 20- الداعي إدريس عماد الدين (ت872هـ): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.
- 21- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يـخلف (ت670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، تح، إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، دط، 1974م.
- 22- الزهري أبو عبيد الله محمد بن بكر (ت ق6هـ): كتاب الجغرافية، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (مصر)، دط، د ت ط.
- 23- الزياني أبو حمو موسى الثاني (ت791هـ): واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح و تع، محمود بوترة، دار النعمان، الجزائر، دط، 2012م.
- 24- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ): الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 190م.
- 25- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد بدر الدين (ت928هـ): كتاب السير، تح، أحمد بن سعود السيابي، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1412هـ/1992م.
- 26- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد وأبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي: مقدمة التوحيد وشروحها، تر، أبو حفص، عمر بن جميع، دار الحكمة، لندن، ط2، 1436هـ/2016م

- 27- الشماع محمد أبو عبد الله بن أحمد (ت بعد 900هـ): الأدلة البينة التورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر محمد المعموري، دار العربية للكتاب، تونس، دط، 1984م.
- 28- شهاب الدين أحمد النويري (ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ.
- 29- الشيزري عبد الرحمن بن نصر (589هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نش، السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1365هـ- 1946م
- 30- ابن الصغير (ت بعد 290هـ): أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1985م.
- 31- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ): فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دط، 1415هـ.
- 32- ابن عبد الكافي أبو عمار (ت قبل 570هـ): سير أبي عمار، تح، مسعود مزهودي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996م.
- 33- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد (ت 1090هـ): الرحلة العياشية، تح، سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006م.
- 34- ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد (ت 712هـ): البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/2013م

- 35- الفرستائي أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت440هـ): القسمة وأصول الأرضين، تح، تحقيق بكير بن محمد الشيخ بلحاج و محمد ناصر، المطبعة العربية، القرارة (غرداية)، ط2، 1418هـ/1997م.
- 36- ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ): المعارف، تح، ثروت عكاشة، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م.
- 37- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود (ت682هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1، 1380هـ/1960م
- 38- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت751هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، تح، شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ/1998م.
- 39- لوأب بن سلام التوزري المزاتي (ت273هـ): الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تح، ر.ق شقارتز و سالم بن يعقوب، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
- 40- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، ط1، دتط.
- 41- مجهول مؤلف (ق6هـ): الإستبصار في عجائب الأمصار، ن، تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر، المغربية المغرب، ط1، 1985م.
- 42- مجهول مؤلف (ق7هـ): زهر البستان في دولة بني زيان، تح وتق، بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

- 43- مجهول مؤلف (ق6هـ): كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تح، الحاج سليمان بن ابراهيم بابيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م.
- 44- المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي(ت647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1416هـ/2006م.
- 45- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط3، 1411هـ/1991م.
- 46- المقرئ أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد(ت845هـ): جني الأزهار من الروض المعطار، تح، محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2006م.
- 47- مكناسي أحمد بن القاضي(ت1025هـ): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ط1، 1973م.
- 48- الوارجلاني أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت471هـ): سير الأئمة وأخبارهم، تح، إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402هـ/1982م.
- 49- الوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد(ت570هـ): الدليل والبرهان، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط2، 1414هـ/1997م.
- 50- -----: القصيدة الحجازية، تح، حاج احمد يحيى بن بهون، جمعية التراث، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م.
- 51- الوزان فارسي الحسن ابن محمد(ت975هـ): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجّي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

- 52- الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسّان (ت557هـ): سير الوسياني، تح، عُمر بن لقمان حمّو سليمان بوعصبانة، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط1، 1430هـ/2009م.
- 53- اليعقوبي أحمد بن إسحاق أبي يعقوب (ت بعد 292هـ): البلدان، تح، محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.
- 54- ----- أحمد بن اسحاق أبي يعقوب (ت292هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط6، 1415هـ/1995م.

#### ثانيا- المراجع:

- 55- ابراهيمي ك: تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر، محمّد البشير شنيني و رشيد بوروبية، وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007م.
- 56- أحمد عمر مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م
- 57- إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.
- 58- ادريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، تر، حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.
- 59- أعزام ابراهيم بن صالح بابا حمّو: غصن البان في تاريخ ورجلان، تح، ابراهيم بحاز وسليمان بومعقل، دار العالمية، غرداية، ط1، 1434هـ/2013م.

- 60- باجو مصطفى بن صالح: أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1415هـ/1995م.
- 61- باجيه صالح: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، اش، علي الشابي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1396هـ/1976م.
- 62- الباروني سليمان باشا: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مر، محمد علي الصليبي، لندن، 2005م.
- 63- بحاز ابراهيم بكير: الدولة الرستميّة (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، دار جمعية التراث، القرارة، ط2، 1414هـ/1993م.
- 64- -----: الدولة الرستميّة دراسة في المجتمع والنظم، دار كتابك، الجزائر، دط، 20019م.
- 65- برنشيبيك روبر: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر، حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.
- 66- بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي 462.22هـ/1070.642م)، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، ط1، 2001م.
- 67- بلعربي خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الألمعية، الجزائر، ط1، 2011م.
- 68- بن عميرة محمد: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، دار الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، د ت ط.
- 69- بوتشيش إبراهيم القادري، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994م.

- 70- بوركبة محمد: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستميّة (160-296هـ/777-909م)، دارالكفاية، الجزائر، دط، دت ط.
- 71- بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1977م
- 72- بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية (أدوارها-مواطنها-أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2007م.
- 73- بوسماحة عبد الحميد: رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008م.
- 74- بوعقادة البشير: الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى (296-547هـ/909-1152م)، دار ميم للنشر، الجزائر، دط، 2015م.
- 75- بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر، الهادي أبو لقمة و محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988م.
- 76- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، دط، 2004م.
- 77- الجنحاني الحبيب: المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مطابع السياسة، الكويت، دط، ستمبر 2005م.
- 78- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م.
- 79- حاجيات عبد الحميد: أبو حمّو موسى الزيّاني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1394هـ/1974م.

- 80- حجازي عبد الرحمن عثمان: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الأفريقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
- 81- حسن محمّد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، تونس، دط، 1999م.
- 82- حسين حمودة عبد الحميد: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- 83- حقي محمّد: البربر في الأندلس، دار المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/2001م.
- 84- الخروصي سالم بن هلال بن سالم: أبو عمار عبد الكافي التناوتي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1423هـ/2003م.
- 85- خليفات عوض محمّد: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1982م.
- 86- دبوز محمّد علي: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، د بط، دط، 2010م.
- 87- دحو العربي: مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، الجزائر، دط، 1406هـ-1986م.
- 88- الزاوي طاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط4، 2004م.
- 89- الزبيري محمّد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984م.

- 90- زغلول عبد الحميد سعد: تاريخ المغرب العربي، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993م.
- 91- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، مصر، دط، 1999م.
- 92- سعد الله أبو القاسم: مجموع رحلات، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م.
- 93- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009م.
- 94- سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 2004م.
- 95- شاكِر مصطفى: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، مكتبة لسان العرب، الكويت، ط1، 1988م.
- 96- شلبي أبوزيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ط3، 1964م.
- 97- صفر أحمد: مدينة المغرب الإسلامي في التاريخ، دار النشر بوسلامة، تونس، دط، 1959م.
- 98- العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، دت ط
- 99- عبد الرزاق محمود إسماعيل: الخواارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406هـ/1985م.

- 100- عثمان محمد رأفت: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، د م ط، ط2، 1994م
- 101- عثمان محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1988م
- 102- العربي إسماعيل: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1980م.
- 103- عربي دحو: مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، الجزائر، دط، 1406هـ-1986م.
- 104- علي جمعة محمد: المكايل والموازن الشرعية، دار القدس للاعلان والنشر، القاهرة، ط2، 1421هـ/2001م
- 105- بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.
- 106- العوامر ابراهيم محمد الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع، الجيلاني بن ابراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2007م.
- 107- عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، مصر، ط2، 1411هـ/1991م.
- 108- عيسى النوري حمو محمد: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث، قسنطينة، دط
- 109- غربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار مؤسسة الخليج للطباعة، دط، د ت ط.

- 110- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1977م.
- 111- الفيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، دار موفر للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2002م.
- 112- قداش محفوظ: الجزائر في العصور القديمة، تر، صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1993م.
- 113- قرقرش محمّد: المدخل إلى تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار بسمة للطباعة والنشر، عمان، دط، دت ط،
- 114- كربخال مارمول: إفريقيا، تر، محمّد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، دط، 1989م
- 115- الكعاك عثمان: البربر، نشر تامنغاست، دبط، دط، 1375هـ.
- 116- -----: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ص115
- 117- لقبال موسى: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1974م.
- 118- -----: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1979م.
- 119- ليفيتسكي تاديوس: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر، ماهر جزّار وريما جزّار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

- 120- محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس، دط، 1986م.
- 121- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م
- 122- مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط، دار جمعية التراث، القرارة، دط، 1417هـ / 1996م.
- 123- معمر علي يحي: الإباضية في موكب التاريخ، دار مكتبة الضامري، عمان، ط3، 1429هـ / 2008م.
- 124- المسعودي الباجي: الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تح، محمد زينهم محمد عزب، دار الأفاق، القاهرة، ط1، 1434هـ / 2013م.
- 125- منقريوس صدفى رزق الله: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، دط، 1325هـ / 1907م
- 126- موريس لومبارد: الإسلام في مجده الأول، تح، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1975م.
- 127- -----: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1982م
- 128- موسى عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس للهجري، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م.
- 129- موهوب عبد القادر: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة، دار البصائر، الجزائر، دط، 2011م.

- 130- المليي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.
- 131- ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني: الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2019م.
- 132- ناصر محمد: حلقة العزّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة(الجزائر)، 1410هـ / 1989م.
- 133- الناصري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد(ت 1315هـ): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1418هـ/1997م.
- 134- النّامي عمرو خليفة: دراسات عن الاباضيّة، تر، مخائيل خوري و ماهر جزّار، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط2، 2012م
- 135- واني علي عبد الواحد: الأسرة المجتمع، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دط، 1945م.

#### ثالثا- الرسائل الجامعية:

- 136- اسماوي صالح بن عمر: العزّابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الإسلام، إش، موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م.
- 137- بن موسى جميلة: تجارة الذهب بين الشرب الإسلامي و السودان العربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري 9-11، مذكرة شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إش، فخار ابراهيم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000م.

- 138- بوشامة أحمد: الجغرافية المذهبية للمغرب الأوسط من القرن 2هـ-8م إلى نهاية القرن 6هـ-12م، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط، إ.ش، طاهر بن علي، جامعة غرداية، غرداية، الجزائر، 1442-1443هـ/2021-2022م.
- 139- بوعصبانة عمر سليمان: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، رسالة ماجستير، تخصص العلوم الإسلامية، إ.ش، محمد ناصر، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، 1412هـ/1992م.
- 140- بومنقار معاذ: قبيلة زناتة والنشاط التجارية في المغرب الأوسط ما بين القرن 2-7هـ/8-13م، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الأوسط الاقتصادي في العصر الوسيط، إ.ش، يوسف عابد، جامعة قسنطينة 02 عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، 1441-1442هـ/2020-2021م.
- 141- بويحيوي عز الدين: تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة، رسالة دكتوراه دولة، تخصص الآثار الإسلامية، قسم الآثار، إ.ش، ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000-2001م.
- 142- الجندي علي محمود عبد اللطيف: البربر في افريقية في العصر الأموي (40-132هـ/660-751م)، رسالة ماجستير، تخ، التاريخ والحضارة، إ.ش، حسين يوسف دويدار، جامعة الأزهر، القاهرة، دت.
- 143- حاج عيسى إلياس بن عمر: مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (ق4-10هـ/10-16م)، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إ.ش، عبد العزيز الأعرج، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008-2009م.

- 144- حماد محمد: الحياة الاجتماعية والثقافية بوارجلان ونواحيها خلال القرنين 5-6هـ-11-12م، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي، عبر العصور، إيش، عبد الكريم بوصفصاف، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار (الجزائر)، 1433-1434هـ/2012-2013م
- 145- زكار أحمد: حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسوادان الغربي 1000هـ إلى 1300هـ/1591م إلى 1983م، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إيش، محمد حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 1430-1431هـ/2009-2010م.
- 146- زكار أحمد: الروابط الاجتماعية و الاقتصادية في واجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 960 - 1270هـ/1552-1854م، رسالة دكتوراه علوم، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إيش، مختار حساني، جامعة الجزائر2، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م
- 147- شافو رضوان: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجا 1844-1962م، رسالة دكتوراه، تخ، التاريخ الحديث، إيش، تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر02، الجزائر، 1432-1433هـ/2011-2012م.
- 148- صيد عاشور، العمارة والعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط من خلال كتاب "القسمه وأصول الأرضين" للفرسطائي (ت 504هـ-1110م) مدينة وارجلان أنموذجا -دراسة تاريخية أثرية عمرانوية-، دكتوراه علوم، تخصص الآثار الإسلامية، إيش، صالح بن قربة، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، 2018-2019م.

- 149- عميور سكيينة: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6 هـ / 11 و12م دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الريف والبادية، إيش، ابراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة02، قسنطينة، 1433-1434هـ/2012-2013م.
- 150- غرايسة عمار: التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، وارجلان) من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، إيش، علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1439-1440هـ/2018-2019م.
- 151- غرايسة عمّار: المدينة الدولة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، تخ حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي -تاريخ وسيط-، إيش، عبد العزيز الفيلاي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م.
- 152- مباركية عبد القادر: التجار و التجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 16/10م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، إيش، علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011-2012م.
- 153- مزدود سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 - 927هـ / 1192 - 1520م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الوسيط، إيش، محمّد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م.

154- منصور عبد الحفيظ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستميّة (144 - 296 هـ / 761 - 909م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إتش، محمد الصالح مرمول، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1981م.

#### رابعاً- المقالات والدوريات

155- أمعيط نور الدين: " الرعي والرعاة في بادية المغرب الإسلامي"، مجلة كان التاريخية، دار ناشري للنشر الالكتروني، العدد 55، الكويت، مارس 2022م.

156- ببلي دنيس ويوسف طواف: واحة عبر التاريخ ورقلة، جمعية القصر للثقافة والإصلاح، ورقلة، 2003م.

157- بحاز ابراهيم بن بكير: "صور من الإباضية في عهد الموحدين"، مجلة الحياة، معهد الحياة، العدد 01، القرارة (الجزائر)، 1419هـ/1999م.

158- برحو يوسف: " الأسرة والزواج في بلاد المغرب في العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة في شمال افريقيا، العدد 01، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2019م.

159- بلغراد محمد: "الحركة الاباضية في تاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م.

160- بن خيرة أحمد: "جوانب من تاريخ وحضارة المدن المندثرة بالمغرب الأوسط مدينة سدراة أنموذجاً"، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، العدد 01، جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي، جوان 2024،

- 161- بن عربي محمّد وبوسالم أحلام: "دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 4: العدد، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2021م.
- 162- بن علي الطاهر: "دور نصوص الرحلة في الكتابة التاريخية"، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، العدد7، ديسمبر 2019م.
- 163- بن يوسف سليمان داود: "مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد49-50، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984م.
- 164- بوراس يحي: "قرى وأسماء مواضع في إقليم وارجلان"، مجلة الحوليات، المتحف الوطني للآثار، العدد10، الجزائر، 1422هـ/2001م.
- 165- -----: "وارجلان البلد والمدينة"، مجلة المنهاج، العدد06، جمعية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم أطفيش لخدمة التراث، غرداية، أوت 2023م.
- 166- بوروبية رشيد: "الفرن الرستمي بتاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م.
- 167- بولخراس حمادوش: "التواجد الروماني في الصحراء الجزائرية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد02، جامعة ابن خلدون تيارت، أكتوبر 2019م.
- 168- بويحيوي عزالدين: "تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط"، مجلة الخلدونية، العدد 06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013م.

- 169- تمام ناصر الدين: "التحصينات العسكرية الرومانية في مقاطعة موريطانيا السطايفية بين القرنين 3 و5م"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر 02، العدد 06، الجزائر، ماي 2018.
- 170- جمعية قصر للثقافة والإصلاح، ماقبل التاريخ في ورقلة، المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، 2011.
- 171- الجيلالي عبد الرحمن: "أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدليل والبرهان"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م.
- 172- حاج عيسى الياس: "الأسرة العلمية في الفضاء الإباضي المغربي خلال العصر الوسيط أسرة الفرستائي نموذجاً"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة في شمال إفريقيا، العدد 01، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2021م.
- 173- -----: "مصادر المياه والنشاط الفلاحي في واحات المغرب الأوسط"، المجلة الخلدونية، العدد 10، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، ديسمبر 2016م.
- 174- حضري يمينة بن صغير: "منطقة واد ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الإستعماري)"، مجلة الواحات، جامعة غرداية، العدد 02، 2017م.
- 175- حملاوي علي: "آثار الدولة الرستميّة بالجزائر "مدينة سدراتة الأثرية" مجلة العربي، العدد 517، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 2001م.
- 176- حملاوي علي: "القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته"، مجلة حوليات، المتحف الوطني للآثار، العدد 10، مطبعة سومر، الجزائر، 1422هـ/2001م.

- 177- خديجة شنعة: "إشكالية أصل البربر"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، العدد 03، جامعة ابن بلة، وهران، جوان 2015م
- 178- خليفة الطيف علي حامد: "الانتقال والهجرة لعلماء الاباضية بين جبل نفوسة و بلاد الجريد ووارجلان حتى نهاية القرن 5هـ/11م"، مجلة كلية الآداب، العدد34، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، ستمبر 2021م.
- 179- شنتي محمد البشير: "التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977م.
- 180- عبد العزيز رشيد: "الإزدهار الإقتصادي ودوره في التطور العمراني والتركز السكاني في مدن المغرب الأوسط تيهرت أنموذجا"، مجلة قضايا تاريخية، العدد16، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ديسمبر 2021م
- 181- العشي حمزة: " الحواضر الواحية بالمغرب الأوسط بين الدور التجاري والتأثير الحضاري واحة وارجلان أنموذجا"، مجلة عصور، العدد03، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران01، ديسمبر2023م.
- 182- العقاب جهاد رحمة و هشام حجار: "دور التجارة في تأسيس وتطور المدن الجزائرية في العصر الوسيط المدن الساحلية أنموذجا"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 02، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، نوفمبر 2022م.
- 183- عمروش أحمد: "الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في ضوء الرؤية الإستشراقية"، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد 01، 2020م.

- 184- كرزاز فوزية: " التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط (ق 5-6هـ-12/11م)", مجلة عصور الجديدة، العدد21-22، مخبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 1437هـ/2016م.
- 185- كروم عيسى: " استتجار الراعي في أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل"، مجلة روافد، العدد 02، جامعة عبد الحميد مهري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2019م.
- 186- محمد السيد أبو رحاب: "سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالصحراء الجزائرية"، مجلة شدت، العدد03، جامعة الفيوم، مصر، 2016م.
- 187- معاش أسامة وعلال بن عمر: "ثورة أبو الخزر يغلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل الوسيانيان 358هـ/968م مظهر من مظاهر التضامن الإباضي في بلاد المغرب"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي، العدد01، معسكر، أوت 2022.
- 188- هرباش زاجية: "وارجلان دراسة اقتصادية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد02، جامعة ابن خلدون تيارت، سبتمبر 2021م.
- 189- يحيوي سعد: "ملاحم من الحياة الاقتصادية بوارجلان من خلال كتاب المعلقات لمجهول (ق 3-6هـ/6-12م)", مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد02، جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر، جوان 2024م

خامسا - المعاجم والقواميس:

- 190- إبراهيم رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تق، محمود فهمي حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423 هـ / 2002 م.
- 191- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، تع، لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- 192- الأزهرى محمد بن أحمد بن: تهذيب اللغة، تع، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001 م.
- 193- بحاز ابراهيم وآخرون: معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1421 هـ / 2000 م.
- 194- زركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002 م.
- 195- الشرباصي أحمد: المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، د م ط، دط، 1401 هـ - 1981 م.
- 196- عبد الحميد عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429 هـ / 2008 م.
- 197- عمارة محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1413 هـ / 1993 م.
- 198- فاخري محمود وصلاح الدين خوام: موسوعة القياس وحدات الإسلامية والعربية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2002 م.

199- مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1429هـ/2008م.

200- نويهض عادل: مُعْجَمُ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حَتَّى العَصْر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

سادسا - المراجع بالأجنبية:

201- Brigol Madeleine Rouvillois: **Le Pays de Ouargla**, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris.

202- Daumas: **Le Sahara Algerien Etude Geografique Statistique Et Historique Sur La Region Du Sud Des Etablissement Francais En Algérie**, Fortin Masson , Paris.

203- Jacques Gayet LACOURT , **L'histoire du commerce** , éditions Spid, Paris, T3 , 1903.

204- Largeau: **Le pays de rirha Ouargla** , Librairie Hachette, Paris, 1879

205- Lethielleux Jean (Jean): **Ouargla Cité Saharienne Des Origines au Début de xx Siècle** , Librairie orientaliste paulgeuuthner, Paris, 1984.

206- Lewicki Tadeusz, **Etudes Maghrébines et Soudanaises**, Académie Polonaise des Sciences, comité des etudes Orientales، Varsovie 1976.

207- romey Alain, **histoire toponymie et tradition orale d'une oasis arabo-berbere n'goussa**, centre d'etudes maghrebines 1973-1974.

208- Trumellet G.: **les Français dans le désert**, Garnier Frères libraires Editeurs, Paris.

سابعا- المقالات باللغة الأجنبية:

- 209- G Aumassip et S. Hachi" :Le gisement acheuléen de l'erg Touareg aux environs d'Ouargla (Sahara algérien)" **Libyca** , Centre National D'Etudes Historiques , Tomes xxxii à xxxiv, Alger, 1984-1985-1986.
- 210- Largeau, op,cit, p109 ; Blanchet Paul, « L'oasis et le Pays de Ouargla », **Annales de Géographie**, T9, N°44, 1900.

## قائمة الفهارس

أولاً- فهرس الأعلام

ثانياً- فهرس البلدان والأماكن

ثالثاً- فهرس القبائل والدول

رابعاً- فهرس المحتويات

أولا- فهرس الأعلام:

أ

أعزام , 15, 19, 23, 29, 30, 44, 45, 46, 66, 78, 82, 86, 93, 131, 146,  
149, 151, 152, 219, 221, 227, 248

إسماعيل بن علي النفزاوي 138 ,

الوسيانى , 11, 20, 36, 55, 84, 93, 96, 98, 105, 117, 130, 135, 136,  
138, 139, 145, 146, 152, 154, 155, 157, 159, 160, 172, 173,  
182, 185, 188, 196, 197, 200, 214, 223, 224, 225, 226, 227,  
247

الوزان , 15, 22, 24, 27, 30, 73, 123, 125, 153, 157, 165, 177, 187,  
210, 211, 214, 216, 247

اليازوري 90, 59 ,

الناصرى 246, 89, 75, 69, 59 ,

الناصر بن علناس 63, 60 ,

الميلى 255, 141, 140, 89, 79, 53 ,

المنصور 246, 69, 61, 60, 54 ,

المنتصر بن خزون 60 ,

المقدسى 246, 140 ,

المعز لدين الله الفاطمى 57, 55 ,

المعز بن حبيب الهوارى 93 ,

المعز بن باديس 90, 59, 58 ,

المستنصر بالله الفاطمى 58 ,

العبتروسى 65, 63, 62 ,

- , 148, 157 العياشي  
 , 41, 42, 252 العوامر  
 , 12, 20, 56, 98, 99, 111, 115, 123, 126, 129, 130, 134, 176, 188, 244 الشماخي  
 , 202, 243 الزهري  
 , 11, 12, 20, 26, 47, 48, 49, 50, 51, 55, 56, 57, 61, 62, 63, 65, 66, 84, 85, 87, 93, 97, 100, 102, 107, 109, 110, 112, 114, 116, 125, 126, 127, 129, 131, 133, 134, 139, 141, 154, 157, 158, 160, 171, 172, 179, 190, 200, 203, 212, 215, 217, 223, 225, 227, 243 الدرجيني  
 , 54, 243 الداعي إدريس  
 , 106, 145, 153, 156, 159, 178, 201, 209, 242 الحميري  
 , 77, 242 البلاذري  
 , 13, 19, 25, 33, 53, 54, 55, 84, 151, 171, 175, 182, 194, 200, 201, 218, 224, 242 البكري  
 , 20, 242 البغطوري  
 , 142, 153 الأغواطي  
 , 14, 21, 78, 80, 103, 145, 167, 172, 174, 189, 192, 194, 195, 209, 211, 213, 241 الإدريسي  
 , 9, 23, 27 أحمد زكار  
 , 65 أبي يعقوب الوارجلاني  
 , 157 أبي محمد عبد الله بن مانوج  
 , 69 أبي عنان المريني  
 , 137, 159 أبو يوسف يعقوب الطرفي  
 , 141 أبو يعقوب يوسف إبراهيم السدراتي

- أبو يعقوب الوارجلاني , 21, 25, 27, 62, 99, 126, 127, 133, 136, 138,  
173, 191, 210, 247, 248, 261  
أبو يعقوب التناوتي 160, 109, 101 ,  
أبو يزيد مخلص بن كيداد 117, 52 ,  
أبو يحيى بن زكرياء 101 ,  
أبو نوح 179, 155, 126, 57, 56, 55, 54 ,  
أبو محمد ماكسن 99 ,  
أبو محمد بن مانوح 109 ,  
أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي 130, 101 ,  
أبو عمران المزاتي 100 ,  
أبو عمار عبد الكافي 250, 179, 117, 114, 109, 101, 87, 34 ,  
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة 45 ,  
أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني 182 ,  
أبو عبد الله الشيعي 48 ,  
أبو عبد الله السدراتي 84 ,  
أبو عبد الله محمد بن بكر , 261, 245, 150, 135, 133, 116, 100, 97, 85, 61,  
أبو صالح جنون بن يمران , 155, 154, 145, 139, 136, 126, 96, 57, 46 ,  
157, 179, 221, 225  
أبو سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان 101 ,  
أبو زكرياء , 69, 68, 56, 55, 53, 51, 50, 49, 48, 47, 24, 22, 19, 11 ,  
87, 93, 97, 98, 116, 129, 130, 140, 156, 203, 217, 223, 224,  
225, 227, 228, 243  
أبو خزر 57, 56, 54 ,  
أبو خزر يغلا بن زلتاف 54 ,  
أبو حمّو زيان 22 72, 70, 69 ,

- أبو حاتم 45 ,  
 أبو تميم 57 ,  
 أبو القاسم يزيد بن مخلد 55 ,  
 أبو العباس أحمد بن علي 138 ,  
 أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر 101 ,  
 أبو الربيع سليمان بن يخلف 100 ,  
 أبو الخطاب عبد الأعلى 45 ,  
 أبو الحسن أفلح 98 ,  
 أبو إسحاق إبراهيم بن الحفصي 70 ,  
 أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي 196 ,  
 ابن غانية 221, 65 ,  
 ابن سلام 143 ,  
 ابن سعيد 243, 202, 175, 170, 153, 111, 106, 92, 36, 20, 14, 12 ,  
 ابن خلّكان 242, 20 ,  
 ابن خلدون 59, 53, 52, 51, 40, 35, 33, 31, 30, 27, 22, 21, 20, 13 ,  
 60, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80,  
 81, 82, 83, 84, 85, 86, 88, 89, 90, 98, 104, 124, 127, 132,  
 133, 140, 142, 147, 148, 151, 153, 165, 188, 189, 202, 205,  
 212, 213, 214, 215, 216, 223, 228, 243, 259, 260, 261, 264  
 ابن خُرداذبَه 76 ,  
 ابن حوقل 214, 213, 208, 191, 176, 173, 103 ,  
 ابن حماد 242, 54, 53 ,  
 ابن حزم 242, 86, 81, 80, 77, 76 ,  
 ابن الشيخ 146 ,  
 إبراهيم بن إسماعيل 145 ,

ب

بر بن قيس عيلان 76 ,  
بريقول 43 ,  
بوعصبانه , 8, 20, 29, 41, 42, 44, 66, 67, 74, 82, 83, 85, 86, 87, 88,  
89, 91, 92, 96, 97, 100, 102, 149, 154, 158, 159, 160, 161,  
175, 189, 191, 201, 227, 228, 242, 247, 256  
بوين بن الصحب 146 ,

ت

تامللي 104, 188 ,  
تبغورين بن داود بن عيسى الملقوطي 101 ,  
تروملي 29 ,

ج

جابر بن إبراهيم 146 ,  
جالوت 75, 77, 80 ,

ح

حادور 32 ,  
حام بن نوح 75, 76, 80 ,  
حماد بن بلكين 58 ,

د

دوماس 42 ,

ذ

نكار , 9, 27, 28, 29, 32, 34, 38, 39, 40, 43, 44, 52, 61, 65, 69, 79,  
162, 163, 174, 219, 220, 257

س

سام بن نوح75 ,  
سعد زغلول245, 22, 34, 106,

ص

صالح جنون بن يمران , 46, 57, 96, 126, 136, 139, 145, 154, 155, 157,  
179, 221, 225

ع

عاصم السدراتي45 ,  
عبد الحلیم عويس61, 58 ,  
عبد الحميد حسين حمودة112 ,  
عبد العزيز فيلالي73, 71 ,  
عبد المؤمن68, 67 ,  
عبيد الله المهدي50, 49, 48, 47 ,  
عروس بن سندي60 ,  
عزّ الدين أحمد موسى64 ,  
عقبة بن نافع44, 32 ,  
عيسى بن إبراهيم146 ,  
عيسى بن أحمد146 ,  
عيسى بن سليمان146 ,  
عيسى بن نوح146 ,

غ

, 143, 147, 8, 17, 24, 31, 34, 35, 36, 44, 48, 51, 56, 64, 71, غرايسة  
77, 78, 79, 86, 87, 88, 90, 91, 92, 93, 94, 98, 103, 104, 112,  
117, 119, 120, 121, 135, 138, 139, 141, 142, 143, 145, 147,  
149, 153, 155, 156, 157, 159, 161, 165, 169, 177, 178, 179,  
187, 188, 192, 195, 202, 203, 213, 214, 216, 219, 220, 221,  
258

ل

لارجو 27, 31, 153 ,  
ليتيليو 167 ,  
ليفتسكي 25, 97 ,

م

مازيغ بن كنعان 76 ,  
ماكسن بن الخير 130 ,  
محمّد اللواتي 197, 200 ,  
محمّد بن موسى 146 ,  
مزهودي 15, 26, 36, 41, 46, 48, 53, 61, 79, 90, 96, 102, 114, 123,  
124, 125, 128, 129, 130, 131, 145, 146, 147, 169, 171, 172,  
174, 175, 177, 184, 186, 189, 190, 201, 209, 219, 220, 221,  
244, 254  
مكّيّة 135, 136 ,  
موسى لقبال 46, 49, 117, 121, 255 ,

ن

ناصر محمد 118 ,

نوح سعید بن زنگیل 263, 188, 156, 55 ,

ي

یافت بن نوح 74 ,

یاقوت الحموی 199, 34, 24, 21 ,

یحی بن اسحاق المیورقی 26 ,

یعقوب بن أفلح 223, 96, 46,89 ,

ثانيا - فهرس البلدان والأماكن:

أ

- أجلو 93, 100, 129, 133, 172 ,  
أسوف 1, 11, 31, 35, 36, 37, 257 ,  
أشير 111, 137, 140, 208 ,  
أغرام 224 ,  
أغلان 224 ,  
أغمات 208 ,  
إفران 37 ,  
إفريقيا 15, 22, 28, 34, 41, 73, 74, 91, 99, 110, 114, 123, 125, 131, 132, 140, 151, 160, 163, 169, 171, 173, 178, 199, 202, 246, 247, 248, 250, 253, 258, 259, 260, 261, 263 ,  
إفريقية 24, 25, 35, 44, 48, 49, 55, 59, 60, 68, 69, 70, 72, 73, 75, 82, 84, 122, 170, 189, 218, 228, 246, 247, 253, 256 ,  
الأطلس الصحراوي 28 ,  
التكرور 177, 199 ,  
الزّاب 31, 35, 36, 43, 51, 53, 57, 60, 67, 71, 83, 89, 90, 123, 188, 197, 213, 257 ,  
السنغال 193 ,  
السودان 6, 10, 15, 34, 37, 44, 51, 62, 64, 67, 90, 92, 102, 103, 112, 141, 158, 160, 166, 169, 170, 171, 172, 173, 175, 177, 178, 179, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195,

- 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 206, 208, 209, 210, 211,  
212, 221, 228, 252, 255  
السوس 89, 59 ,  
القيروان 209, 188, 189, 171, 103, 57, 49, 46, 45, 44 ,  
المسيلة 262, 208, 54, 52, 32, 31 ,  
المغرب 28, 27, 25, 23, 22, 21, 15, 14, 13, 12, 11, 8, 7, 6, 5, 3, 2 ,  
31, 32, 33, 34, 35, 37, 38, 40, 44, 47, 48, 52, 53, 55, 56, 58,  
59, 61, 63, 64, 65, 67, 68, 70, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 79, 82,  
83, 84, 85, 88, 89, 91, 92, 95, 100, 102, 107, 110, 111, 112,  
113, 115, 117, 120, 122, 123, 124, 131, 137, 139, 140, 141,  
147, 148, 151, 154, 158, 160, 167, 169, 170, 171, 175, 176,  
177, 181, 183, 184, 186, 187, 189, 191, 192, 193, 194, 196,  
198, 200, 201, 202, 203, 205, 206, 207, 209, 211, 212, 213,  
215, 218, 221, 228, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251,  
253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 268  
المنيعة 174 ,  
النقوصة 30 ,  
النوبة 111 ,  
الونقارة 193 ,  
أنبارة 194 ,  
انجاز 233, 224, 220, 147 ,  
اهروان 224 ,  
أودغشت 269, 201, 177, 176, 174 ,  
أوروبا 74 ,  
اينجوسا 224 ,

ب

بجاية 68, 67, 36, 21 ,

برقة 90, 88 ,

بسكرة 213, 84, 83, 60, 54, 53, 31 ,

بلاد الجريد 218, 35, 24 ,

بلاد ريغ 37, 36, 35 ,

بلاد مصعب 72 ,

بنطوس 53 ,

بوري 193 ,

ت

تادمكت 269, 171, 170, 151 ,

تارمست 226 ,

تاغيارت 225 ,

تالا عيسى 226, 159 ,

تغازة 190, 174 ,

تلا بني ياجرين 227 ,

تلمسان 252, 72, 71, 70, 69 ,

تماواط 225, 136 ,

تمنطيط، 174 ,

تنجورارين 174 ,

توات 252, 230, 189, 176, 152, 148, 147, 59 ,

توزر 173, 24 ,

تونس 251, 250, 248, 244, 139, 124, 110, 100, 86, 70, 68, 48, 25 ,

253, 254

تونين 226 ,  
تيسر سيرين 225 ,  
تين بماطوس 226 ,  
تين تمصيوين 225 ,  
تيهت 262, 227, 220, 209, 179, 172, 122, 116, 63, 52, 48, 47, 46 ,

ج

جبال بني راشد 108 ,  
جربة 218, 177, 11 ,  
جوهة 218, 217, 25, 24 ,

ح

حاسي المخادمة 40, 39 ,  
حاسي المويلح 40, 39 ,

ر

رقادة 50 ,  
روما 78 ,

ز

زغاوة 189 ,  
زنجبار 33 ,

س

سجلماسة 269, 208, 177, 176, 174, 49, 48 ,

سدراة , 21, 33, 36, 37, 46, 53, 54, 60, 66, 82, 84, 85, 86, 87, 96,  
100, 145, 146, 167, 197, 203, 208, 219, 220, 221, 222, 223,  
259, 261, 267

ط

طبنة 31, 54 ,  
طرابلس 46, 60, 82, 85, 122, 159 ,

ع

عرق التوارق 39 ,

غ

غانة 104, 111, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 194, 195, 210, 211, 269  
غاو 174, 196 ,  
غدامس 36, 82, 151, 173, 207 ,  
غرداية 143, 19, 25, 30, 31, 36, 39, 43, 232, 234, 235, 237, 247, 255, 260, 261  
غيارو 175, 269 ,  
غياروا 194 ,

ف

فارس 74 ,  
فاس 69, 70, 208, 246 ,  
فلسطين 75, 76 ,

ق

قارة كريمة 32 ,  
قسنطينة , 8, 15, 16, 20, 23, 31, 34, 41, 52, 68, 69, 71, 73, 79, 122,  
143, 171, 187, 211, 214, 216, 219, 221, 243, 252, 256, 257,  
258, 259, 260, 261, 262  
قصر بكر 48, 134, 135 ,  
قلعة بني حماد 208 ,

ك

كانم 111 ,  
كوغة 194 ,  
كوكو 170, 171, 172, 196, 269 ,  
كيانة 54 ,

ل

لملم 201 ,

م

مصر , 15, 21, 44, 57, 58, 68, 70, 75, 89, 90, 91, 92, 141, 160,  
192, 198, 199, 223, 241, 243, 244, 248, 251, 252, 254, 255,  
263  
ملالة 39 ,  
ميلة 70 ,  
ميورقة 67 ,

و

وادي ملال 72 ,

وادي ملوية 66 ,

وادي مية 87, 29 ,

وادي ميزاب 37, 154, 162, 256 ,

وارجلان في أغلب صفحات الأطروحة

ورقلة , 143, 19, 22, 23, 25, 26, 29, 31, 32, 39, 42, 89, 153, 232 ,

234, 235, 237, 257, 259, 261

وركلة 22, 24, 27 ,

ولاتة 174 ,

ونقارة 173, 194, 195, 196 ,

ثالثا - فهرس القبائل والدول

أ

الإباضية، 10، 11، 12، 15، 16، 23، 24، 25، 45، 46، 47، 48، 50، 52،  
53، 55، 56، 57، 63، 64، 65، 83، 85، 87، 96، 100، 112، 113، 114،  
115، 116، 117، 119، 122، 124، 127، 129، 137، 141، 171، 173،  
178، 181، 184، 185، 186، 188، 196، 208، 217، 219، 223، 241،  
247، 250، 253، 254، 257، 258، 259، 261، 263، 264

الأرباع، 157

البت، 85، 139

البرانس، 77، 139

الدولة الحفصية، 68، 69، 70، 244

الدولة الحمّادية، 61، 58، 63، 266

الدولة الزيانية، 73

الدولة الزيرية، 58

الدولة الموحدية، 62، 65، 66

الذواودة، 71، 89

الرستمية، 4، 15، 23، 46، 47، 50، 52، 53، 91، 92، 95، 104، 110،  
115، 141، 143، 152، 164، 166، 171، 172، 173، 176، 178، 201،

218، 221، 248، 258، 259، 261

الرومان، 40، 41، 42، 43، 78، 91

الزنج، 198

الزنجبار، 32

الزنوج، 26، 67

الصنهاجيين، 58، 60

الغرامنتيون، 30

الدولة الفاطمية، 47، 49، 50، 51، 54، 55، 58، 89، 185

الفرس، 75

اليهود، 67، 91، 92، 93، 108، 142، 229، 248، 267

ب

بريسي، 200

بنو برزال، 52

بنو زيّان، 68

بنو سمجون، 78

بنو عبد ربه، 78

بنو مرين، 68، 70

بنو معقل، 59

بنو مغراوة، 54

بنو سليم، 4، 13، 58، 88، 89، 140

بنو واركو، 83

بنو ورماز، 84

بنو يسدران، 78

بنو ريغة، 84

بنو زنداك، 52

بنو قوقو، 198

بنو هلال، 4، 13، 15، 58، 88، 89، 140، 211، 249

بنو يفرن، 84

ح

حمير، 75، 76، 80

د

دولة بني حمّاد، 60، 61

ر

رياح، 59، 89

ز

زناتة، 21، 27، 30، 35، 51، 54، 59، 60، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84،  
86، 87، 88، 139، 141، 252، 255، 267

س

سدراة، 32، 36، 46، 53، 54، 61، 67، 82، 84، 85، 86، 87، 96، 99،  
145، 146، 167، 196، 202، 207، 218، 219، 220، 221، 259، 261،  
267

ص

صنهاجة، 59، 65، 82

ق

قبائل المعقل، 88، 89

قبائل غسان، 75

قبيلة تناوتة، 86، 267

قبيلة رياح، 71

ك

كتامة، 47، 51، 54، 253

كنعان، 75، 76، 80

ل

بني عبد المومن، 68

لملم، 200

لواتة، 77، 78، 85

م

مزاتة، 55، 56، 57

مملكة كوكو، 170، 172

ن

نوميديا، 24، 27، 30

هـ

هؤارة، 21، 77

و

واركلا، 13، 19، 21، 22، 27، 30، 33، 35، 43، 61، 79، 82، 121، 123،

212

رابعاً- فهرس المحتويات

1.....	المقّمة:
19 .....	الفصل الأول: وارجلان المجال والتاريخ
19 .....	المبحث الأول: التعريف بوارجلان
19 .....	أولاً-إشكالية التسمية:
26 .....	ثانياً- أصل تسمية وارجلان:
29 .....	المبحث الثاني: التأسيس والمجال
29 .....	أولاً-تأسيس وارجلان:
33 .....	ثانياً- المجال الجغرافي لوارجلان:
38 .....	المبحث الثالث: التطور التاريخي لوارجلان
38 .....	أولاً- العصر الحجريّ:
40 .....	ثانياً- العصر الروماني:
43 .....	ثالثاً- العصر الإسلامي:
45 .....	1-وارجلان في العهد الرستمي:
57 .....	2-وارجلان في العهد الحمادي:
61 .....	3-وارجلان في العهد الموحدّي:
66 .....	4-وارجلان في العهد الحفصي:
68 .....	5- وارجلان في العهد الزيّاني:
72 .....	الفصل الثاني: الوضع الاجتماعي في وارجلان ما بين القرنين 4هـ/10م-9هـ/15م..
73 .....	المبحث الأول: التركيبة الإثنية.
73 .....	أولاً-البربر:

79	1- أهم القبائل البربرية بمنطقة وارجلان:
79	أ- قبيلة زناتة:
81	1- موطن قبيلة زناتة:
82	2- فروع زناتة: تتفرع عن زناتة عدّة قبائل أهمّها:
85	ب- قبيلة سدراتة:
86	ت- قبيلة تناوتة:
87	ثانيا- العرب:
91	ثالثا- اليهود:
94	المبحث الثاني: التراتب الاجتماعي لوارجلان
94	أولا- فئة الأعيان:
94	1- المشايخ والوجوه:
97	2- القضاة:
98	3- العلماء:
101	4- التجار:
104	ثانيا- فئة العامّة:
104	1- فئة الفلاحين:
109	2- أصحاب الحرف:
110	ثالثا- فئة العبيد:
112	المبحث الثالث: حلقة العزّابة وتنظيم مجتمع وارجلان:
112	أولا- نظام حلقة العزّابة:
112	1- تعريق حلقة العزّابة
114	2- تأسيس العزّابة:

116	ثانيا- مهام العزّابة:
121	ثالثا- التركيبة الاجتماعية وتأثيرها على الأوضاع في وارجلان
126	رابعا- حلقة العزّابة ودورها في توجيه الحياة الاجتماعية بوارجلان:
131	المبحث الرابع: مظاهر الحياة الاجتماعية في وارجلان
131	أولا: الأسرة الوارجلانية:
134	ثانيا- المرأة الوارجلانية:
138	ثالثا- الطبوع والتقاليد الاجتماعية:
138	1- اللباس:
143	2- الطعام:
144	الفصل الثالث: حركة الاقتصاد في مجتمع وارجلان ما بين القرنين 4هـ/10م و9هـ/15م
145	المبحث الأول: النشاط الفلاحي وحركيته في وارجلان ما بين 4هـ/10م و9هـ/15م ..
145	أولا- النشاط الفلاحي
145	1- مصادر المياه:
151	2- النشاط الزراعي:
153	3- أهمّ المحاصيل الزراعية:
158	4- النشاط الرعوي:
162	المبحث الثاني: النشاط الصناعي الحرفي وإمكاناته ما بين 4هـ/10م و9هـ/15م ...
162	أولا- المقومّات الصناعية:
164	ثانيا- الانتاجي الصناعي:
169	المبحث الثالث: التفاعل التجاري في مجتمع وارجلان ما بين 4هـ/10م و9هـ/15م .
169	أولا- الطرق التجارية:

170	1-طريق وارجلان - تادمكت - كوكو:
172	2- طريق: وارجلان - غانة:
174	3 - طريق وارجلان - غيارو:
175	4- طريق وارجلان سجلماسة تاغزة أودغشت.
176	ثانيا- أسواق وارجلان وتعاملاتها:
180	1-المكايل والموازين في وارجلان: ...
184	ثالثا-صادرات وواردات وارجلان:
184	1 - الصادرات:
190	2- الواردات:
203	المبحث الرابع: أثر الاقتصاد على وارجلان
203	أولا- التجارة والتحول العمراني في وارجلان:
203	1- دور التجارة في نشأة المدن وتطورها:
206	2-أثر حركة الاقتصاد على وارجلان:
213	ثانيا-مظاهر التطور العمراني في وارجلان:
214	1-أقصور وقرى وارجلان:
224	2-مساجد وارجلان:
227	الخاتمة:
204	الملاحق
241	قائمة المصادر والمراجع
241	أولا- المصادر:
247	ثانيا- المراجع:
255	ثالثا- الرسائل الجامعية:

267	قائمة الفهارس .....
268	أولا- فهرس الأعلام: .....
276	ثانيا- فهرس البلدان والأماكن: .....
283	ثالثا- فهرس القبائل والدول .....
287	رابعا- فهرس المحتويات: .....
291	الملخص .....

# المخلص

المخلص:

تعتبر واحة وارجلان إحدى أهم الحواضر والمراكز الصحراوية الواقعة جنوب المغرب الأوسط، والتي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة، لما شهدته من أحداث تقلب فيها مجتمعها في ظروف سياسية، ودينية، واجتماعية، واقتصادية، تميز تاريخها بالخصوصية، فكان اهتمام المؤرخين بها كبيرا، لذا جاءت هذه الدراسة لتركز على الازواض الاقتصادية والاجتماعية وأثرها على حاضرة وارجلان بداية من القرن 4 هـ/10م إلى القرن 9 هـ/15م.

ولأجل الامام بالموضوع والبحث عن حل لإشكاليته، وتساؤلاته، وبلوغ أهدافه، تم وضع خطة من ثلاث فصول بعد مقدّمة، فكان الفصل الأول حول وارجلان المجال والتاريخ من خلال دراسة الحاضرة تاريخيا وسياسيا، منذ تأسيسها إلى غاية القرن 9 هـ/15م، ثم جاء الفصل الثاني المعنون بالوضع الاجتماعي في وارجلان ما بين القرنين 4 هـ/12م إلى القرن 9 هـ/15م. أين تم فيه دراسة المجتمع الوارجلاني في عرقياته، وفئاته، وتنظيماته، التي كان لها الأثر البارز في توجيه الحياة العامة في وارجلان، وأخيرا الفصل الثالث الذي تناول حول حركة الاقتصاد في مجتمع وارجلان، من خلال دراسة النشاط الاقتصادي الذي غلب عليه النشاط التجاري (خاصة تجارة العبيد والذهب)، وتأثيره ذلك على المجتمع والعمران في الحاضرة.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، ورجلان، الاقتصاد، المجتمع، العمران.

---

**Abstract:**

The oasis of Wargla (Ouargla) is one of the most important desert cities and centers located in the south of the central Maghreb. It played a significant role in the history of the region due to the numerous events that shaped its society under varying political, religious, social, and economic conditions. Its history is marked by uniqueness, which has attracted considerable attention from historians. Therefore, this study focuses on the economic and social conditions and their impact on the city of Wargla from the 4th century AH/10th century CE to the 9th century AH/15th century CE.

To comprehensively address the topic, explore solutions to its central problem, answer its questions, and achieve its objectives, a three-chapter plan was developed following an introduction. The first chapter focuses on Wargla: Space and History, examining the city historically and politically from its foundation until the 9th century AH/15th century CE. The second chapter, titled The Social Situation in Wargla between the 4th and 9th centuries AH (10th–15th centuries CE), analyzes the Warglan society in terms of its ethnicities, social classes, and organizational structures, which significantly influenced public life in Wargla. Finally, the third chapter addresses Economic Activity in Warglan Society, studying the economic dynamics dominated by trade—particularly the trade of slaves and gold—and its impact on the society and urban development of the city.

**Keywords:** Central Maghreb, Wargla (Ouargla), Economy, Society, Urban Development.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ